

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ الْغَفَّارِ
قِسْمُ الشُّرُوفِ الْفَيْكِرِيَّةِ وَالشَّقَائِفِيَّةِ
مَعَهَدَاتُ الْأَنْبِيَاءِ لِلدِّرَاسَاتِ الْحُزُونِيَّةِ الْأَلِكْتَرُونِيَّةِ
الْمَسَاحِقِ النَّظَرِيَّةِ

دروس من جنتها
في شرح عقائد الإمامية

للشيخ محمد رضا المظفر

١٣٦٢-١٣٨٣ هـ

١٩٠٤-١٩٦٤ م

الجزء الثاني

الشيخ حسين عبد الرضا الابدالي



قسم الشؤون الفكرية والثقافية

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net
nashra@alkafeel.net

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٢٣)

هاتف: ٢٢٢٦٠٠٠، داخلي: ١٦٣-١٧٥

الكتاب: دروس منهجية في شرح عقائد الإمامية.

تأليف: الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، معهد تراث الأنبياء للدراسات
الحوزوية الإلكترونية.

الاخراج الطباعي: علاء سعيد الاسدي، محمد قاسم النصراوي.

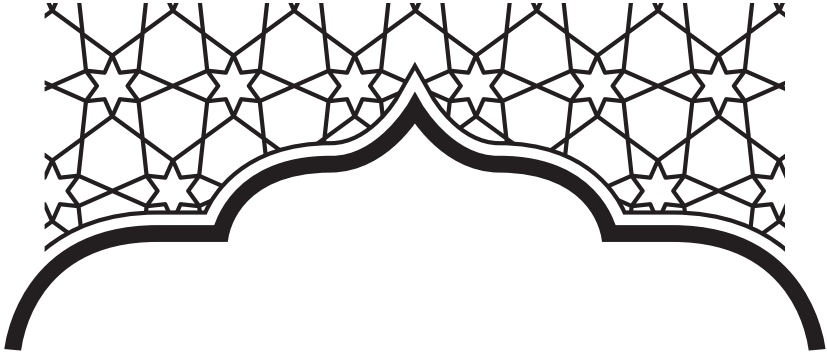
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٥٠٠.

ربيع الآخر ١٤٤٢هـ - تشرين الثاني ٢٠٢٠م





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



عقيدتنا في الإمامة

قال الشيخ رحمته الله:

«عقيدتنا في الإمامة:

نعتقد أنّ الإمامة أصلٌ من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة.

وعلى الأقلّ أنّ الاعتقاد بفراغ ذمة المكلف من التكاليف الشرعية المفروضة عليه يتوقف على الاعتقاد بها إيجاباً أو سلباً، فإذا لم تكن أصلاً من الأصول لا يجوز فيها التقليد لكونها أصلاً فإنّه يجب الاعتقاد بها من هذه الجهة أي من جهة أنّ فراغ ذمة المكلف من التكاليف المفروضة عليه قطعاً من الله ﷻ واجبٌ عقلاً، وليست كلّها معلومةً من طريقةٍ قطعية، فلا بُدّ من الرجوع فيها إلى من قطع بفراغ الذمة باتباعه، أما الإمام على طريقة الإمامية أو غير على طريقة غيرهم.

كما نعتقد أنّها كالنبوة لطفٌ من الله ﷻ، فلا بُدّ أن يكون في كلّ عصرٍ إمامٌ هادٍ يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم.

وعلى هذا، فالإمامة استمرارٌ للنبوة. والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول.

فلذلك نقول: إن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله ﷻ على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله. وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس، فليس لهم إذا شاءوا أن ينصبوا أحداً نصبوه، وإذا شاءوا أن يعينوا إماماً لهم عينوه، ومتى شاءوا أن يتركوا تعيينه تركوه، ليصحّ لهم البقاء بلا إمام، بل «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» على ما ثبت ذلك عن الرسول الأعظم بالحديث المستفيض.

وعليه لا يجوز أن يخلو عصرٌ من العصور من إمامٍ مفروض الطاعة منصوبٍ من الله ﷻ، سواء أبقى البشر أم لم يأبوا، وسواء ناصروه أم لم يناصروه، أطاعوه أم لم يطيعوه، وسواء كان حاضراً أم غائباً عن أعين الناس، إذ كما يصح أن يغيب النبي كغيبته في الغار والشعب صح أن يغيب الإمام، ولا فرق في حكم العقل بين طول الغيبة وقصرها.

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، وقال: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

انتهى.

في هذا الفصل يبدأ الشيخ ﷺ ببحثٍ مفصلي في علم الكلام، ربما يكون هو أهم البحوث على الإطلاق، وقد أشار الشيخ إلى عدة نقاط:

النقطة الأولى:

هل الإمامة أصل من أصول الدين أو فرع من فروعها؟

ذهب الإمامية أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام إلى أن الإمامة أصل من أصول الدين. وتترتب على قولهم هذا عدة نتائج:

الأولى: أن الإيمان بها ضروري على حدّ التوحيد والنبوة، وهذا ما أشار إليه الشيخ رحمه الله بقوله: «لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها».

الثانية: يجب تحصيل اليقين فيها ولا يكفي الظن فضلاً عن التقليد، بل لابد من اليقين والجزم والاعتقاد الواضح، وهذا ما أشار إليه الشيخ رحمه الله بقوله: «ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمرين مهها عظموا وكبروا».

الثالثة: أن البحث فيها سيدخل تحت كبرى: لزوم النظر والمعرفة، ذلك اللزوم والوجوب العقلي قبل أن يكون شرعياً، وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى ذلك قائلاً: «بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة».

أما العامة فجلّهم ذهب إلى أنها مسألة فرعية، وعليه فيكفي فيها الظن والتقليد، وليس للعقل في ثبوتها أو عدمه مسرح؛ لأنها تابعة لاجتهاد المجتهدين.

وقد أنتج هذا الخلاف منظومتين فكريتين قسّمتا الأمة الإسلامية إلى مدرستين، اختلفتا في الكثير من النتائج على مستوى العقيدة وعلى مستوى الفقه، بل وعلى مستوى السلوك أيضاً.

سبب الاختلاف في كون الإمامة أصلاً أو فرعاً:

يرجع هذا الاختلاف في الحقيقة إلى خلافٍ أعمق منه، وسيشير إليه الشيخ لاحقاً في (عقيدتنا في أن الإمامة بالنص)، فمن قال: إنها لا بد أن تكون بالنص (أي إنَّ التعيين فيها يكون من قبل الله ﷺ حصراً)، فقد جعلها والنبوة على حدٍ سواء من هذه الناحية (التعيين)، وبما أن النبوة أصل من أصول الدين، فالإمامة كذلك.

أما من قال بكفاية الانتخاب أو الشورى أو اختيار أهل الحل والعقد أو حتى الانقلاب العسكري في تعيين الإمام، فلا محالة سينتهي إلى القول بأنَّها مسألة فرعية تابعة للاجتهادات والاختيارات البشرية.

ما هو الدليل على أن الإمامة أصل من أصول الدين؟

مقدمة:

قبلولوج في الجواب عن هذا السؤال يحسن بنا أن نقدم مقدمة، مفادها: ما هو الملاك أو المعيار أو الضابط في كون عقيدة ما أصلاً من أصول الدين؟

الظاهر أن المعيار في جعل عقيدة ما أصلاً من أصول الدين يكمن في أهمية تلك العقيدة، أي مقدار دورها ووظيفتها في المنظومة الأساسية للإسلام، فقد تقدم أنه على الرغم من أن العدل صفة من الصفات الكمالية لله جل وعلا، ولكنه جعل أصلاً من أصول الدين لما يترتب على الإيمان به أو عدمه من الثمرات الخطيرة جداً، ونفس هذا المعيار يأتي في الإمامة، حيث إنَّ لها دوراً ضخماً جداً في منظومة الإسلام عموماً.

ومن هنا يجدر بمن يحاج وينظر أتباع مدرسة الخلفاء أن يسلط الضوء كل الضوء ويكثف الجهد كل الجهد على مسألة الإمامة، ولا يهدر جهده ووقته على النقاش في المسائل التفصيلية التي ما هي إلا فروع أثمرت من أساس تلك المسألة، من قبيل

الاختلاف في التكتف في الصلاة أو إسباها، والاختلاف في حلية الزواج المنقطع أو حرمة، والاختلاف في جواز السجود على التربة أو عدمه، والاختلاف في جواز التوسل بالأولياء أو عدمه...؛ فإن النقاش فيها عقيمٌ في العادة؛ لأنها نتائج لخلاف أسبق يكمن فيمن هو الخليفة الشرعي لرسول الله ﷺ؟ فإن تمكن المناظر والمحاجج من إثبات أنه هو أمير المؤمنين عليؑ، أغناه ذلك عن النقاش في جميع تلك المسائل التفصيلية، لأنها ستثبت بتلقائية حسب ما يراه أمير المؤمنينؑ.

ويرجع الاختلاف في تعيين الإمام أو الخليفة الشرعي إلى اختلاف أسبق ورئسي مفاده: هل إن الإمامة بالنص أو لا؟

فإن ثبت أنها بالنص، فقد توجب البحث عن النصوص والأدلة الشرعية التي عيّنت الإمام، وحينئذ يثبت أن أمير المؤمنينؑ وحده هو الخليفة الشرعي؛ إذ ما من نصٍ معتبرٍ أشار إلى سواه بالإمامة، وهذا ما ذهب إليه الإمامية، على خلاف مدرسة الخلفاء التي نفت الإمامة النصية من رأس، وبالتالي نفت تعيين أي إمام، متخبطةً في أمر تعيين الخليفة بين عدة نظريات، ما وضعت إلا لتصحيح واقع متناقض وشرعة أحداث منحرفة سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

كما نعتقد أن الإمامة ليست مجرد مسألة مهمة من مسائل الإسلام، بل هي أهم مسائله؛ وذلك لأن أصلي التوحيد والنبوة ثابتان بصورة عامة لدى المسلمين، وإن كان هناك خلاف في بعض الجزئيات، على حين أن الإمامة مختلفٌ فيها اختلافاً جذرياً يمتد إلى أصلها وأساسها.

أدلة كون الإمامة أصلاً من أصول الدين:

الدليل الاول: قوله ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ

الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾.

أنبأت هذه الآية أن هناك حدثاً سيقع بعد رحيل رسول الله ﷺ يؤدي الى الانقلاب على العقب، والانقلاب على العقب كناية عن الخروج عن الدين، وإذا رجعنا إلى التاريخ المتفق عليه نجد: أن الأمة الإسلامية بعد رحيل النبي ﷺ مباشرة، وقبل أن يُدفن ﷺ، فإنه قد حدث نزاعٌ ضخم حول (منا أمير ومنكم أمير) أي الخلاف على الإمامة، وكان هذا الخلاف سبب انقلاب الكثير منهم على العقب، بغض النظر عن حَقَّانية دعوى كل فريق، ولكن من كان على باطل فإنه يخرج عن الدين والإسلام، وهنا تكمن خطورة الإمامة في كونها مسألة يدور عليها الإسلام ثبوتاً ونفيًا، وبالتالي فإن مسألة هي الملاك في إيمان الإنسان وكفره لهي جديرة بكل تأكيد أن تكون أصلاً من أصول الدين.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. (٢)

الذي نزل في حجة الوداع يوم غدير خم، وعلى إثره جمع الرسول الاعظم ﷺ المسلمين، فأمر المتقدم أن يرجع والمتأخر أن يلحق، وعمل منبراً من أقتاب الإبل، وصعد عليه وخطب خطبة عظيمة ثم أردفها: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ وَلِيَّكُمْ وَأَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ. فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَآلَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ...» (٣).

فنزول الأمر الإلهي بالتبليغ بمسألة ما، والمقرون بالتشديد على أهميته، بحيث

(١) آل عمران ١٤٤

(٢) المائدة ٦٧

(٣) الحديث متواتر لدى العامة والخاصة، انظر مثلاً: الكافي للكليني ج ١ ص ٢٩٣ باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين ﷺ ح (٣) ومسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١١٨ وسنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد القزويني ج ١ ص ٤٥ وغيرها.

يكون عدم الامتثال له وعدم تبليغ رسالة السماء من رأس سواءً بسواء، أي يوجب ضياع أتعاب ثلاثٍ وعشرين سنةً من التبليغ للرسالة الإلهية أدراج الرياح، وهو أدلُّ دليلٍ على عظم هذه المسألة وخطورتها وأهميتها البالغة، فلا يعقل أن تكون مجرد مسألة فرعية أبداً، ولا يناسبها إلا أن تكون أصولية.

ومما يؤكد ذلك أيضاً، أنه ما أن بلغ الرسول ﷺ وباع المسلمون أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه حتى نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١) أي إن الدين لم يكتمل ولم يرضه الله ديناً إلا بالتبليغ بولاية الإمام علي عليه السلام.

الدليل الثالث: الحديث المستفيض والمتفق عليه بين المسلمين بل والمتواتر أيضاً، حديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» هو دليلٌ آخر على أن الإمامة أصلٌ لا فرع؛ لترتب خروج الإنسان من الدين على الجهل بالإمام وعدم معرفته، ومثله الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية»^(٢).

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^(٣).

وفي تفسيره روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يدعى كل قوم بإمام زمانهم وكتاب الله وسنة نبيهم»^(٤).

وَعَنْ مَالِكِ الْجُهَنِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَالِكُ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَتَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، يَا مَالِكُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ قَوْمٍ اتَّخَمُوا بِإِمَامٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَلْعَنُهُمْ وَيَلْعَنُونَهُ، إِلَّا أَنْتُمْ وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ حَالِكُمْ، يَا مَالِكُ،

(١) المائة ٣

(٢) كمال الدين للصدوق: ٤١٣ و٤١٤ / باب ٣٩ / ح ١٥.

(٣) الإسراء ٧١

(٤) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٣٧.

إِنَّ الْمَيْتَ وَاللَّهَ مِنْكُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لَشَهِيدٌ بِمَنْزِلَةِ الضَّارِبِ بِسَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (١).

أي: إلا الذين يوالون أهل البيت عليهم السلام.

إذن تخصيص النداء يوم القيامة بالإمام يدل بوضوح على أن الإمامة مسألة مصيرية، وفقها يكون مصير الإنسان يوم القيامة في الجنة أو النار، وهذا يتناسب مع كونها مسألة أصولية لا فرعية.

الدليل الخامس: ما دلّ من الروايات على أن منكر الإمام كافر، أي خارج عن الدين، ومن الواضح أن الذي يوجب الخروج عن الدين هو الأصل لا الفرع، فمثلاً: من لا يصلي وهو يعترف أنّها أمر من الله تعالى، لكنه لا يصلي، فإنه يقال عنه: فاسق، لا كافر، أما بالنسبة لمنكر الإمامة فيقال عنه: كافر لا فاسق، كما ورد عن الإمام الباقر صلوات الله عليه أنه قال في قوله تعالى: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (٢): «الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ» (٣).

بل الأوضح ما ورد عن أبي سلمة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «نَحْنُ الَّذِينَ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَنَا لَا يَسْعُ النَّاسُ إِلَّا مَعْرِفَتَنَا وَلَا يُعَذِّرُ النَّاسُ بِيْهَا لَتْنَا مَنْ عَرَفَنَا كَانَ مُؤْمِنًا، وَمَنْ أَنْكَرَنَا كَانَ كَافِرًا، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنَا وَلَمْ يُنْكَرْنَا كَانَ ضَالًّا، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْهُدَى الَّذِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَتِنَا الْوَاجِبَةِ، فَإِنْ يَمُتْ عَلَى ضَلَالَتِهِ يَفْعَلِ اللَّهُ بِهِ مَا يَشَاءُ» (٤).

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: «الإمام علم بين الله عليه السلام وبين خلقه، فمن

(١) الكافي للكليني ج ٨ ص ١٤٦ ح ١٢٢.

(٢) الأنعام ١٢٢

(٣) الكافي للكليني ج ١ ص ١٨٥ باب مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ وَالرَّدُّ إِلَيْهِ ح ١٣.

(٤) الكافي للكليني ج ١ ص ١٨٧ باب فَرَضِ طَاعَةِ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام / ح ١١.

عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً»^(١).

الدليل السادس: ما دلَّ الدليل من الروايات الشريفة على أن من تولى غير إمام الحق فإنه بمنزلة المشرك، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ أَشْرَكَ مَعَ إِمَامٍ إِمَامَتُهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَنْ لَيْسَتْ إِمَامَتُهُ مِنَ اللَّهِ كَانَ مُشْرِكًا بِاللَّهِ»^(٢).

وفي رواية عن أبي جعفر عليه السلام قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لِأَعْدَبَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ دَانَتْ بِوَلَايَةِ كُلِّ إِمَامٍ جَائِرٍ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَتْ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا بَرَّةً تَقِيَّةً...»^(٣).

الدليل السابع: السيرة العملية للمخالفين، فالمخالفون الذين قالوا بأن الإمامة فرع من فروع الدين هم أنفسهم قد تعاملوا مع الإمامة على أنها أصلٌ من أصول الدين. فقد روي أنه لما دخل الحجاج مكة وصلب ابن الزبير راح عبد الله بن عمر إليه وقال: مُدَّ يَدُكَ لِأَبَايَعِكَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةَ جَاهِلِيَّةٍ»، فأخرج الحجاج رجله وقال: خذ رجلي فإنَّ يدي مشغولة، فقال ابن عمر: أُنْتَهَزَيْتُ مَنِّي؟ قَالَ الْحَجَّاجُ: يَا أَحْمَقُ بَنِي عَدِي مَا بَايَعْتَ مَعَ عَلِيٍّ وَتَقُولُ الْيَوْمَ: مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةَ جَاهِلِيَّةٍ، أَوْ مَا كَانَ عَلِيٌّ إِمَامَ زَمَانِكَ؟ وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلَيْكَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ جِئْتُ مَخَافَةَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صُلِبَ عَلَيْهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ»^(٤).

ففعَّل عبد الله بن عمر هذا يكشف وبشكل جلي أنه كان يتعامل مع الإمامة على أنها مسألة مهمة جداً - بغض النظر عن حقيقة توجهه الذي كشفه له الحجاج -

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٤١٢ باب ٣٩ ح ٩.

(٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٣٧٣ بَابُ مَنْ ادَّعَى الْإِمَامَةَ وَلَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ وَمَنْ جَحَدَ الْأَيْمَةَ أَوْ بَعْضَهُمْ وَمَنْ أَثْبَتَ الْإِمَامَةَ لِمَنْ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ ح ٦.

(٣) الكافي للكليني ج ١ ص ٣٧٦ بَابُ فِيمَنْ دَانَ اللَّهُ بِغَيْرِ إِمَامٍ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ح ٤.

(٤) الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي: ج ١ / ص ٣٦٣.

أضف إلى ذلك: الفتاوى الكثيرة التي صدرت ولا زالت تصدر بأنَّ من يشتم الخليفة يُقتل، على حين أنَّ من يشرب الخمر أو لا يصلي لا يُقتل، وإنَّما يجلد وحسب، فنلاحظ أن تعاملهم مع المسائل الفرعية مختلف تمامًا عن تعاملهم مع الإمامة، فإنَّ سيرتهم العملية مع الإمامة تكشف عن أنهم يتعاملون معها على أنها مسألة من صميم الإسلام، وهذا مؤشر على أنَّهم يرفعونها عملياً عن مرتبة الفروع، وإن كانوا نظرياً يقولون بأنَّها ليست من الأصول.

إن مجموع هذه المؤشرات أو المؤيدات يصلح - كل واحد منها أو مجموعها - دليلاً على أنَّ الإمامة أصل من أصول الدين.

النقطة الثانية:

منشأ الضرورة في البحث عن الإمامة.

قال الشيخ رحمته الله: «وعلى الأقل أن الاعتقاد بفراغ ذمة المكلف من التكليف الشرعية المفروضة عليه يتوقف على الاعتقاد بها سلباً أو إيجاباً».

قد يتساءل البعض: هل هناك من ضرورة في البحث في الإمامة؟ وإذا كانت هناك ضرورة فما هو منشؤها؟

أشار الشيخ رحمته الله إلى أن البحث في الإمامة أمر ضروري، وأن ضرورته تنبع من أحد أمرين - بحسب ما أشار إليه الشيخ -:

الأول: أن الإمامة أصل من أصول الدين، وبالتالي فهي تدخل في صميم الانتهاء للدين الاسلامي، بمعنى أن الإمامة مدار الإسلام وأصله، وأن الإيمان متوقف على الاعتقاد بها، وهذا ما تقدم في الروايات التي ذكرت في النقطة الأولى.

الثاني: البحث في الإمامة يستلزمه الاحتياط العقلي، ويلزم هذا الأمر من لا يعتقد بأن الإمامة أصل من أصول الدين، وبيان ذلك:

إن المسلم يواجه مدرستين أساسيتين على الأقل في باب تفريغ ذمته من التكليف المفروضة عليه من الله ﷻ، إحداهما تذهب إلى أن الخلافة إنما تثبت بالنص، وأن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ هم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام فقط، وأنهم معصومون، ولهم الولايتان التكوينية والتشريعية، وتجب مودتهم والطاعة والتسليم المطلق لهم.

والأخرى تذهب إلى غير هذا، فتكتفي فيها بالانتخاب أو الشورى بل وحتى

الانقلاب العسكري، ولا تلتزم بضرورة العصمة ولا بالولاية التشريعية فضلاً عن التكوينية.

ثم إنَّ المسلم مكلفٌ بتكاليف واجبة على كلا المستويين العقائدي والفقهي، ولا تفرغ ذمته إلا بعد الإتيان بها على الوجه الصحيح، ولا يختلف اثنان على أنَّ هناك اختلافًا جذريًا بين هاتين المدرستين في بعض تلك الموضوعات، لاسيما تلك المسائل التي تتعلق بالتوحيد وصفات الله ﷻ والعدل والنبوة على المستوى العقدي، وإسبال اليدين أو تكتيفها والوضوء ووقت الإفطار وغيرها.

وبالتالي فإنَّ المكلف عندما يلتزم بإحدى المدرستين بصورة عفوية أو نتيجة تقليد الآباء لا يمكنه القطع بأنَّه قد جاء بالتكاليف على الوجه الذي يطلبه الشارع الأقدس، مما يعني أنَّ فراغ ذمته من تلك التكاليف سيكون مشكوكًا؛ ولأنَّ الاشتغال اليقيني يستدعي الفراغ اليقيني، فإنَّ العقل يحكم بضرورة بحث المكلف عن المدرسة الحقِّ التي ينهل من فكرها ويعتقد بعقائدها ويلتزم بأحكامها بحثًا موضوعيًا منهجيًا بعيدًا عن الأهواء والتعصب؛ حتى يصل إلى القطع بحقانية إحدى المدرستين؛ ليجزم بعد ذلك بفراغ ذمته لسلامة عقيدته من الانحراف ولصحة ما يأتي به من تكاليف.

النقطة الثالثة:

الإمامة لطف من الله تعالى

قال عليه السلام: «كما نعتقد أنها كالنبوة لطف من الله تعالى».

لا بدّ من الإشارة بادئ ذي بدء أنّ دليل اللطف يثبت ضرورة المبدأ ولا يشخص القائم بالمبدأ، بمعنى: أنّ دليل اللطف في النبوة مثلاً، يثبت ضرورة إرسال الأنبياء والرسول من الله تعالى، ولكن لا يُشخص لنا خصوص شخص النبي وأن فلاناً هو النبي لا غيره، فنحتاج إلى مثبتات أخرى لإثبات الشخص، كالمعجزة، وكذلك اللطف في مسألة الإمامة، هو يثبت لزوم تعيين إمامٍ أو خليفة بعد الرسول، لكن لا يُعيّن لنا شخص الإمام.

نكتة:

إن لطف الله تعالى ذاته دليلٌ عقلي على ضرورة وجود الإمام المهدي عليه السلام حياً في هذا العصر، وإن كان قاصراً عن تشخيص شخصه المبارك الذي هو موكول إلى الدليل النقلي.

وقد تقدم تعريف اللطف بأنّه: ما يكون سبباً في تقريب العبد إلى الطاعة وإبعاده عن المعصية، وهو لازم على الله تعالى لزوماً عقلياً، كلزوم الزوجية للعدد أربعة، إذ لم يفرض أحدٌ عليه ذلك سوى طبيعة ذاته. وكذا الله جل وعلا إذ لم يوجب اللطف ويفرضه أحدٌ عليه، ولكن طبيعة كمال ذاته اللامتناهي قد اقتضت ذلك، فهو الحكيم دائماً وأبداً، فلا يفعل إلا الفعل الأكمل ورحمته ولطفه وسعا كل شيء، فلا يفعل إلا ما

يُقَرَّب العبد إلى الطاعة والكمال.

كما إنه سبحانه وتعالى يعلم أن الإنسان لا يصل إلى الطاعة إلا إذا بين هو ﷺ له الطريق المؤدي إليها، وإلا فلا يستطيع أن يصل إليها بمفرده، وبالتالي تكون عقوبته على المخالفة قبيحة عقلاً، والله تعالى لا يفعل إلا الحسن، فلزم ألا يصدر منه قبيح قط، وبذا لزم عليه - لطفًا بعباده - أن يبعث الأنبياء والرسل ويُعَيِّن الأئمة، فهو إلزام من باب الكمال الذاتي، لأنه إلزام من الخارج.

ومن الواضح جدًا أن وجود الإمام بين الناس، يُبَيِّن لهم الأحكام الشرعية، ويقطع في نزاعاتهم، ويعلم الجاهل ويرد المتجاوز على الحدود الشرعية، ويفسر القرآن الكريم، وبقية القسط بين الناس ويردُّ الشبهات، لا شك أنها من الأمور التي تقرب العبد إلى الطاعة وتبعده عن المعصية، إذن وجود الإمام لطف، وحيث إن اللطف واجب على الله تعالى، إذن الإمامة واجبة على الله تعالى من باب اللطف.

ومن أطف الأدلة الروائية في بيان مجال اللطف ما روي عن يونس بن يعقوب قال: «كَانَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ حُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ وَ مُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانِ وَ هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ وَ الطَّيَّارُ وَ جَمَاعَةٌ فِيهِمْ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ وَ هُوَ شَابٌّ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: يَا هِشَامُ، أَلَا تُخْبِرُنِي كَيْفَ صَنَعْتَ بِعَمْرٍو وَ بِنِ عُبَيْدٍ وَ كَيْفَ سَأَلْتَهُ؟ فَقَالَ: هِشَامٌ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّي أُجِلُّكَ وَ أَسْتَحْيِيكَ وَ لَا يَعْمَلُ لِسَانِي بَيْنَ يَدَيْكَ.»^(١)

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَافْعَلُوا.»^(٢)

قَالَ هِشَامٌ: بَلَّغَنِي مَا كَانَ فِيهِ عَمْرٍو وَ بِنِ عُبَيْدٍ وَ جُلُوسُهُ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ، فَعَظُمَ

(١) وهذا أدب من هشام بين يدي الإمام المعصوم ﷺ.

(٢) إذ الطاعة أولى من الأدب كما يُقال.

ذَلِكَ عَلَيَّ. (١)

فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَدَخَلْتُ الْبَصْرَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَتَيْتُ مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ، فَإِذَا أَنَا بِحَلْفَةٍ كَبِيرَةٍ فِيهَا عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ، وَعَلَيْهِ شَمْلَةٌ سَوْدَاءٌ مُتَّزِرًا بِهَا مِنْ صُوفٍ، وَشَمْلَةٌ مُرْتَدِيًا بِهَا، وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُ، فَاسْتَفْرَجْتُ النَّاسَ فَأَفْرَجُوا لِي، ثُمَّ قَعَدْتُ فِي آخِرِ الْقَوْمِ (٢) عَلَى رُكْبَتِي، ثُمَّ قُلْتُ:

أَيُّهَا الْعَالِمُ إِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ تَأْذَنُ لِي فِي مَسْأَلَةٍ؟

فَقَالَ لِي: نَعَمْ. فَقُلْتُ: لَهُ أَلْكَ عَيْنٌ؟! فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَيُّ شَيْءٍ هَذَا مِنَ السُّؤَالِ! وَشَيْءٌ تَرَاهُ كَيْفَ تَسْأَلُ عَنْهُ؟! فَقُلْتُ: هَكَذَا مَسْأَلَتِي. فَقَالَ: يَا بُنَيَّ سَلْ وَإِنْ كَانَتْ مَسْأَلَتُكَ حَمَقَاءً! قُلْتُ: أَجِنِّي فِيهَا. قَالَ لِي: سَلْ. قُلْتُ: أَلْكَ عَيْنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أَرَى بِهَا الْأَلْوَانَ وَالْأَشْخَاصَ.

قُلْتُ: فَلْكَ أَنْفٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ أَشْمُ بِهِ الرَّائِحَةَ.

قُلْتُ: أَلْكَ فَمٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَذُوقُ بِهِ الطَّعْمَ.

قُلْتُ: فَلْكَ أُذُنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أَسْمَعُ بِهَا الصَّوْتَ.

قُلْتُ: أَلْكَ قَلْبٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أُمَيِّزُ بِهِ كُلَّ مَا وَرَدَ عَلَيَّ هَذِهِ

الْجَوَارِحَ وَالْحَوَاسَّ.

قُلْتُ: أَوْلَيْسَ فِي هَذِهِ الْجَوَارِحِ غِنَى عَنِ الْقَلْبِ؟ فَقَالَ: لَا. قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ وَهِيَ صَحِيحَةٌ سَلِيمَةٌ؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ الْجَوَارِحَ إِذَا شَكَّتْ فِي شَيْءٍ شَمَّتْهُ أَوْ رَأَتْهُ أَوْ ذَاقَتْهُ أَوْ

(١) وهو أمر لا بد أن يكون هم كل داعٍ ومؤمن، إذ إن الاهتمام بأمور المسلمين مما ندب إليه الدين ودعا إليه.

(٢) ولعله من باب الأدب؛ لأن عمر هشام كان صغيراً، ولعله من باب إرادة أن يسمع الجميع حوارهما.

سَمِعْتَهُ، رَدَّتْهُ إِلَى الْقَلْبِ فَيَسْتَيْقِنُ الْيَقِينَ وَيُبْطِلُ الشَّكَّ. (١)

قَالَ هِشَامٌ: فَقُلْتُ لَهُ: فَإِنَّمَا أَقَامَ اللَّهُ الْقَلْبَ لِشَكِّ الْجَوَارِحِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: لَا بُدَّ مِنَ الْقَلْبِ وَإِلَّا لَمْ تَسْتَيْقِنِ الْجَوَارِحُ؟ (٢)
قَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مَرْوَانَ، فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَتْرُكْ جَوَارِحَكَ حَتَّى جَعَلَ لَهَا إِمَامًا يُصَحِّحُ لَهَا الصَّحِيحَ وَيَتَيَقَّنُ بِهِ مَا شُكَّ فِيهِ، وَيَتْرُكُ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ فِي حَيْرَتِهِمْ وَشَكِّهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ لَا يُقِيمُ لَهُمْ إِمَامًا يَرُدُّونَ إِلَيْهِ شَكَّهُمْ وَحَيْرَتَهُمْ، وَيُقِيمُ لَكَ إِمَامًا لِجَوَارِحِكَ تَرُدُّ إِلَيْهِ حَيْرَتَكَ وَشَكَّكَ؟!!

قَالَ: فَسَكَتَ وَلَمْ يَقُلْ لِي شَيْئًا، ثُمَّ اتَّفَقَتَ إِلَيَّ فَقَالَ لِي: أَنْتَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ؟ فَقُلْتُ: لَا. قَالَ: أَمِنْ جُلَسَائِهِ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ. قَالَ: فَأَنْتَ إِذَا هُوَ! ثُمَّ ضَمَّنِي إِلَيْهِ وَأَقْعَدَنِي فِي مَجْلِسِهِ وَزَالَ عَنِّي مَجْلِسُهُ! وَمَا نَطَقَ حَتَّى قُمْتُ. قَالَ: فَضَحِكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: يَا هِشَامُ مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا؟ قُلْتُ: شَيْءٌ أَخَذْتَهُ مِنِّي وَأَلْفْتُهُ. (٣)

فَقَالَ ﷺ: هَذَا وَاللَّهِ مَكْتُوبٌ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى. (٤)

(١) وفي هذا إشارة واضحة إلى أن أصحاب المنهج الحسي لا يكفيهم الحس للوصول إلى اليقين من دون الرجوع إلى (القلب) أو العقل.

(٢) كرر السؤال نفسه بعبارات مختلفة ليقره على ما أجاب به، حتى لا يتمكن من الهروب من لوائمه فيما بعد.

(٣) وفي هذا إشارة إلى تواضع هشام وأدبه في حضرة الإمام ﷺ، فلم ينسب هذه المناظرة لنفسه، وفيه إشارة أيضًا إلى جواز الاجتهاد والاستنباط، إذ هشام أخبر الإمام ﷺ بأنه آلف هذا المعنى مما سمعه منه، والإمام أقره عليه.

(٤) الكافي للكليني ج ١ ص ١٦٩ - ١٧١ باب الاضطرار الى الحجته ح ٣.

النقطة الرابعة:

إن الإمامة استمرار للنبوّة.

قال الشيخ رحمته الله: «كما نعتقد أنّها كالنبوّة لطف من الله ﷻ، فلا بُدّ أن يكون في كلّ عصرٍ إمامٌ هادٍ يخلف النبي في وظائفه...».

نعتقد أنّ كلّ وظائف النبي تكون للإمام الذي يخلف، من بيان الأحكام الشرعية وتفسير القرآن والقضاء بين الناس ورد الشبهات، فلا فرق من حيث الوظيفة بين النبي والإمام، إنّما الفرق بينهما يكون في أنّ النبي يوحى إليه وحيّاً رسالياً، أما الإمام فلا يوحى إليه هذا النوع من الوحي، ولا يفهم من ذلك أنّنا نقول بمساواة الإمام للنبي والعياذ بالله، فإنّ الإمام علي عليه السلام نفسه كان يقول: **إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مُحَمَّدٍ ﷺ**.^(١)

فإذا كانت الإمامة استمراراً للنبوّة، فهذا يعني أنّ الأحكام المتعلقة بالنبوّة والمميزات والركائز الأساسية، كلها لا بُدّ أن تتوفر في الإمامة وهي الآتية:

١/ أن تكون الإمامة بالنص.

٢/ ضرورة وجود الإمام في كل عصر.

٣/ أن وجود الإمام لا يتوقف على إطاعة الخلق له، بل إنّ وظيفته الهداية

(١) في الكافي للكليني (ج ١ ص ٨٩ - ٩٠ باب بَابُ الْكُونِ وَالْمَكَانِ ح ٥): عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «جَاءَ جَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَتَى كَانَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ لَهُ: تُكَلِّمُكَ أُمَّكَ! وَمَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى يُقَالَ مَتَى كَانَ؟ كَانَ رَبِّي قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ، وَبَعْدَ الْبَعْدِ بِلَا بَعْدٍ، وَلَا غَايَةَ وَلَا مُنْتَهَى لِغَايَتِهِ، أَنْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عِنْدَهُ، فَهُوَ مُنْتَهَى كُلِّ غَايَةٍ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَفَنَبِيٌّ أَنْتَ. فَقَالَ: وَيَلَيْكَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مُحَمَّدٍ ﷺ».

الاختيارية، فيبقى الاختيار للناس، فقد يطيعونه وقد لا، كما في النبي تماماً، كما أن القرآن هدى للناس، ولكنه لا يجبر الناس على الهداية.

٤/ أن ضرورة وجود الإمام لا تتوقف على كونه ظاهراً، بل يكفي وجوده الواقعي وإن كان غائباً، وإن لم نعلم به أو نصل إليه، وهناك العديد من الروايات الشريفة تؤكد أن الحجّة سواء كان إماماً أو نبياً فإنه قد يكون ظاهراً أو غائباً، فقد روي عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: «اللَّهُمَّ بَلَى، لَا تَخْلُو الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لَكَ بِحُجَّةٍ، إِمَامًا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَإِمَامًا خَائِفًا مَغْمُورًا، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجُجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ». (١)

كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها، ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله...» (٢)

بل في بعض الروايات يسأل البعض الإمام عن صحة الروايات التي تقول: إن الله تعالى لا يرفع الحجّة من الأرض إلا إذا غضب عليهم، فنفي الإمام ذلك معللاً بأن رفع الحجّة يوجب أن تسيخ الأرض بأهلها.

فقد روي عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «قُلْتُ لَهُ: أَتَبْقَى الْأَرْضُ بغيرِ إِمَامٍ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: فَإِنَّا نَرَوِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ لَا تَبْقَى بغيرِ إِمَامٍ إِلَّا أَنْ يَسْخَطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ أَوْ عَلَى الْعِبَادِ؟ فَقَالَ: لَا، لَا تَبْقَى إِذَا لَسَاخَتْ». (٣)

وعلى الرغم من أن ظهور الحجّة وعدمه سيان من هذه الناحية، إلا أن ظهوره بلا شك أعظم من غيبته، من جهة إمكان الاستفادة منه مباشرة؛ ولذا كان الأصل هو

(١) نهج البلاغة ج ٤ ص ٣٧. من الحكمة رقم (١٤٧)

(٢) كمال الدين ونظام النعمة للشيخ الصدوق ص ٢٠٧ باب ٢١ ح ٢٢.

(٣) الكافي للكليني ج ١ ص ١٧٩ باب أن الأرض لا تخلو من حجة ح ١١.

ظهور الحجّة، فإذا غاب كان خلاف الأصل، وحينئذٍ يشرع السؤال عن سبب غيابه، وسيأتي تفصيل الجواب في عقيدتنا في المهدي عليه السلام إن شاء الله تعالى.

٥ / كفاية وجود الحجّة الواقعي فيما إذا كان غائبًا طالما أنّه قائمٌ بوظائفه، وكانت غيبته وفقًا لحكمة الله تعالى، سواءً طالت غيبته أو قصرت؛ لأنّ العقل لا يفرق بين الغيبة القصيرة أو الطويلة، حيث إنّهُ في كلا الحالتين قد اضطرَّ إلى بعض مسؤولياته التي تقتضي ظهوره كالقيادة المباشرة لهم وما إلى ذلك من مسؤوليات، أما الأمور الأخرى ككونه أمانًا لأهل الأرض كما إنّ النجوم أمان لأهل السماء فهو لا زال يقوم بها على أتمّ وجه، وستأتي التفاصيل في محلها إن شاء الله تعالى.

إشكال (الفترة) وجوابه :

تقدّم أنّ من الركائز الأساسية للنبوّة: أن يكون في كل عصر نبيٌّ يهدي الناس يوضح لهم الشريعة ويردهم عن الظلم والطغيان، والقرآن الكريم يؤكد هذه المسألة في كثير من الآيات، ومنها ما ذكره الشيخ عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (١).

إلا أن هناك ما ربما يتنافى -لأول وهلة- مع هذه الحقيقة، من قبيل قوله عز من قائل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (٢).
والفترة: من الفتور، أي السكون بعد الحدة، أو اللين بعد الشدة، أو الضعف بعد القوة.

ومعنى (الفترة) هي ما بين الرسولين، فهذه الآية تقول: إن الله تعالى أرسل الرسول الأكرم عليه السلام في فترة كانت خالية من الرُّسل، وهذا يتنافى مع الآية المتقدمة الدالّة على أنّ

(١) فاطر ٢٤

(٢) المائدة ١٩

كَلَّ أُمَّةٌ كَانَ فِيهَا نَذِيرٌ.

وقد يرد نفس هذا الإشكال على غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه بمعنى (على فترة من الإمامة)؟

والجواب:

أولاً: الآية قالت: إِنَّهُ ﷺ جَاءَ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ لَا الْأَنْبِيَاءَ، ومعلوم أن الأنبياء أكثر بكثير من الرُّسُلِ، فلا ملازمة بين عدم وجود رسول وبين عدم وجود نبيٍّ، فقد يكون في زمن لا يوجد رسول ولكنه يوجد نبيٌّ. وهذا هو المروي، حيث ذكرت بعض الروايات وجود بعض الأنبياء بين النبيِّ الأكرم ﷺ وبين النبيِّ عيسى عليه السلام، كخالد بن سنان العبسي كما سيأتي بعد قليل.

ثانياً: فضلاً عن هذا فإنه وبوجود الكتاب السماوي (الإنجيل) وبوجود العلماء والأوصياء في تلك الفترة فإنَّ الحجة قائمة على الناس، وإنما يرسل الله تعالى الرُّسُلَ لإتمام الحجة عليهم، فإذا كانت الحجة تامة لم يكن عدم الإرسال منافياً لهداية الدعوة، إذ الهداية موجودة حسب الفرض.

ثالثاً: أن المقصود من الفترة هو خلوها من حجة ظاهر، وأمَّا الحجة غير الظاهر فقد كان موجوداً في تلك الفترة.

وهذا المعنى - أي عدم خلو الأرض من حجة ولو غير ظاهر - هو ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «اللَّهُمَّ بَلِّ لَّا تَخْلُو الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لِّلَّهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَإِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا، لِئَلَّا تَبْطَلَّ حُجُجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ»^(١).

وهذا ما ذهب إليه الشيخ الصدوق؛ في إكماله، حيث قال ما نصُّه:

(١) نهج البلاغة: ٤٩٧ / ح ١٤٧.

«وإنّنا معنيّ الفترة أنّه لم يكن بينهما رسول ولا نبيّ ولا وصيّ ظاهر مشهور كمن كان قبله، وعلى ذلك دلّ الكتاب المنزل أنّ الله ﷻ بعث محمّداً ﷺ على حين فترة من الرُّسل، لا من الأنبياء والأوصياء، ولكن قد كان بينه وبين عيسى عليه السلام أنبياء وأئمّة مستورون خائفون، منهم خالد بن سنان العبسي، نبيّ لا يدفعه دافع ولا ينكره منكر، لتواطئ الأخبار بذلك عن الخاصّ والعامّ، وشهرته عندهم، وأنّ ابنته أدركت رسول الله ﷺ ودخلت عليه، فقال النبيّ ﷺ: «هذه ابنة نبيّ ضيّعه قومُه، خالد بن سنان العبسي»^(١)، وكان بين مبعثه ومبعث نبيّنا محمّداً ﷺ خمسون سنة...»^(٢).

نكتة مهدوية :

ذكرت بعض الروايات الشريفة أنّ الإمام المهدي عليه السلام يظهر بعد فترة من الأئمّة، بمعنيّ أنّه يظهر بعد وجود فاصل زمنيّ بينه وبينه آخر ظهور وحضور للمعصوم.

(١) في الكافي للكليني (ج ٨ / ص ٣٤٢ و ٣٤٣ / ح ٥٤٠، حديث ابنة خالد بن سنان): عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «بينما رسول الله ﷺ جالساً إذ جاءته امرأة، فرحّب بها وأخذ بيدها وأقعدها، ثمّ قال: ابنة نبيّ ضيّعه قومُه، خالد بن سنان، دعاهم فأبوا أن يؤمنوا، وكانت نار يقال لها: نار الحدّان تأتيمهم كلّ سنة فتأكل بعضهم، وكانت تخرج في وقت معلوم، فقال لهم: إن رددتها عنكم تؤمنون؟ قالوا: نعم»، قال: «فجاءت فاستقبلها بثوبه فردّها، ثمّ تبعها حتّى دخلت كهفها ودخل معها، وجلسوا على باب الكهف وهم يرون ألا يخرج أبداً، فخرج وهو يقول: هذا هذا وكلّ هذا من ذا (أي هذا شأني وإعجازي)، زعمت بنو عبس أنّي لا أخرج وجبيني يندى (أي يبتلّ من العرق)، ثمّ قال: تؤمنون بي؟ قالوا: لا، قال: فإنّي ميّت يوم كذا وكذا، فإذا أنا متُّ فادفوني، فإنّها ستجيء عانة (القطيع من حمر الوحش) من حمر يقدمها غير أبتّر (والعبر بالفتح: الحمار الوحشي، وقد يُطلق على الأهلي أيضاً. والأبتّر: المقطوع الذنب) حتّى يقف على قبري، فانبشوني وسلوني عمّا شئتم، فلما مات دفنوه، وكان ذلك اليوم إذ جاءت العانة اجتمعوا وجاؤوا يريدون نبشه، فقالوا: ما آمنتتم به في حياته، فكيف تؤمنون به بعد موته؟ ولئن نبشتموه ليكون سبّة عليكم، فاتركوه، فتركوه».

(٢) كمال الدين للصدوق: ٦٥٩ / باب ٥٨ / ذيل الحديث ٢.

فقد روي عن أبي حمزة، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقلت له: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: لا، فقلت: فولدك؟ فقال: لا، فقلت: فولد ولدك هو؟ قال: لا، فقلت: فولد ولد ولدك؟ فقال: لا، قلت: من هو؟ قال: الذي يملؤها عدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا، على فترة من الأئمة، كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله بُعث على فترة من الرُّسل»^(١).

استطراد:

لاصطلاح (صاحب الأمر) الذي ورد في الرواية الآنفة معنيان:

الأول: هو الإمام المفترض الطاعة من الله صلى الله عليه وآله وهذا المعنى ينطبق على كل أئمتنا صلوات الله عليهم.

الثاني: يُراد به الإمام الذي يقوم بإزالة الظلم والجور، والذي يقوم بإقامة الدولة العادلة ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلأت ظلمًا وجورًا، وهو الإمام المهدي عليه السلام.

وهكذا الحال في اصطلاح (القائم) إذ إنه أيضًا له معنيان:

الأول: هو من يقوم بأمور الولاية التكوينية والتشريعية خلافة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهذا ينطبق على كل أئمتنا عليهم السلام؛ لذلك ورد في زيارة الإمام الحسن عليه السلام التعبير عنه بالقائم. وهكذا في زيارات بعض الأئمة عليهم السلام.

وأما المعنى الثاني فهو: القائم الذي يقوم بدولة العدل الإلهية، وهو الإمام المهدي عليه السلام.

وقد أشارت بعض الروايات إلى كلا المعنيين، كما روي في رد بعض الأئمة صلوات الله عليهم عن سؤال: أأنت القائم بهذا الأمر؟ فيروى عنهم أنهم كانوا يقولون: نعم، أنا

(١) الكافي للكليني ١: ٣٤١/ باب في الغيبة/ ح ٢١.

القائم بهذا الأمر ولكنّي لست بالذي أملاًها قسطاً وعدلاً.^(١)

(١) في كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٣٧٦ باب ٣٥ ح ٧: عن الريان بن الصلت قال: «قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الامر؟ فقال: أنا صاحب هذا الامر ولكني لست بالذي أملاًها عدلاً كما ملئت جوراً، وكيف أكون ذلك على ما ترى من ضعف بدني، وإن القائم هو الذي إذا خرج كان في سن الشيوخ ومنظر الشبان، قوياً في بدنه، حتى لو مد يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها، يكون معه عصا موسى، وخاتم سليمان عليه السلام. ذاك الرابع من ولدي، يغيبه الله في ستره ما شاء، ثم يظهره فيملاً [به] الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

عقيدتنا في عصمة الإمام

قال الشيخ رحمته الله:

«عقيدتنا في عصمة الإمام:

ونعتقد أنّ الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمداً وسهواً. كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة، بلا فرق.

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد» انتهى.

قبل الشروع في شرح هذه العقيدة لا بد من الإشارة إلى أنّ هناك بحثين يجدر بنا أن نفرّق بينهما:

أولهما: أصل الحاجة إلى الإمامة، وهل يلزم وجود إمام أو لا يلزم، وما هو الدليل على لزوم الإمام؟ وقد تقدم الحديث عن كل ذلك فيما عنونه الشيخ رحمته الله (عقيدتنا في الإمامة).

ثانيهما: في صفات الإمام ومؤهلاته التي لا بد أن تتوفر فيه ليشغل هذا المنصب المهم، وهذا ما تناوله الشيخ رحمته الله في: (عقيدتنا في عصمة الإمام) و(عقيدتنا في صفات الإمام وعلمه).

عقيدتنا في عصمة الإمام.

تقدم أن الإمام هو القائم مقام النبي ﷺ في جميع وظائفه، وأنه لا فرق بينهما من هذه الناحية إلا بالوحي الرسالي الذي يوحى به إلى النبي دون الإمام، وبالتالي فإن قيام الإمام بكل تلك المهام يستلزم العصمة.

ما الدليل على لزوم عصمة الإمام؟

يمكن الاستدلال على عصمة الإمام من خلال التالي:

أولاً: إنَّ العصمة إثباتاً ونفيًا مرتبطة بتفسير الإمامة، فمن فسرها بأنها مجرد منصب دنيوي يحكم فيها الإمام عباد الله تعالى، بغض النظر عن طريقة وصوله إلى هذا الحكم، وبغض النظر عن مقدار التزامه الديني ومقامه العلمي، فإنه ينتهي بلا ريب إلى أنه لا تُشترط العصمة فيها، وأما من فسرها بأنها منصبٌ إلهي خلافةً عن النبي ﷺ في كل ما يقوم به، خلا تلقي الوحي الرسالي، أي إنَّها امتداد للنبوة، فلا محالة ينتهي إلى أنَّ العصمة أمرٌ جوهرى بالنسبة للإمامة وعنصر من عناصرها الذاتية لا تتقوم إلا بها.

ولذا قال علماء مدرسة الخلفاء بعدم لزوم العصمة، مستشهدين بسير خلفائهم وكونهم ليسوا معصومين ويرتكبون الأخطاء بإقرارهم، كما ورد عن أبي بكر أنه قال: إنَّ لي شيطاناً يعتريني فإنَّ استقمت فأعينوني، وإنَّ زغت فقوموني^(١).

وعن عمر بن الخطاب كان يقول: ...إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها

(١) في الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٨٣: لما ولي أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أبعده أيها الناس قد وليت أمركم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن وسن النبي ﷺ السنن فعملنا فعملنا عملوا أن أكيس الكيس التقوى وأن أحق الحمق الفجور وأن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ له بحقه وأن أضعفكم عندي القوي حتى أخذ منه الحق أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني.

قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها...^(١)

كما ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أن عمر قال: كل النساء أफقه من عمر حتى ربات الحجال في خدورهن.^(٢)

وفي الحقيقة، أن ما ذكروه إنما هو مصادرة على الدليل - أي الاستشهاد بالنتيجة كدليل -، فهم استدلوا على لزوم عدم عصمة الإمام بعدم عصمة خلفائهم، على حين أن عصمة الإمام واجبة، وبما أنهم ليسوا بمعصومين، لذا فإنهم ليسوا بأئمة من رأس.

ثانياً: تقدم أن الإمامة امتداد للنبوة، وأتمها منصب إلهي كما النبوة، فثمرتها هي حفظ الشريعة من حيث التبليغ والتعليم وردّ الشبهات عن الدين وتفسير القرآن الكريم والقضاء بين الناس وما شابه ذلك، ولازم كل ذلك: العصمة، وإلا لما كان الإمام حافظاً للدين، فلو جاز على الإمام الخطأ وارتكاب المعصية، لكان المسلمون أمام خيارين لا ثالث لهما: إما وجوب الطاعة أو لا، فإن وجبت الطاعة عليهم، كان ذلك تغيراً لهم - للمسلمين - بهما - أي بالخطأ والمعصية - فكيف سيحاسبهم الله تعالى عليهما؟! وإن لم تجب الطاعة كانت الإمامة لغواً وعبثاً.^(٣)

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦.

(٢) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٢: قال مرة: لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي إلا ارتجعت ذلك منها، فقالت له امرأة: ما جعل الله لك ذلك، إنه تعالى قال: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ فَنَطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ فقال: كل النساء أफقه من عمر، حتى ربات الحجال! ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، فأضلت إمامكم ففضلته!

(٣) في الشافي في الإمامة للشيخ المرتضى ج ١ ص ١٧٩ - ١٨٠. قال السيد المرتضى في تقريب هذا البيان: قد علمنا أن شريعة نبينا ﷺ مؤبدة غير منسوخة، ومستمرة غير منقطعة، فإن التعبد لازم للمكلفين إلى أوان قيام الساعة، ولا بد لها من حافظ، لأن تركها بغير حافظ إهمال لأمرها، وتكليف لمن تعبد بها ما لا يطاق، وليس يخلو أن يكون الحافظ معصوماً أو غير معصوم، فإن لم يكن معصوماً لم يؤمن من تغييره وتبديله، وفي جواز ذلك عليه - وهو الحافظ لها - رجوع إلى أنها غير محفوظة في الحقيقة، لأنه لا فرق بين أن تحفظ بمن جاز عليه التغيير والتبديل والزلل والخطأ وبين أن لا تحفظ

كما أنّ وظيفة الإمامة هي الحفاظ على الدين، وهل يُنتظر ممن يُخطئ أن يُحكم الرد على جميع الشبهات الواردة عليه؟ أو يُفسر آيات القرآن الكريم بما لا يمكن أن يُخطئه العلم مهما تقدّم أو تطور.

وعليه فلا بُدَّ أن يكون الإمام معصوماً ولو في الجملة، أي على نحو العصمة المتفق عليها بين الفرق الكلامية للنبي ﷺ وهي العصمة في تبليغ الأحكام الشرعية وتعليم الإسلام وتفسير القرآن الكريم والقضاء بين الناس وما شابه. لا سيما أن لا دليل على انحصار العصمة بالنبي ﷺ - علمًا أننا نؤمن بالعصمة المطلقة للأئمة عليهم السلام -

لماذا كانت العصمة أمراً جوهرياً في الإمامة عند الإمامية؟

في مقام الجواب توجد عدة أدلة، ولكننا نقتصر على أحدها، وهو قوله عز من قائل: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١)، فالآية تحكي أن النبي إبراهيم عليه السلام بعد نجاحه في الاختبار والابتلاء، بلغ مرحلة جعله الله تعالى فيها إماماً، وعندما طلب لذريته هذا المقام أجابه الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

ويمكن الاستفادة من هذه الآية المباركة بحوثاً كثيرة قيّمة، ولكننا نشير إلى بعضها بإيجاز بما يناسب هذه المرحلة بنقاط:

الأولى: قال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، جاءت كلمة (عهدي) هنا فاعلاً، والظالمين مفعولاً به، مما يعني أن الإمامة هي التي تنال الناس، لا أن الناس هم الذين

جملة إذا كان ما يؤدي إليه القول بتجويز ترك حفظها يؤدي إليه حفظها بمن ليس بمعصوم، وإذا ثبت أن الحافظ لا بد أن يكون معصوماً، استحال أن تكون محفوظة بالأمة وهي غير معصومة، والخطأ جائز على آحادها وجماعتها، وإذا بطل أن يكون الحافظ هو الأمة فلا بد من إمام معصوم حافظ لها.

ينالونها، وفيها إشارة إلى التنصيب الإلهي.

الثانية: نسب الله تعالى العهد إلى نفسه، مما يبطل نظرية الشورى في تنصيب الإمام التي يتشبث بها علماء العامة جملةً وتفصيلاً، إذ إنَّ عهد الإمامة عهد الله تعالى يضعه حيث من يشاء.

الثالثة: يمكن تقسيم الناس على أساس الظلم وعدمه قسمة عقلية إلى أربعة أقسام: الأول: من يكون ظالماً من بداية حياته إلى أن يموت، وهذا لا يستحق الإمامة قطعاً.

الثاني: من يكون محسناً في بداية حياته ثم يصبح ظالماً، وهذا أيضاً من الواضح جداً أنه لا يكون إماماً.

الثالث: من يكون ظالماً في بداية حياته سواء كان كافراً أو مشركاً أو منافقاً ثم أصبح محسناً، وهذا أيضاً لا يستحق الإمامة؛ وذلك لأن الآية أطلقت عدم نيل العهد الإلهي للظالم، أي لكل ظالم، وإن اتصف بالظلم بمقدار ثوانٍ من حياته.

الرابع: من كان محسناً من بداية حياته إلى أن يموت، أي لم يظلم ولو بمقدار ثانية منها، ولا يعني ذلك إلا العصمة، وهو الذي يستحق الإمامة.

وهذا يدلُّ على أنَّ العصمة أمرٌ جوهري في استحقاق الإمامة وهو المطلوب.

ثالثاً: بطلان التسلسل:

ببيان:

لو فرضنا أنَّ الإمام غير معصوم، فإنَّ عدم عصمته يعني أنَّه سيجهل بعض الأحكام الشرعية، وعليه لو سُئل عن حكم مسألة شرعية مثلاً، فإنَّ الأمر لا يخلو من أحد احتمالين هما:

١/ أن يكون جاهلاً بالجهل المركب، فيُجيب خطأً، لأنه جاهلٌ بالحكم، وهنا يترتب على وجوب اتباعه الوقوع في المعصية، ويترتب على عدمها عبثية الإمامة ولغويتها.

٢/ أن يعلم أنه جاهلٌ فلا يُجيب، وهنا:

أ/ إما أن يُكره السائل على عدم البوح بجهله، والتكتم عليه وإلا ينزل به العقاب، وهذا خلاف اللطف الالهي؛ لأنه سيؤدي الى ضياع الأحكام الشرعية.

ب/ أو لا، فيذهب السائل إلى شخصٍ آخر ليسأله، وحينئذٍ لا يخلو الأمر: إما أن يكون -ذاك الثاني- عالماً بالحكم الشرعي أو لا، فإن كان عارفاً بكل الأحكام كان هو الأولى أن يكون الإمام، وإلا يذهب السائل إلى غيره وهكذا يتسلسل، أي لا نصل إلى شخص نتمكن من معرفة الحكم الشرعي الواقعي منه... ومعلومٌ أن التسلسل باطلٌ في هكذا أمور، لاسيما بوجود قاعدة اللطف، فلا بُدَّ من انتهائه عند حد، والعصمة هي التي تقطع التسلسل بالانتهاء إلى الإمام المعصوم؛ ولذا فمن باب اللطف فإن الله تعالى يُنصب للناس إماماً معصوماً لئلا يبقى الناس من دون حكم شرعي، وبذا نصل إلى ضرورة عصمة الإمام.^(١)

ملاحظة :

إن استقراء سير الأئمة عليهم السلام يكشف بكل وضوح عن عصمتهم، فمثلاً أمير المؤمنين عليه السلام نجد أنه لم يخطئ ولم يجهل ولم ينس ولم يسه على الإطلاق، فواقعه عليه السلام دليل عصمته.

(١) في رسائل الشريف المرتضى - الشريف المرتضى - ج ١ ص ٣٢٤. قال السيد المرتضى رحمته الله في بيان هذا التقريب: والذي يدل على عصمة الإمام: أن علة الحاجة إليه هي جواز الخطأ وفعل القبيح من الأمة. قال: فليس يخلو الإمام من أن يكون يجوز عليه ما جاز على رعيته أو لا يجوز ذلك عليه. قال: وفي الأول وجوب إثبات إمام له، لأن علة الحاجة إليه موجودة فيه وإلا كان ذلك نقضاً للعلة، وهذا يؤدي إلى إثبات ما لا يتناهى من الأئمة، أو الانتهاء إلى إمام معصوم، وهو المطلوب.

وهذا ليس دليلاً مستقلاً، وإنما نذكره للاستئناس.

بالإضافة إلى الأدلة المتقدمة، هناك الأدلة النقلية، وأهمها:

أولاً: آية التطهير: قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

وكلمة (يريد) في الآية المباركة تصرّح بكل وضوح أن الله ﷻ هو الذي يريد أن يذهب عن أهل البيت ﷺ الرجس، والرجس: كل ما يلوث النفس الإنسانية. وقد أذهب الله تعالى هذا الرجس عنهم ﷺ، فهم معصومون.

ثانياً: حديث الثقلين المتواتر: الذي قال فيه النبي ﷺ: انى تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعتري أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.^(٢)

وروي أنه قال رسول الله ﷺ في آخر خطبته يوم قبضه الله ﷻ إليه: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ قَدْ عَهَدَ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ كَهَاتَيْنِ - وَجَمَعَ بَيْنَ مُسَبِّحَتَيْهِ - وَلَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ - وَجَمَعَ بَيْنَ الْمُسَبِّحَةِ وَالْوَسْطَى - فَتَسْبِقُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، فَتَمَسَّكُوا بِهِمَا لَا تَزَلُّوا وَلَا تَضِلُّوا، وَلَا تَقْدَمُوهُمُ فَتَضِلُّوا».^(٣)

إن عبارة «لن تضلوا بعدي» تنفي الضلال بصورة مؤبدة لمن يتمسك بهم، وهي دليل جلي على عصمتهم ﷺ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الرسول ﷺ قد قرن

(١) الأحزاب ٣٣

(٢) الحديث متواتر، انظر مثلاً: مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٤ و ج ٥ ص ١٨٢ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٩ والمستدرک للحاکم النيسابوري ج ٣ ص ١١٠ و ج ٣ ص ١٤٨ و مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩ ص ١٦٢ وغيرها من المصادر.

(٣) الكافي للكليني ج ٢ ص ٤١٥ باب أذنى ما يكون به العبد مؤمناً أو كافراً أو ضالاً - ح ١.

بين العترة وبين القرآن الكريم، وحيث إنَّ القرآن معصومٌ، فقريته لأبْدَ أن يكون كذلك، وإلا لا يصح القرن بينهما.

ثالثاً: عن أبي سخيلة، قال: أتيت أبا ذرٍّ رضي الله عنه فقلت: يا أبا ذر، إني قد رأيت اختلافاً، فماذا تأمرني؟ قال: عليك بهاتين الخصلتين: كتاب الله، والشيخ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «هذا أول من آمن بي، وأول من يصفحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، وهو الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل»^(١).

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٢٧٤ ح ٣٠٤ / ٥. وانظر شرح ابن أبي الحديد ج ١٣ ص ٢٢٨.

عقيدتنا في صفات الإمام وعلمه

قال الشيخ رحمته الله:

«عقيدتنا في صفات الإمام وعلمه:

ونعتقد أنّ الإمام كالنبي يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعةٍ وكرمٍ وعفةٍ وصدقٍ وعدلٍ، ومن تدبيرٍ وعقلٍ وحكمةٍ وخلقٍ. والدليل في النبي هو نفسه الدليل في الإمام...

أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله. وإذا استجدَّ شيءٌ لا بُدَّ أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله ﷻ فيه، فإنَّ توجهه إلى شيءٍ وشاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي، لا يخطأ فيه ولا يشتهه يد معلم، من مبدأ طفولتهم إلى سنِّ الرشد، حتى القراءة والكتابة، ولم يثبت عن أحدهم أنه دخل الكتاتيب أو تتلمذ على يد أستاذ في شيءٍ من الأشياء، مع ما لهم من منزلةٍ علميةٍ لا تجاري. وما سُئلوا عن شيءٍ إلا أجابوا عليه في وقته، ولم تمر على ألسنتهم كلمة (لا أدري)، ولا تأجيل الجواب إلى المراجعة أو التأمل أو نحو ذلك. في حين أنك لا تجد شخصاً مترجماً له من فقهاء الإسلام ورواته وعلمائه إلا ذكرت في ترجمته تربيته وتلمذته على غيره وأخذه الرواية أو العلم على المعروفين وتوقفه في بعض المسائل أو شكه في كثير من المعلومات، كعادة البشر في كلِّ عصرٍ ومصرٍ». انتهى.

يتعرض الشيخ رحمته الله في هذه العقيدة إلى ضرورة أن يكون الإمام الذي يخلف الرسول ﷺ جامعاً للكفايات التي تجعله أفضل الناس على الإطلاق؛ لأنَّ لمنصب

الإمامة ومقام الحجية أهمية عظيمة، بحيث وصفته الروايات الشريفة بأنه لولا (القائم) على هذا المنصب لساخت الأرض ومن عليها، فهو الأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، وبالتالي فليس لأي أحد أن يدعي هذا المقام إلا إذا كان متصفاً بما يجعله أفضل من غيره على الإطلاق -بالإضافة إلى ما تقدم من ضرورة النص-.

وأما الدليل على ذلك فهو نفس الدليل الذي ذكر في لزوم كون النبي أفضل الموجودين قاطبةً، وقد تقدم أن هناك عدة أدلة لإثبات هذه المسألة، منها: أننا لو قسنا الإمام إلى غيره فلا يخلو الأمر: إما أن يكون مساوياً له أو أقل منه أو أفضل، فإن كان مساوياً لغيره فإن ترجيحه على الغير يكون ترجيحاً بلا مرجح، وإذا كان أقل فالعقل يحكم بتقديم الأفضل، فلا يبقى سوى تقديم الأفضل وترجيحه.

ثم تطرق الشيخ عليه السلام إلى ذكر بعض الصفات المتوفرة لدى الإمام، ثم أشار إلى تفسير لمعنى الإلهام أو النكت بالقلب.

ومن المناسب بعد هذا البيان، ذكر إشارتين:

الإشارة الأولى: أنواع كمالات الإمام

قبل الولوج في إيضاح أنواع كمالات المعصوم، لأبد من التنويه على أن ما ستناوله من كمالات تقتصر على الكمالات الذاتية للمعصوم، فلا يشتمل حديثنا مثل (التنصيب الإلهي على المعصوم) على الرغم من كونه هو الآخر كمالات.

تعتقد المدرسة الإمامية بأنه ليس لأي كان الحق بادعاء الإمامة بل لأبد من توفره على كمالات من عدة أنواع، فإذا هي توفرت فيه، أمكن أن يكون إماماً وخليفة عن الرسول عليه السلام وإلا فلا، وبما أن أنواع الكمالات هذه مشتركة بين الأنبياء والأئمة، فمن المفيد التحدث عنها تحت عنوان الكمالات في الحجة ليشملها معاً، وهي:

النوع الأول: الكمال البدني او الخَلقي.

فلا بُدَّ أن يكون جسم الحجة عمومًا خاليًا من التشوّهات البدنية والعلامات الفارقة الدالة على النقص كالعرج والعمى والخرس وغيرها، كذلك يجب أن يكون جسم الحجة خاليًا من المنفّرات كالرائحة النتنة المقرّفة سواءً كانت ولاديةً (أي منذ الولادة) أو عارضةً (كأن تعرض عليه لمرضٍ ونحوه)؛ ولذا تجد أنّ الأئمة عليهم السلام قد نفوا ما تضمنته بعض الروايات الموضوعة من نسبة التشوّهات الخلقية إلى بعض المعصومين، وأشهرها تلك التي وردت في قصة النبي أيوب عليه السلام حيث ذكرت أنّ جسمه وصل إلى مرحلة من التعفن بحيث أنّ الدود كان ينمو في جسده!

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «إن أيوب من جميع ما ابتلي به، لم تتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح، ولا استقدره أحد رآه، ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا تدوّد شيء من جسده، وهكذا يصنع الله تعالى بجميع من يتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه، وإنما أجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره لجهلهم بما له عند ربه تعالى ذكره من التأييد والفرج»^(١).

ومن لطيف ما ورد عن جابر بن عبد الله قال: «كان في رسول الله صلى الله عليه وآله خصال: لم يكن يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرفه...»^(٢).

وعن ثابت بن أنس بن مالك قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أزهر اللون، كأن لونه اللؤلؤ، وإذا مشى تكفأ، وما شممت رائحة مسك ولا عنبر أطيب من رائحته، ولا مسست ديباجة ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وآله كان أخف الناس صلاة في تمام.^(٣)

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٢ ص ٣٤٨.

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان الكوفي ج ١ ص ٥٥.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٦ ص ٢٣٨.

علاوة على ذلك، فقد كان ﷺ دائماً ما يضع العطور ويتطيب، ويؤكد عليه، بل روي أنه ما أنفقت في الطيب فليس بسرف^(١)، وأنه كان رسول الله ﷺ ينفق في الطيب أكثر مما ينفق في الطعام^(٢)، وأنه كان يُعرف موضع سجود أبي عبد الله ﷺ بطيب ريحه^(٣). فالتطيب أمر لطيف يسهم في التحابب والتقارب بين المؤمنين، على عكس الرائحة المنفرة التي تكون داعية للفرقة والتباعد؛ ولذا فقد ورد في بعض الروايات كراهة حضور المسجد لمن تنبعث من فمه رائحة الثوم وما الى ذلك، حتى يبقى على رائحة طيبة.^(٤)

النوع الثاني: الكمال النفسي

بمعنى أن تكون التصرفات النفسية للحجة مستقيمة، في الحالات الاعتيادية وفي الحياة اليومية مما يراه الناس بحيث تكشف بنفسها عن تفرده عن سائر الناس بصفات استثنائية.

وبعبارة أخرى: أن تكون أفعاله تكشف عن مقام الحجية، فتجد الحجة يتصف بالسكينة والهدوء وإن كان يمرُّ بأحلك الصعاب، كما نقل الشيخ المفيد في حالات الامام الحسين ﷺ عن حميد بن مسلم قال: فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناحاً منه ﷺ، إن كانت الرجالة لتشد عليه فيشد عليها بسيفه، فتنكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب.^(٥)

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦ / ص ٥١٢ / باب الطيب / ح ١٦).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦ / ص ٥١٢ / باب الطيب / ح ١٨).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦ / ص ٥١١ / باب الطيب / ح ١١).

(٤) في الكافي للكليني ج ٦ ص ٣٧٥ - ٣٧٦ باب الثوم ح ١ «عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ أَكْلِ الثُّومِ؟ قَالَ: إِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ لِرِيحِهِ، فَقَالَ: مَنْ أَكَلَ هَذِهِ الْبُقْلَةَ الْحَبِيثَةَ فَلَا يَقْرُبُ مَسْجِدَنَا فَأَمَّا مَنْ أَكَلَهُ وَلَمْ يَأْتِ الْمَسْجِدَ فَلَا بَأْسَ».

(٥) الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ١١١.

كذلك يجب أن يتصف الحجة بالتوكل المطلق على الله ﷻ، كما ورد في أحوال الإمام السجاد سلام الله عليه عن إبراهيم بن أدهم، وفتح الموصلي قال كل واحد منهما: «كنت أسبح في البادية مع القافلة فعرضت لي حاجة فتنحيت عن القافلة فإذا أنا بصبي يمشي فقلت: سبحان الله بادية بيداء وصبي يمشي! فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام، فقلت له: إلى أين؟ قال: أريد بيت ربي، فقلت: حبيبي انك صغير ليس عليك فرض ولا سنة، فقال: يا شيخ ما رأيت من هو أصغر سنا مني مات؟ فقلت: أين الزاد والراحلة؟ فقال: زادي تقواي وراحتي رجلاي وقصدي مولاي، فقلت، ما أرى شيئا من الطعام معك! فقال: يا شيخ هل يستحسن أن يدعوك انسان إلى دعوة فتحمل من بيتك الطعام؟ قلت: لا، قال: الذي دعاني إلى بيته هو يطعمني ويسقيني، فقلت: ارفع رجلك حتى تدرك، فقال علي الجهاد وعليه الابلاغ أما سمعت قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)...»^(٢)

وهذا يكشف عن شدة توكل الإمام زين العابدين عليه السلام على صغر سنه.

ومن صفات الحجة: هيئته في القلوب، رغم أنه لا يخرج عن الحد المتعارف في

(١) العنكبوت ٦٩

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٨٠، وتمام الرواية... قال: فبينما نحن كذلك إذا أقبل شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض حسنة فعانق الصبي وسلم عليه فأقبلت على الشاب وقلت له: أسألك بالذي حسن خلقك من هذا الصبي؟ فقال: أما تعرفه! هذا علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، فتركت الشاب وأقبلت على الصبي فقلت: أسألك بأبائك من هذا الشاب؟ فقال: أما تعرفه؟ هذا أخي الخضر يأتينا كل يوم فيسلم علينا، فقلت: أسألك بحق آبائك لما أخبرتني بها تجوز المفاوز بلا زاد؟ قال: بلى أجوز بزاد وزادي فيها أربعة أشياء، قلت: وما هي؟ قال: أرى الدنيا كلها بحدافيرها مملكة الله، وأرى الخلق كلهم عبيد الله واماءه وعياله، وأرى الأسباب والأرزاق بيد الله، وأرى قضاء الله نافذا في كل أرض الله، فقلت: نعم الزاد زادك يا زين العابدين وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة فكيف مفاوز الدنيا.

التصرف مع أصحابه، وقد وصف ضراؤ أمير المؤمنين عليه السلام في مجلس معاوية بأوصاف كان جُلُّها التواضع لله تعالى والناس، حيث روي أنه قال: «... كان والله فينا كأحدنا، يُديننا إذا أتينا، ويُجيبنا إذا سألناه، ويُقرِّبنا إذا زرناه، لا يُغلق له دوننا باب، ولا يحجبنا عنه حاجب، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نُكلمه لهيبته، ولا نبتديه لعظمته، فإذا تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم...»^(١).

ومن صفات الحجة: وضعه الشيء في موضعه، ومن ذلك اهتمامه البالغ بالوقت وحرصه على استثماره خير استثمار، فقد نقل ابن حجر في الصواعق في أولاد الإمام الهادي صلوات الله عليه ما نصه «أجلهم أبو محمد الحسن الخالص.... ووقع لبهلول معه أنه رآه وهو صبي يبكي، والصبيان يلعبون، فظن أنه يتحسر على ما في أيديهم، فقال: أشتري لك ما تلعب به؟ فقال: يا قليل العقل، ما للعب خلقنا. فقال له: فلماذا خُلقنا؟ قال: للعلم والعبادة! فقال له: من أين لك ذلك؟ قال من قول الله ﷻ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢)، ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات، ثم خرّ الحسن مغشياً عليه، فلما أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك؟! فقال: إليك عني يا بهلول، إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار، فلا تتقد إلا بالصغار، وإني أخشى أن أكون من صغار حطب نار جهنم»^(٣).

النوع الثالث: الكمال الأخلاقي

نعتقد أن الحجة عموماً والإمام خصوصاً يجب أن يتحلّى ليس بمجرد الأخلاق، وإنما أن يكون على قمة الهرم الأخلاقي، فمثلاً يقر القرآن الكريم بقانونين أخلاقيين:

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي (ج ٤١ / ص ١٥).

(٢) المؤمنون ١١٥

(٣) الصواعق المحرقة لأحمد بن حجر الهيتمي المكي ص ٢٠٧.

أحدهما: ردُّ الاعتداء ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(١) والآخر أرقى منه وهو قانون العفو والمغفرة ﴿الَّذِينَ يُتَّقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) فعلى الرغم من إن كليهما أخلاقي، وبأي منهما التزم المؤمن فإنه لا يخرج عن دائرة التعامل الأخلاقي، إلا أن الإمام لا يتعامل إلا بالثاني منها عادة، ولذا فهو لا يتصف بالأخلاق وحسب، بل بالكمال الأخلاقي أيضاً.

رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام «كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ، فَمَرَّتْ بِهِمْ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَتْهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقَالَ عليه السلام: إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ هَبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيَلْمَسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَأَمْرَأَتِهِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ، قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا مَا أَفْقَهَهُ! فَوَثَبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ عليه السلام رُوَيْدًا إِنَّمَا هُوَ سَبُّ بِسَبِّ أَوْ عَفْوٌ عَن ذَنْبٍ»^(٣).

ولم ينقل التاريخ أنه عاقبه، فهنا الإمام عليه السلام اختار القانون الأرقى.

وروي عن المبرِّد وابن عائشة: أَنَّ شامياً رأى الحسن بن علي عليهما السلام راكباً فجعل يلعنه! والحسن لا يردُّ. فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلم عليه وضحك، فقال: «أيتها الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبتك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنياك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرَّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك، كان

(١) البقرة ١٩٤

(٢) آل عمران ١٣٤

(٣) نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٨ - ٩٩ الحكمة ٤٢٠.

أعود عليك، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً».

فلما سمع الرجل كلامه، بكى ثم قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحبُّ خلق الله إليّ، وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبتهم^(١).

وقال نصراني للإمام الباقر عليه السلام: أنت بقر؟ قال: «أنا باقر»، قال: أنت ابن الطباخة؟ قال: «ذاك حرفتها»، قال: أنت ابن السوداء الزنجية البذيئة؟ قال: «إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك»، قال: فأسلم النصراني^(٢).

ولم يكتفِ الأئمة عليهم السلام بالقمم من الأخلاق لأنفسهم، بل حثوا شيعتهم على الاتصاف بها أيضاً، منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «... فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشراً، فقل: إن قلت عشراً لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل: إن كنت صادقاً فيما تقول فالله أسأل أن يغفرها لي، وإن كنت كاذباً فيما تقول فالله أسأل أن يغفرها لك، ومن وعدك بالجفاء فعهده بالنصيحة والدعاء...»^(٣).

فعلى من يدّعي التشيع أن يتصف بمعالي ومكارم الاخلاق، وقد كان مالك الأشتر من خير من امثال لأقوالهم عليهم السلام واتصف بصفاتهم، فقد حكي أن مالكاً الأشتر عليه السلام كان مجتازاً بسوق الكوفة وعليه قميصٌ خامٌ وعمامةٌ منه، فرآه بعض السوقة فازدري بزِيّه، فرماه ببندقة تهاوناً به، فمضى ولم يلتفت. فقيل له: ويلك! أتدري بمن رميت؟ فقال: لا، فقيل له: هذا مالكٌ صاحبُ أمير المؤمنين عليه السلام. فارتعد الرجل ومضى إليه ليعتذر منه، فرآه وقد دخل مسجداً وهو قائمٌ يصلي، فلما انفتل أكبَّ الرجل على قدميه

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ج ٣ / ص ١٨٤).

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٣٣٧.

(٣) مشكاة الأنوار لعلي الطبرسي (ص ٥٦٤).

يَقْبَلُهَا، فَقَالَ: مَا هَذَا الْأَمْرُ؟ فَقَالَ: أَعْتَدْتُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعْتُ. فَقَالَ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ؛ فَوَاللَّهِ مَا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ إِلَّا لِأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ. (١)

كما نُقِلَ عن الخواجة نصير الدين الطوسي، قيل: إن ورقة حضرت إليه من شخص من جملة ما فيها: يا كلب بن كلب. فكان الجواب: أما قولك (يا كذا) فليس بصحيح، لأن الكلب من ذوات الأربع، وهو نابح طويل الأظفار، وأما أنا فممتصب القامة بادي البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك، فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص. وأطال في نقض كلما قاله. هكذا رد عليه بحسن طوية وتأن غير منزعج، ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة. (٢)

فكان جوابه منطقيًا لا ردًا عليه بالمثل.

وأيضًا نقل أنه في أحد الأيام التي كان شيخ الفقهاء العظام المرحوم الحاج الشيخ جعفر صاحب (كشف الغطاء) موجودًا في (أصفهان) أنه قَسَمَ مرة حقوقًا شرعية على الفقراء قبل شروعه بالصلاة. فعند انتهائه من تلك الصلاة، وقيامه للصلاة الأخرى جاءه أحد السادات الفقراء - الذين أخبروا بالأمر - بين الصلاتين، وقال له: أعطني من مال جدي. فقال له: لقد جئت متأخرًا، ولا يوجد عندي الآن شيء لأعطيك منه. فغضب ذلك السيد، وبصق على لحية الشيخ المباركة. فقام الشيخ من المحراب، ورفع طرف رداءه وأخذ يدور في صفوف الجماعة وهو يقول: (من كان يحترم شبيهة الشيخ فليساعد هذا السيد). فمألاً الناس طرف ثوبه بالأموال، ثم أعطاهم الشيخ للسيد. وبعد ذلك توجه لصلاة العصر. (٣)

(١) تنبيه الخواطر لورام بن أبي فراس ص ١٠.

(٢) خاتمة المستدرك للميرزا حسين النوري الطبرسي ج ٢ ص ٤٢٣.

(٣) منازل الآخرة للشيخ عباس القمي ص ٢١٥.

النوع الرابع: الكمال العلمي

من المعلوم أنه لا بُدَّ أن يكون الإمام عالماً، وبشروط:

١/ أن يكون أعلم الناس.

٢/ أن لا يكون قد أخذ هذا العلم من غيره، إلا إذا كان ذلك الغير نبياً أو إماماً مثله، كما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال علي عليه السلام: علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب، يفتح ألف باب». (١)

وعن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله علم علياً عليه السلام باباً من العلم، ففتح ألف باب، لكل باب فتح له الف باب». (٢)

٣/ أن يكون عالماً باللغات المختلفة، وهذا ما يقتضيه كونه حجة الله على الأرض والمكلف بيان الأحكام الإلهية لكل الناس.

٤/ أن يكون الإمام يعرف حتى لغة الحيوانات.

وقد أثبتت السير العطرة لأئمتنا عليهم السلام أنهم أعلم الناس رغم صغر سنهم، فالإمام المهدي عليه السلام استلم الإمامة وعمره خمس سنوات، والإمام الهادي عليه السلام استلم الإمامة وعمره ست أو ثمان سنوات، والإمام الجواد عليه السلام استلم الإمامة وعمره ست سنوات، ومن يقرأ التاريخ يجد كيف أن الإمام الجواد عليه السلام مثلاً ردَّ على يحيى بن الأكمم عندما سأله عن محرم قتل صيداً وكيف فصل له وفرع له فروعاً متكثرة من هذا السؤال، بحيث عجز ابن الأكمم أن يجيبه (٣)، وأنه عليه السلام سأل ابن أكمم فقال له: «يا أبا محمد ما تقول في رجل

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٤٧.

(٢) بصائر الدرجات للصفار ص ٣٢٣ الباب (١٦) باب في ذكر الأبواب التي علم رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام ح (٥).

(٣) تحف العقول للحراني ٤٥٢...

حرمت عليه امرأة بالغداة وحلت له ارتفاع النهار وحرمت عليه نصف النهار، ثم حلت له الظهر، ثم حرمت عليه العصر، ثم حلت له المغرب، ثم حرمت عليه نصف الليل، ثم حلت له الفجر، ثم حرمت عليه ارتفاع النهار، ثم حلت له نصف النهار؟ فبقي يجيب والفقهاء بلساً خرساً^(١)، فقال المأمون: يا أبا جعفر أعزك الله بين لنا هذا؟ قال ﷺ: هذا رجل نظر إلى مملوكة لا تحل له، اشتراها فحلت له. ثم أعتقها فحرمت عليه، ثم تزوجها فحلت له. فظاهر منها فحرمت عليه. فكفر الظهار فحلت له، ثم طلقها تطليقة فحرمت عليه، ثم راجعها فحلت له، فارتد عن الاسلام فحرمت عليه. فتاب ورجع إلى الاسلام فحلت له بالنكاح الأول، كما أقر رسول الله ﷺ نكاح زينب مع أبي العاص بن الربيع حيث أسلم على النكاح الأول.^(٢)

وفي هذه المحاوراة لم يكن الإمام ﷺ قد بلغ الحلم بعد!

بل إنهم كانوا يعرفون حتى لغات الحيوان، ففي رواية عن عبد الله بن قيس قال: كنت مع من غزى مع أمير المؤمنين ﷺ في صفين وقد أخذ أبو أيوب الأعور السلمي الماء وحرزه عن الناس فشكى المسلمون العطش فأرسل فوارس على كشفه فأنحرفوا خائبين، فضاقت صدره، فقال له ولده الحسين ﷺ أمضي إليه يا أبتاه؟ فقال: امض يا ولدي، فمضى مع فوارس فهزم أبو أيوب عن الماء، وبنى خيمته وحط فوارسه، وأتى إلى أبيه وأخبره. فبكى علي ﷺ فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ وهذا أول فتح ببركة الحسين ﷺ فقال: ذكرت أنه سيقتل عطشاناً بطف كربلاء، حتى ينفر فرسه ويحمم ويقول: الظليمة الظليمة لأمة قتلت ابن بنت نبيها.^(٣)

(١) البلس - بالضم - : جمع أبلس: المتحير. والخرس - بالضم - : جمع أخرس: الذي انعقد لسانه عن

الكلام. [هامش المصدر]

(٢) تحف العقول للحراني ص ٤٥٤.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ص ٢٦٦.

النوع الخامس: الكمال الغيبي

أي أن تكون للحجة قدرات غيبية لا يمكن لغيره أن يفعلها، كالإخبار بالمغيبات (المستقبلات) وكمعرفته ما في داخل النفس، وكإحياء الموتى وما شابه ذلك من الأمور.

وكل ما تقدم إنَّما هي كمالات لا بُدَّ أن يتسم بها من يدَّعي أنَّه حجة الله.

وقد شهد التاريخ على أن أئمتنا (سلام الله عليهم) هم فقط -دون سواهم- المصاديق الحقيقية لأئمة الإسلام وخلفاء الرسول الأكرم ﷺ؛ لما اتَّسموا به من مختلف هذه الكمالات لذا نجد أن لا أحد يستطيع أن ينكرها لهم، لاسيما المعتزلة الذين اعترفوا بأفضلية أمير المؤمنين ﷺ.

ومن يقرأ التاريخ بعين الإنصاف يتجلَّ له وبشكل واضح الإمام الحقِّ عمَّا سواه، لأن الكامل هو من يحتاج إليه الناس ولا يحتاج إلى أحد، وهذا أحد الأدلة التي استخدمها الفراهيدي لما سُئل عن أفضلية علي بن أبي طالب سلام الله عليه قال: «احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل إمامته»، ولكن التعصب الأعمى حال دون هدايتهم، فحيث إنَّهم لم يستطيعوا أن ينكروا أفضليته ﷺ، فقد عمدوا إلى إنكار قاعدة عقلية ووجدانية أيضًا، إذ قالوا بعدم لزوم اتباع الفاضل بل يجوز تقديم المفضول على الفاضل! وهم في هذا إنَّما خالفوا وجدانهم واستهانوا بعقلهم؛ لأن كلاً من العقل والوجدان يستقبchan تقديم المفضول مع وجود الفاضل.

وقد أشار الشيخ ﷺ إلى ضرورة أن يتصف الإمام بكل صفات الكمال فقال: «ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل ومن تدبير وعقل وحكمة وخلق (خلق) والدليل في النبي هو نفسه الدليل في الإمام...».

قال الشيخ رحمته الله:

«أما علمه، فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الامام من قبله...».

الإشارة الثانية: مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام

إن من يطالع التاريخ العام والخاص، يجد أن هناك ظاهرة ملفتة للنظر في حق أهل البيت عليهم السلام، وهي أنهم كانوا أعلم الناس في زمانهم على الإطلاق، رغم أنهم لم يأخذوا العلم من أي أحد، فلم ينقل لنا التاريخ - عامه وخاصة - عن أحد كان أستاذاً لأحد الأئمة عليهم السلام، فالكل كان عيلاً على أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما يدعو إلى الاستغراب، فكيف يخرج أحدهم عالماً رغم أنه لم يأخذ العلم من أي معلم!

إن هذا يدعونا لأن نبحث عن المصادر التي كان أهل البيت عليهم السلام يعتمدون عليها في ذلك، وهذا ما أغتننا به مكتبة أهل البيت عليهم السلام العلمية الغنية الأحاديث الشريفة في كل المجالات.

فما هي المصادر التي كان أهل البيت (سلام الله عليهم) يعتمدونها على ذلك؟
ويمكن الإجابة بجوابين:

أولهما: إجمالي:

حيث إننا نعتقد أن الإمام معصوم، فلا غرابة حينئذٍ في عدم تعلمه من غير المعصوم؛ لأن العصمة تعني فيما تعنيه: العلم الخاص الذي يتمتع به المعصوم منذ نعومة أظفاره، وهو علمٌ لدني، أي هو من لدن الله تبارك وتعالى.

وثانيهما: تفصيلي:

عندما نرجع لكلماتهم عليهم السلام نجد أنهم قد بينوا العديد من مصادر العلوم التي

أعنتهم عن غيرهم، وتلك المصادر على نحو الإجمال هي التالي:

الأول: القرآن الكريم

لا شك أن أهم مصادر العلوم الإسلامية عموماً هو القرآن الكريم، ولكن القرآن الكريم والروايات تؤكد أن الذي يستطيع فهم القرآن هم الراسخون في العلم وهم أهل البيت عليهم السلام، فعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله. ^(١)

وهذا ينبغي أن يكون واضحاً، إذ القرآن نزل في بيوتهم، وأهل البيت أدري بما فيه. إذا عرفنا هذا، فاعلم أن من أهم مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام هو القرآن الكريم. فعن محمد بن شريح قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «والله لولا أن الله فرض ولايتنا ومودتنا وقرابتنا ما أدخلناكم بيوتنا، ولا أوقفناكم على أبوابنا، والله ما نقول بأهوائنا، ولا نقول برأينا، ولا نقول إلا ما قال ربنا». ^(٢)

إن الروايات الشريفة تؤكد على أن أعلم الناس بالقرآن الكريم هو أمير المؤمنين عليه السلام، هذا ما تؤكد الآيات القرآنية المفسرة بالروايات الشريفة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، يقول تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾. ^(٣)

إن صريح هذه الآية في أن هناك شهيداً بين الذين يكذبون النبي الأكرم عليه السلام وبينه، وهو الله تعالى ومن عنده علم الكتاب، فمن هو من عنده علم الكتاب؟

قيل هو (الله) تعالى، وهو رأي ترده نفس الآية، لأن الآية تقول: إن الشهود اثنين،

(١) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢٢٤ باب ١١ ح ٥.

(٢) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٣٢٠ باب ١٤ ح ٥.

(٣) سورة الرعد (٤٣).

وهما الله تعالى ومن عنده علم الكتاب.

وقيل: هو عبد الله بن سلام، وقيل: هو سلمان المحمدي الفارسي، وهذا أيضاً مردود، لأنها أسلمها في المدينة، وهذه الآية هي من سورة الرعد، وهي سورة مكية!

والصحيح هو ما روي عن النبي الأكرم ﷺ عن أبي سعيد الخدري قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله جل ثناؤه: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾؟ قال: ذاك وصي أخي سليمان بن داود. فقلت له: يا رسول الله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾؟ قال: ذاك علي بن أبي طالب.^(١)

والالتفات إلى الفرق بين ﴿عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الذي يعني العلم الجزئي، و﴿عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الذي يعني العلم الكلي، يكشف البون الشاسع بين آصف بن برخيا وصي سليمان ﷺ وعلي ﷺ.^(٢)

الثاني: تعاليم النبي الأكرم ﷺ

وهذا واضح جداً في روايات أهل البيت (سلام الله عليهم).

ففي رواية أنه قال رسول الله ﷺ لأمر المؤمنين ﷺ: «اكتب ما أملي عليك. فقال: يا نبي الله، أتخاف علي النسيان؟ فقال ﷺ: لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن اكتب لشركائك.

قال: قلت: ومن شركائي، يا نبي الله؟

قال: الأئمة من ولدك، بهم تسقى أمتي الغيث، وبهم يستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف الله عنهم البلاء، وبهم ينزل الرحمة من السماء، وهذا أولهم. وأومى بيده إلى

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٦٥٩ ح ٨٩٢ / ٣.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٢ - ص ٧٤.

الحسن بن علي عليه السلام، ثم أومى بيده إلى الحسين عليه السلام، ثم قال: الأئمة من ولده»^(١).
 من هنا روي عن جابر قال: «قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: إذا حدثني بحديث فأسنده لي، فقال: حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل عليه السلام، عن الله تعالى، وكل ما أحدثك بهذا الإسناد. وقال: يا جابر لحديث واحد تأخذه عن صادق خير لك من الدنيا وما فيها»^(٢).

لذا يسأل البعض إذا ورد حديث عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه أنستطيع أن نقول عن الرسول صلى الله عليه وآله؟ والجواب فيما روي عن أبي بصير قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الْحَدِيثُ أَسْمَعُهُ مِنْكَ أَرَوِيهِ عَنْ أَبِيكَ أَوْ أَسْمَعُهُ مِنْ أَبِيكَ أَرَوِيهِ عَنْكَ؟ قَالَ عليه السلام: سَوَاءٌ، إِلَّا أَنَّكَ تَرَوِيهِ عَنْ أَبِي أَحَبُّ إِلَيَّ. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لِحَمِيلٍ: مَا سَمِعْتَ مِنِّي فَارُوهُ عَنِّي»^(٣).

إشارة هامة:

إنَّ أهل البيت سلام الله عليهم يؤكدون على الكتابة لا الحفظ، ففي الكافي^(٤) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الْقَلْبُ يَتَكَلَّمُ عَلَى الْكِتَابَةِ». وعن أبي بصير قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «اَكْتُبُوا فَإِنَّكُمْ لَا تَحْفَظُونَ حَتَّى تَكْتُبُوا».

وعن عبيد بن زُرارة قال: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «اَحْفَظُوا بِكُتُبِكُمْ فَإِنَّكُمْ سَوْفَ تَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا».

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٤٨٥ ح ٦٥٩ / ١.

(٢) أمالي الشيخ المفيد ص ٤٢ ح ١٠.

(٣) الكافي للكليني: ج ١، ص ٥١، بَابُ رِوَايَةِ الْكُتُبِ وَالْحَدِيثِ وَفَضْلِ الْكِتَابَةِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ ح ٤.

(٤) الكافي للكليني: ج ١، ص ٥٢، بَابُ رِوَايَةِ الْكُتُبِ وَالْحَدِيثِ، الْأَحَادِيثُ: ٨ و ٩ و ١٠ و ١١.

وَعَنِ الْمُفْضَلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «اُكْتُبْ، وَبُثَّ عِلْمَكَ فِي إِخْوَانِكَ، فَإِنْ مِتَّ فَأَوْرِثْ كُتُبَكَ بَيْنَكَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ هَرَجَ لَا يَأْنُسُونَ فِيهِ إِلَّا بِكُتُبِهِمْ».

وكذا أوصانا أساتذتنا في الحوزة العلمية المباركة، ولقد كان الأستاذ الشيخ باقر الأيرواني (حفظه الله) يقول: هذه المطالب العلمية مثل السمكة، كلما أمسكتها من جهة أفلتت من جهة أخرى؛ لذا يجب أن تُقيد بالكتابة والمراجعة.

فإذا أدركنا أهمية الكتابة في حفظ العلوم وتوارثها، تبين لنا مدى فداحة الجريمة التاريخية العظمى في منع تدوين أحاديث النبي الأعظم عليه السلام، والروايات صريحة جداً وثابتة حتى عند أهل العامة، بأن الخلفاء: أبا بكر وعمر وعثمان وأول الملوك الجابرة في الإسلام معاوية، عملوا على منع ليس فقط تدوين الحديث وإنما تناقل الحديث أيضاً سوى الأحاديث التي كانت موجودة في زمن أبي بكر وعمر. وليت الأمر توقف عند منع تدوينها وتناقلها، بل تعدهما إلى الأمر بإحراق الأحاديث المدونة عن النبي عليه السلام بأمر من أبي بكر برواية عن عائشة بنت أبي بكر.

قال عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله عليه السلام فكانت خمسمائة حديث، فبات ليلة يتقلب كثيراً، قالت: فغممني فقلت تتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فأحرقها وقال، خشيت أن أموت وهي عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد تقلدت ذلك.^(١)

فحُرقت أحاديث الرسول الأكرم عليه السلام على الرغم من علمهم بأنه ليس فيها سوى الحق، بل يظهر من بعض الروايات أن هناك محاولات للتقليل من شأن أحاديث

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٠ ص ٢٨٥.

النبي ﷺ في حياته، ومنع البعض من تدوين الأحاديث لأجل ذلك، فقد روي عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش عن ذلك، وقالوا: تكتب ورسول الله ﷺ يقول في الغضب والرضا! فأمسكتُ، حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق»^(١).

وفي الحقيقة، لم ترتكب جريمة منع تدوين الأحاديث أول مرة بعد رحيل رسول الله ﷺ، بل ارتكبت وبكل جراءة ووقاحة في محضره روجي فداه، وهي الكلمة التي قيلت في حضرة النبي الأكرم ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، عندما طلب من المسلمين أن يأتوه بدواة وكتف ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فقال قائلهم: «إن الرجل ليهجر»^(٢)، أو «حسبنا كتاب الله»^(٣)، قاصدين بذلك عدم الحاجة لأحاديث النبي

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢: ١٩٢.

(٢) عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: اشتكى النبي ﷺ يوم الخميس، فجعل - يعني ابن عباس - يبكي ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد بالنبي ﷺ وجعه، فقال: «أتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً»، قال: فقال بعض من كان عنده: إن نبي الله ليهجر! قال: فقيل له: ألا نأتيك بما طلبت؟ قال: «أو بعد ما قال؟! - أو بعد ماذا؟ - فلم يدع به...» (الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٢٤٢).

أقول: لاحظ كيف أنهم لا يصرّحون بالقائل لتلك الكلمة رغم وضوح أنه عمر، وما ذاك إلا لأنهم يريدون الحفاظ على قداسه عندهم وإن كانت من نوع المكابرة، ولو على حساب إخفاء الحقيقة.

(٣) عن ابن عباس، قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: «هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده»، فقال عمر: إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاخصموا، منهم من يقول: قروا يكتب لكم النبي ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر. فلم أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: «قوموا». قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم. (صحيح البخاري ٧: ٩).

الأكرم ﷺ.

ثم ما الذي حدث ليتحول الممنوع إلى مسموح به؟! حيث أخذ القوم - وعلى خلاف أئمتهم - بتدوين الأحاديث في كتب الصحاح واعتمادها بل وجعلها بالمرتبة الثانية بعد القرآن مباشرة.

الثالث: أصول العلم.

من الواضح إنَّ للعلم أصولاً، والأصول تعني: قواعد عامة يمكن أن يستخرج منها أحكام وجزئيات لتلك القاعدة العامة، والذي يستطيع استخراج الأحكام الجزئية هو من يعرف تلك الأصول، لذلك ورد أن أهل البيت صلوات الله عليهم ألقوا إلى أصحابهم أصول العلم وتركوا التفريع لعلماء الشيعة ليفتحوا بذلك باب الاجتهاد الأصولي الشيعي المعروف. فقد روي عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إنما علينا أن نلقي إليكم الأصول، وعليكم أن تفرعوا».

وما روي عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال: «علينا إلقاء الأصول إليكم، وعليكم التفريع».^(١)

وبمطالعة الروايات الشريفة يتضح أن لأهل البيت (سلام الله عليهم) أصول علم، تُفتح لهم من تلك العلوم علوم أخرى، عن أبي جعفر ﷺ قال: «قال علي ﷺ: علمني رسول الله ﷺ ألفَ باب، يفتح ألفَ باب».^(٢)

وعن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: «إن رسول الله ﷺ علّم علياً ﷺ باباً من العلم، ففتح ألفَ باب، لكل باب فتح له الف باب».^(٣)

(١) مستطرفات السرائر لابن إدريس الحلبي ص ٥٧٥.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٤٧.

(٣) بصائر الدرجات للصفار ص ٣٢٣ الباب (١٦) باب في ذكر الأبواب التي علم رسول الله ﷺ.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة دعاني فلما دخلت عليه قال لي: يا علي أنت وصيي وخليفتي على أهلي وأمتي، في حياتي وبعد موتي، وليك وليي ووليي ولي الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، يا علي المنكر لولايتك بعدي كالمنكر لرسالتي في حياتي لأنك مني وأنا منك، ثم أدناني فأسرّ إلي ألف باب من العلم، كل باب يفتح ألف باب». ^(١)

الرابع: كتب الأنبياء السابقين (غير المحرّفة)

لا شك أن جميع الديانات السماوية النازلة من الله صلى الله عليه وآله كانت أصول الشرائع فيها واحدة، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾. ^(٢)

فأصول الدين واحدة والكتب التي نزلت من الله تعالى غير المحرّفة لا شك أن فيها علوماً تنفع الأمم، وفيها معارف ثرة تعالج كثيراً من جوانب الحياة، فمن يعلمها لا شك أنها تُغنيه بعلوم تنفعه في إفتائه ووعظه وإرشاده، وأهل البيت عليهم السلام كانت عندهم تلك العلوم، لذا نجد الكثير من الروايات أن الإمام الصادق عليه السلام يروي حديثاً عن النبي عيسى عليه السلام مثلاً، أو حكم لقمان أو قضايا عن النبي إبراهيم عليه السلام، وهذا يعني: أنه يدعونا إلى الامتثال لقول النبي عيسى عليه السلام.

وهناك روايات كثيرة تؤكد هذا المعنى، منها ما روي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّ اللَّهَ صلى الله عليه وآله لَمْ يُعْطِ الْأَنْبِيَاءَ شَيْئاً إِلَّا وَقَدْ أَعْطَاهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله».

أمير المؤمنين عليه السلام ح (٥).

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٥٢.

(٢) الشورى: ١٣.

قَالَ: وَقَدْ أُعْطِيَ مُحَمَّدًا جَمِيعَ مَا أُعْطِيَ الْأَنْبِيَاءَ، وَعِنْدَنَا الصُّحُفُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، هِيَ الْأَلْوَاحُ؟ قَالَ نَعَمْ. (١)

وَعَنْ يُونُسَ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فِي حَدِيثِ بُرَيْهٍ، «أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ مَعَهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَلَقِيَ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ ﷺ فَحَكَى لَهُ هِشَامُ الْحِكَايَةَ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ ﷺ لِبُرَيْهٍ: يَا بُرَيْهٍ، كَيْفَ عَلِمْتُكَ بِكِتَابِكَ؟ قَالَ: أَنَا بِهِ عَالِمٌ. ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ ثَقِّتَكَ بِتَأْوِيلِهِ؟ قَالَ: مَا أَوْثَقَنِي بَعْلَمِي فِيهِ. قَالَ: فَأَبْتَدَأَ أَبُو الْحَسَنِ ﷺ يَقْرَأُ الْإِنْجِيلَ. فَقَالَ بُرَيْهٌ: إِيَّاكَ كُنْتُ أَطْلُبُ مِنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً أَوْ مِثْلَكَ. قَالَ: فَأَمَنْ بُرَيْهٌ وَحَسَنَ إِيمَانُهُ وَأَمَنَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ. فَدَخَلَ هِشَامُ وَبُرَيْهٌ وَالْمَرْأَةُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، فَحَكَى لَهُ هِشَامُ الْكَلَامَ الَّذِي جَرَى بَيْنَ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى ﷺ وَبَيْنَ بُرَيْهٍ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: ﴿ذُرِّيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فَقَالَ بُرَيْهٌ: أَنَّى لَكُمْ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلُ وَكُتُبُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ ﷺ: هِيَ عِنْدَنَا وَرِاثَةٌ مِنْ عِنْدِهِمْ، نَقْرُؤُهَا كَمَا قَرَأُوهَا، وَنَقُوهَا كَمَا قَالُوا، إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْعَلُ حُجَّةً فِي أَرْضِهِ يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي. (٢)

لذلك ورد في روايات المستقبل أن الإمام الحجة ﷺ بأنه سيجلس مع أصحاب كل الديانات وكل حسب كتابه يناظره ويناقشه، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: «... فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، فإنها سُمِّي المهدي لأنه يهدي لأمر خفي، يستخرج التوراة وسائر كتب الله من غار بأنطاكية، فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٢٥ بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ وَرَثُوا عِلْمَ النَّبِيِّ وَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ح ٥.

(٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٢٧ بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ ﷺ عِنْدَهُمْ جَمِيعَ الْكُتُبِ الَّتِي نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ وَأَتَتْهُمْ يَعْزِفُوهَا عَلَى اخْتِلَافٍ أَلْسِنَتِهَا ح ١.

أهل الفرقان بالفرقان...»^(١).

وهذا لا يُعدّ إقرارًا لهم على دياناتهم، وإنما هي مناقشة لعلمائهم بكتبهم في مقام البيان العلمي ليثبت لهم أنه الحق من كتبهم.

الخامس: كتاب علي عليه السلام

وقد تقدّم معنى هذا المصحف^(٢)، وأنّ فيه خصيصتين الأولى: أنّه مرتب حسب النزول، والثانية: أنه كُتب فيه تفسير القرآن الكريم الذي أخذه عن النبي صلى الله عليه وآله، وهذا بحد ذاته يعتبر علمًا يستفاد منه، وصحيفة علي صلوات الله عليه التي تحوي على الأمور الفقهية.

السادس: مصحف فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

وقد رويت فيه عدة روايات: عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدرهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟!»، قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: «مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»^(٣).

وعن حماد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أنّي نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام»، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: «إنّ الله تعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلاّ الله صلى الله عليه وآله، فأرسل الله إليها ملكاً يُسليّ غمّها ويُحدّثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: إذا أحسستِ بذلك وسمعتِ الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك،

(١) بحار الأنوار ٥١: ٢٩ / ح ٢، عن علل الشرائع ١: ١٦١ / باب ١٢٩ / ح ٣.

(٢) انظر: عقيدتنا في القرآن الكريم.

(٣) الكافي ١: ٢٣٩ / باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام / ح ١.

فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلِّما سمع حتَّى أثبت من ذلك مصحفاً، قال: ثمَّ قال: «أما إنَّه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون»^(١).

وعن الحسين بن أبي العلاء قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عندي الجفر الأبيض. قال: قلنا: وأي شيء فيه؟ قال: فقال عليه السلام لي: زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى ومصحف إبراهيم والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعجنا فيه قرآناً وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى أن فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلاث الجلدة وربيع الجلدة وأرش الخدش...»^(٢).

والمصحف لغةً هو ما فيه أوراق تُتصفح، أي هي أوراق مجموعة في جلد واحد وتُتصفح، وهذا المعنى المراد من مصحف فاطمة (سلام الله عليها)، وفيما بعد انتقل لفظ (مصحف) إلى القرآن الكريم.

ويظهر من الروايات أن هناك مصحفين للزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وهما:

١/ مصحف العلوم الغيبية المستقبلية، وهو ما روي عن حماد بن عثمان.

٢/ مصحف التكاليف الشرعية، وهو ما روي عن الحسين بن أبي العلاء، فهو رسالة عملية فيها الأحكام الشرعية وعلى الأقل كتاب فقهي في الديات وأحكامها.

السابع: الجامعة:

يظهر من بعض الروايات الشريفة أن الجامعة كتاب فيه الأحكام الشرعية التي يحتاجها المسلم، فهو شبيه بالرسالة العملية أو بأحد مصاحف فاطمة صلوات الله عليها، لكنها من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله.

عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال له: «يا أبا محمد، وإنَّ عندنا الجامعة،

(١) الكافي ١: ٢٤٠ / باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام / ح ٢.

(٢) بصائر الدرجات للصغار ص ١٧٠ باب الجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام ح ١.

وما يدرهم ما الجامعة؟»، قلت: جعلت فداك، وما الجامعة؟ قال: «صحيفة طوها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ، وإملائه من فلق فيه وخطّ علي بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش في الخدش»، وضرب بيده إليّ فقال: «تأذن لي يا أبا محمّد؟»، قلت: جعلت فداك، إنّما أنا لك فاصنع ما شئت، فغمزني بيده وقال: «حتّى أرش هذا _ كأنه مغضب _...» الخ^(١).

الثامن: الجفر:

الظاهر من الروايات أنّ العلم المشتمل على علم المنايا والبلايا، كما في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يتكلّم مع أصحابه، فقال فيما قال: «... نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة الذي حُصّ به محمّداً والأئمّة من بعده عليه السلام، وتأملت منه مولد غائبنا وغيبته وابطاءه وطول عمره وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان وتولد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينهم وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم...»^(٢).

فهذه الرواية تُبيّن معنى الجفر، وتدلّ على أنّه من العلوم الموجودة عند الإمام عليه السلام، وهو ما دلّت عليه أيضاً رواية الإمام الرضا عليه السلام في علامات الإمام حيث يقول: «... عنده الجفر الأكبر والأصغر...»^(٣).

نعم، ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ الجفر ليس علماً خاصاً، وإنّما هو وعاء فيه علوم، فهو بمثابة الخزينة أو المكتبة^(٤)، ففي الرواية: «وأما الجفر الأحمر فوعاء

(١) الكافي ١: ٢٣٨ و ٢٣٩ / باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام / ح ١.

(٢) كمال الدين: ٣٥٣ و ٣٥٤ / باب ٣٣ / ح ٥٠.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٩٢ و ١٩٣ / ح ١.

(٤) جاء في تاج العروس (ج ٦ / ص ٢٠٥ / مادّة جفر) ما يمكن أن يكون مشيراً إلى هذا المعنى، قال: والجفر: جعبة من جلود لا خشب فيها، أو من خشب لا جلود، وفي بعض الأصول الجيدة: لا

فيه سلاح رسول الله ﷺ، ولن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت. وأمّا الجفر الأبيض فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وكتب الله الأولى...»^(١).
ولا تعارض بين المعنيين للجفر، إذ لا إشكال في وجود الجفر بكلا معنييه عندهم ﷺ.

التاسع: الإلهام.

وقد ذكره الشيخ ﷺ في كتابه.

روي عن عمّار السَّاباطِيِّ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْإِمَامِ يَعْلَمُ الْغَيْبَ؟ فَقَالَ ﷺ: لَا، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ».^(٢)

وعن الحرث بن المغيرة النضري قال: «قلت لأبي عبد الله ﷺ: جعلت فداك، الذي يُسأل عنه الامام وليس عنده فيه شيء، من أين يعلمه؟ قال ﷺ: ينكت في القلب نكتاً، أو يُنقر في الاذن نقراً».^(٣)

فالإلهام قوة خاصة عند الإمام المعصوم ﷺ، يُمكنه من خلالها أن يعلم ما لا يعلمه، وهي مرتبة متقدمة وعالية جداً من الذكاء الذي إحدى مراحل الحدس - كما أشار الشيخ ﷺ-، إذ قد يحدس الإنسان شيئاً فيقع، فإن تطور الحدس صار إلهاماً.

وللإمام أعلى مستويات الذكاء والإلهام بلا شك، فإذا أراد شيئاً أعلمه الله تعالى،

جلد فيها، وهي من جلود مشقوقة في جنبها، يُفعل ذلك بها ليدخلها الريح، فلا يأتكل الريش. وقال الأهرم: الجفير والجبعة: الكنانة. وقال الليث: الجفير شبه الكنانة إلا أنه أوسع منها، يُجعل فيها نشاب كثير. وفي الحديث: «من اتخذ قوساً عربيةً وجفيرا نفى الله عنه الفقر».

(١) بحار الأنوار ٢٦: ١٨ / ح ١، عن الإرشاد ٢: ١٨٦، والاحتجاج ٢: ١٣٤.

(٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٥٧ بابٌ نادرٌ فيه ذُكرُ الغيب ح ٤.

(٣) بصائر الدرجات للصفار ص ٣٣٦ باب (٣) باب ما يفعل بالامام من النكت والقذف والنقر في

قلوبهم واذنهم ح ١.

فعلمه حينئذٍ ليس ذاتياً إنّها مكتسب من الله تعالى، والإلهام مصدر علمي قوي جداً لا يتوقف معه الإمام عند حدٍ من العلوم.

قال الشيخ عليه السلام: «... أن قوة الإلهام عند الإمام التي تسمى بالقوة القدسية تبلغ الكمال في أعلى درجاته، فيكون في صفاء نفسه القدسية على استعداد لتلقي المعلومات في كل وقت وفي كل حالة، فمتى توجه إلى شيء من الأشياء وأراد معرفته استطاع علمه بتلك القوة القدسية الإلهامية بلا توقف ولا ترتيب مقدمات ولا تلقين معلم. وتنجلي في نفسه المعلومات كما تنجلي المراتب في المرآة الصافية لا غطش فيها ولا إبهام...».

العاشر: الزيادة المستمرة للعلوم:

حيث ورد في بعض الروايات الشريفة أنّ الإمام عليه السلام في ازدياد مستمر للعلوم، منها ما روي عن زُرارة قال: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «لَوْلَا أَنَا نَزْدَادُ لَأَنْفَدْنَا. قَالَ: قُلْتُ: تَزْدَادُونَ شَيْئًا لَا يَعْلَمُهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ عَرَضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ثُمَّ عَلَى الْأَيِّمَةِ، ثُمَّ انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَيْنَا»^(١).

ورب سائل يتساءل: إن كان النبي صلى الله عليه وآله قد بين الحلال والحرام فما مورد هذه الزيادة؟ الجواب فيما روي عن سليمان قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك، سمعتك وأنت تقول غير مرة لولا أنا نزاد لأنفدنا. قال: أما الحلال والحرام، فقد والله أنزله الله على نبيه بكامله ولا يزداد الإمام في حلال ولا حرام. قال: فقلت: فما هذه الزيادة؟ قال: في سائر الأشياء سوى الحلال والحرام»^(٢).

الحادي عشر: الناموس:

وهو عبارة عن كتاب فيه أسماء الشيعة كلّهم، فأهل البيت عليهم السلام يعرفون شيعتهم

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٥٥ باب لَوْ لَا أَنَّ الْأَيِّمَةَ عليه السلام يَزْدَادُونَ لَنَفَدْنَا مَا عِنْدَهُمْ ح ٣.

(٢) بصائر الدرجات للصفار ص ٤١٣ باب ٩ ح ٥.

بواسطته.

عن رجل من بني حنيفة، قال: كنت مع عمي فدخل علي بن الحسين عليه السلام، فرأى بين يديه صحائف ينظر فيها، فقال له: أي شيء هذه الصحف جعلت فداك؟ قال: «هذا ديوان شيعتنا»، قال: أفتأذن أطلب اسمي فيه؟! قال: «نعم»، فقال: فإنني لست أقرأ و ابن أخي معي علي الباب فتأذن له يدخل حتى يقرأ؟! قال: «نعم»، فأدخلني عمي، فنظرت في الكتاب، فأول شيء هجمت عليه اسمي، فقلت: اسمي ورب الكعبة، قال: ويحك، فأين أنا؟ فجزت بخمسة أسماء أو ستة ثم وجدت اسم عمي. فقال علي بن الحسين عليه السلام: «أخذ الله ميثاقهم معنا علي ولايتنا لا يزيدون ولا ينقصون، إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق شيعتنا من طيبتنا أسفل من ذلك، وخلق عدونا من سجين وخلق أولياءهم منهم من أسفل ذلك»^(١).

وعن ابن فضال، عن ظريف بن ناصح وغيره، عمّن رواه، عن حبابة الوالبية^(٢)، قالت: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لي ابن أخ وهو يعرف فضلكم، وإنني أحب أن تعلمني أمن شيعتكم؟ قال: «وما اسمه؟»، قالت: قلت: فلان بن فلان. قالت: فقال: «يا فلانة، هات الناموس، فجاءت بصحيفة تحملها كبيرة، فنشرها، ثم نظر فيها فقال: نعم هو ذا اسمه واسم أبيه هاهنا»^(٣).

(١) بحار الأنوار ٢٦: ١٢١ و ١٢٢ / ح ١١، عن بصائر الدرجات: ١٩١ / باب ما عند الأئمة عليهم السلام من ديوان شيعتهم... / ح ٢.

(٢) عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن حبابة الوالبية كان إذا وفد الناس إلى معاوية وفدت هي إلى الحسين عليه السلام، وكانت امرأة شديدة الاجتهاد قد يبس جلدتها على بطنها من العبادة...». (بصائر الدرجات: ١٩١ / باب ما عند الأئمة عليهم السلام من ديوان شيعتهم... / ح ٤).

(٣) بحار الأنوار ٢٦: ١٢١ / ح ١٠، عن بصائر الدرجات: ١٩٠ / باب ما عند الأئمة عليهم السلام من ديوان شيعتهم... / ح ١.

الثاني عشر: التوسم:

التوسم هو القدرة على تمييز النوايا والخفايا والاطلاع عليها من خلال نظر العين، وهذه القدرة لا تكون لأيّ أحد كما هو واضح، إنّما تكون للمؤمنين الذين وصلوا إلى مراتب كمالية تُهيئهم لهذا المقام.

وهي كما صرحت الروايات الشريفة سيكون عند الإمام المهدي عليه السلام. فعن الإمام الباقر عليه السلام: «كأني أنظر إلى القائم عليه السلام وأصحابه في نجف الكوفة، كأنّ على رؤوسهم الطير، قد شنت مزادهم، وخُلقت ثيابهم، متنكبّين قسيّهم، قد أثار السجود بجباههم، ليوث بالنهار رهبان بالليل، كأنّ قلوبهم زبر الحديد، يُعطى الرجل منهم قوّة أربعين رجلاً، ويعطيهم صاحبهم التوسم، لا يقتل أحد منهم إلّا كافراً أو منافقاً، فقد وصفهم الله بالتوسم في كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾^(١)»^(٢).

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾^(٣) قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ تعالى.^(٤)

وعن معاوية الدهني عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيَاهِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾^(٥). فقال عليه السلام: «يا معاوية، ما يقولون في هذا؟ قال: قلت: يزعمون أن الله تبارك وتعالى يعرف المجرمون بسياهم يوم القيمة فيأمر بهم فيؤخذ

(١) الحجر: ٧٥.

(٢) منتخب الأنوار المضئية: ٣٤٤.

(٣) الحجر: ٧٥.

(٤) الكافي للكليني ج ١ ص ٢١٨ باب أنّ المتوسّمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام والسبيل فيهم مُقيّمٌ ح ٣.

(٥) الرحمن ٤١.

بنواصيهم واقدامهم ويلقون في النار.

قال: فقال لي: وكيف يحتاج الجبار تبارك وتعالى إلى معرفة خلق أنشأهم وهو خلقهم؟!

قال: فقلت: فما ذاك، جعلت فداك؟

قال عليه السلام: ذلك لو قد قام قائمنا اعطاء الله السبب، فيأمر بالكافر فيؤخذ بنواصيهم وأقدامهم ثم يجذب بالسيف خطاً^(١).

وبعد أن علمنا مصادر علم الأئمة عليهم السلام بشكل اجمالي، ينبغي أن نلتفت إلى ضرورة أن لا نطلب العلم إلا منهم عليهم السلام. وقد جاء في وصية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إلى كميل بن زياد: يا كميل لا تأخذ إلا عنا تكن منا^(٢).

كما روي عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق إلا ما خرج منا أهل البيت، وإذا تشعبت بهم الأمور كان الخطأ منهم والصواب من علي عليه السلام»^(٣).

كما علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن أعمالنا تعرض عليهم، وكل مؤمن بيده أن يدخل السرور على قلب الإمام أو يحزنه، في مكاتبة الإمام المهدي عليه السلام للشيخ المفيد؛ يقول فيها: «فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يذنيه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة»^(٤).

(١) بصائر الدرجات للصفار ص ٣٧٦ باب ١٧ ح ٨.

(٢) تحف العقول للحراني ص ١٧١.

(٣) الكافي للكليني ١: ٣٩٩/ باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة عليهم السلام... / ح ١.

(٤) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٣٢٣ و ٣٢٤.

عقيدتنا في طاعة الأئمة

قال الشيخ رحمه الله:

«عقيدتنا في طاعة الأئمة

ونعتقد أنّ الأئمة هم أولو الأمر الذين أمر الله ﷺ بطاعتهم، وأنهم الشهداء على الناس، وأنهم أبواب الله والسبل إليه والأدلاء عليه، وأنهم عيبة علمه وتراجمة وحيه وأركان توحيده وخزان معرفته، ولذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء على حدّ تعبيره ﷺ. وكذلك - على حدّ قوله أيضاً - «أن مثلهم في هذه الأمة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى»، وأنهم حسبها جاء في الكتاب المجيد ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ وأنهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

بل نعتقد أنّ أمرهم أمر الله ﷺ، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على الرسول والراد على الرسول كالراد على الله ﷺ. فيجب التسليم لهم والانقياد لأمرهم والأخذ بقولهم.

ولهذا نعتقد أنّ الأحكام الشرعية الإلهية لا تستقى إلا من نмир مائهم، ولا يصحّ أخذها إلا منهم، ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم، ولا يطمئن بينه وبين الله إلى أنه قد أدى ما عليه من التكاليف المفروضة إلا من طريقهم. أنّهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق في هذا البحر المائج الزاخر بأمواج الشبه والضلالات،

والادعاءات والمنازعات.

ولا يهمننا من بحث الإمامة في هذه العصور إثبات أنهم هم الخلفاء الشرعيون وأهل السلطة الإلهية، فإن ذلك أمر مضى في ذمة التاريخ، وليس في إثباته ما يعيد دورة الزمن من جديد أو يعيد الحقوق المسلوقة إلى أهلها. وإنما الذي يهمننا منه ما ذكرنا من لزوم الرجوع إليهم في الأخذ بأحكام الله الشرعية، وتحصيل ما جاء به الرسول الأكرم على الوجه الصحيح الذي جاء به. وأنّ في أخذ الأحكام من الرواة والمجتهدين الذين لا يستقون من ندير مائهم ولا يستضيئون بنورهم ابتعاداً عن محجة الصواب في الدين، ولا يطمئن المكلف من فراغ ذمته من التكاليف المفروضة عليه من الله ﷻ؛ لأنه مع فرض وجود الاختلاف في الآراء بين الطوائف والنحل فيما يتعلق بالأحكام الشرعية اختلافاً لا يرجى معه التوفيق، لا يبقى للمكلف مجال أن يتخير ويرجع إلى أي مذهب شاء ورأى اختار، بل لا بد له أن يفحص ويبحث حتى تحصل له الحجة القاطعة بينه وبين الله ﷻ على تعيين مذهب خاص يتيقن أنه يتوصل به إلى أحكام الله وتفرغ به ذمته من التكاليف المفروضة، فإنه كما يقطع بوجود أحكام مفروضة عليه يجب أن يقطع بفراغ ذمته منها، فإنّ الاشتغال اليقيني يستدعي الفراغ اليقيني.

والدليل القطعي دالّ على وجوب الرجوع إلى آل البيت وأنهم المرجع الأصلي بعد النبي لأحكام الله المنزلة. وعلى الأقل قوله عليه أفضل التحيات «إني قد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: الثقلين، وأحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. ألا وإني لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». وهذا الحديث اتفقت الرواية عليه من طرق أهل السنة والشيعة.

فدقق النظر في هذا الحديث الجليل تجد ما يقنعك ويدهشك في مبناه ومعناه، فما أبعد المرمى في قوله: «إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً» والذي تركه فينا هما الثقلان

معا إذ جعلها كأمرٍ واحدٍ ولم يكتفِ بالتمسك بواحد منها فقط، فبها معاً لن نضل بعده أبداً.

وما أوضح المعنى في قوله: «لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» فلا يجد الهداية أبداً من فرق بينهما ولم يتمسك بهما معاً. فلذلك كانوا «سفينة النجاة» و«أماناً لأهل الأرض» ومن تخلف عنهم غرق في لجج الضلال ولم يأمن من الهلاك. وتفسير ذلك بحبهم فقط من دون الأخذ بأقوالهم واتباع طريقهم هروب من الحق لا يلجأ إليه إلا التعصب والغفلة عن المنهج الصحيح في تفسير الكلام العربي المبين.» انتهى.

إن بحث لزوم طاعة الأئمة عليهم السلام يترتب على بحث الاعتراف بإمامتهم أولاً، والطاعة - كما هو ثابت عقلاً - لا يمكن أن تلزم على أحدٍ إلا لسبب ومسوغ؛ لأن الأصل هو عدم لزوم طاعة الآخر، فإذا لزم طاعة على أحدٍ كان له الحق أن يسأل: لماذا لزم؟ ما سبب لزومها؟

أسباب أو مقتضيات لزوم الطاعة

هناك عدة مقتضيات تقتضي على الفرد لزوم طاعته للغير عقلاً، وهي:

الأول: أن يكون ذلك الغير مُنعماً على الفرد، كما إذا كان خالقاً أو رازقاً أو كان قادراً وذلك الفرد عاجز، فيكون لزوم الطاعة حينئذٍ نابعاً إما من لزوم شكر المُنعم، فالعقل يحكم بلزوم شكر الله ﷻ مثلاً؛ لأنه أخرج ذلك الفرد من كتم العدم إلى حيز الوجود، ورزقه بمختلف النعم، أو يكون لزوم الطاعة نابعاً من الاحتياج، كاحتياج العاجز إلى القادر، واحتياج الجاهل إلى العالم، فالنبي موسى ﷺ عندما طلب من الخضر ﷺ أن يعلمه، أمره الخضر بالطاعة كما في القصة التي ذكرها القرآن الكريم، ومن المناسب الإشارة إلى أن النبي موسى ﷺ كان أعلم من الخضر، وأما اتباعه إياه لأجل التعلم فله تحريجٌ ليس هذا محل ذكره.

الثاني: أن تكون طاعة الغير مؤدية إلى إرضاء من تجب طاعته، كما إذا علم العبد -وبصورة قطعية- أن امتثاله لأوامر ابن المولى الصغير من الأمور التي تحقق رضا المولى، فالعقل حينئذ يجد طاعة العبد لابن المولى أمراً حسناً، بل ويأمره بذلك أيضاً، تحصيلاً لرضا المولى نفسه.

وقد ورد نظير هذا المقتضي في بعض الروايات الشريفة، مُلِزماً المسلمين بطاعة أهل البيت عليهم السلام كما روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لِرِضَا فَاطِمَةَ»، فالعقل هنا يُلِزِمُ المسلمين قاطبةً بطاعة السيدة فاطمة عليها السلام وإرضائها إرضاءً لله تعالى.

الثالث: أن يأمر من تجب طاعته بإطاعة شخصٍ ما، كأمر الملك عبده بالذهاب مع فلان، وأن يسمع أمره كما لو أنه أمر الملك، فحينئذٍ يوجب العقل على العبد أن يطيع فلاناً طاعةً للملك، فإن لم يطع هذا العبد فلاناً كان مُلاماً ومذموماً عند العقلاء؛ لأنه عندما خالف فلاناً ولم يطعه، فإنه في الحقيقة خالف الملك ولم يُطعه.

وبناءً على هذا المقتضي وجبت طاعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١)، وبما أن الله تعالى تجب طاعته على جميع المخلوقات، وقد أمر بإطاعة الرسول صلى الله عليه وآله، فقد وجبت طاعته على جميع المخلوقات أيضاً، فإن ادعى شخصُ الاكتفاء بطاعته لله تعالى دون طاعة الرسول صلى الله عليه وآله كان مُلاماً ومذموماً بنظر العقلاء، تماماً كالعبد الذي خالف أمر الملك في المثال السابق، بل كان أكثر منه وأشد؛ لأنَّ وجوب طاعة العبد للملك وجوب عرضي، أي لأجل المملوكية الاعتبارية، لكونه ملكاً عليه، فإن هو تنحى عن المملوكية أو غُصبت منه، فلربما يتنفي لزوم طاعته على العبد، وأما طاعة الله تعالى فهي واجبة دائماً وأبداً وفي كلِّ زمان ومكان بل وفي كلِّ عالمٍ من العوالم كلها. وعليه فإنَّ عدم طاعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إنما هي عدم

طاعة الله ﷻ ومن ثم فهي معصية له ﷻ .

ولم يكتفِ القرآن الكريم بأمره بطاعة الرسول وأولي الأمر ﷺ في الآية المتقدمة، بل وقال أيضاً: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١) حيث أوجب الله ﷻ طاعة الرسول الأكرم ﷺ على جميع المسلمين، وأمرهم بوجوب الأخذ بما يأتيهم من أوامر والانتهاة عما نهاهم عنه، وقد أمر الرسول الأكرم ﷺ بوجوب طاعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فمن خالف ذلك بعدئذٍ ولم يطع الإمام علياً ﷺ فهو في حقيقة الأمر لم يطع الرسول الأكرم ﷺ، ومن ثم لم يطع الله ﷻ؛ لذا ورد في الحديث المشهور عن الرسول الأكرم ﷺ: «أيها الناس، من عصى علياً فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله ﷻ، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله ﷻ».^(٢)

وهذا هو معنى أن الراد عليهم كالراد على الله ﷻ وهو على حدّ الشرك بالله ﷻ.

فقد روي عن سعيد الأعرج قال: دَخَلْتُ أَنَا وَسُلَيْمَانُ بْنُ خَالِدٍ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَأَبْتَدَأْنَا فَقَالَ: «يَا سُلَيْمَانُ، مَا جَاءَ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ يُؤْخَذُ بِهِ، وَمَا نَهَى عَنْهُ يُتَنَهَى عَنْهُ، جَرَى لَهُ مِنَ الْفَضْلِ مَا جَرَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْفَضْلُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ، الْمُعَيَّبُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ كَالْمُعَيَّبِ عَلَى اللَّهِ ﷻ وَعَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَالرَّادُ عَلَيْهِ فِي صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ عَلَى حَدِّ الشَّرْكِ بِاللَّهِ...».^(٣)

فإذا أُيدت هذه المؤيدات العقلية بمؤيدات وأوامر شرعية، كان اللزوم والوجوب لا مناص منه ولا مهرب، وهذا ما ندعيه في لزوم طاعة أهل البيت ﷺ، فإنَّ جميع

(١) الحشر ٧

(٢) معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص ٣٧٣.

(٣) الكافي للكليني ج ١ ص ١٩٧ باب أَنَّ الْأَئِمَّةَ هُمْ أَرْكَانُ الْأَرْضِ ح ٢.

مقتضيات الطاعة متوفرة فيهم عليهم السلام ولا سبيل للنجاة إلا بطاعتهم والامتثال لأوامرهم. والخلاصة: أن طاعة أهل البيت عليهم السلام لها أسبابها العقلية والنقلية (الشرعية)، وقبل الولوج في الأدلة النقلية (الشرعية) التي توجب طاعتهم عليهم السلام، لا بدّ من الإشارة إلى ملاحظات مهمة.

ملاحظات مهمة :

الأولى: أن طاعة أهل البيت عليهم السلام عين في طاعة الرسول صلى الله عليه وآله

نعتقد أن طاعة الأئمة عليهم السلام ليست في عرض طاعة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله بل هي في طولها، ومعنى ذلك: أن طاعتهم مترشحة من طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ونابعة منها، كما أن طاعة الرسول صلى الله عليه وآله هي الأخرى نابعة من طاعة الله عز وجل.

ومعه، فلا يصحّ أن يُشكل علينا أحد بدعوى أننا نطيع أهل البيت عليهم السلام أكثر من طاعتنا لرسول الله صلى الله عليه وآله أو أننا نقدّم طاعتهم على طاعته؛ وذلك لأنّ طاعتنا لأهل البيت عليهم السلام إنما هي في حقيقتها طاعة للرسول صلى الله عليه وآله؛ لأنه هو من أمرنا بطاعتهم.

فالإشكال المذكور لا صحة له ولا واقع، بل على العكس، هم من عصى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ولم يُطيعوه إذ لم يأتروا بأوامره، وما تمسكهم به إلا تمسكهم بسائر الشبهات التي يسدونها إزاء المدرسة الإمامية ظلمًا وزورًا والناجحة عن جهلهم وعدم معرفتهم بالعقيدة الحقّة لهذه المدرسة الطاهرة، وهم لا يُعذرون فيه بعد أن بيّنها ووضحها الأئمة عليهم السلام بأنفسهم، وأكدوا أن كل ما عندهم هو من رسول الله صلى الله عليه وآله كما أكد أميرهم أمير المؤمنين عليه السلام أنه ما هو إلا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله.^(١)

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٩٠ باب الكون والمكان ح ٥.

الثانية: أن معنى طاعة أهل البيت عليهم السلام تعني التالي:

١/ أن أخذ أحكام الإسلام وتفسير القرآن والقضاء في الأمور المتنازع عليها وكل ما يتعلق بالتكاليف الشرعية سينحصر بطريق واحد هو طريقهم عليهم السلام، وهذا يعني أن أخذ العلم «أي التكاليف الشرعية والحلال والحرام والتفاسير...» يجب أن يكون منهم لا من غيرهم، فإن أخذ العلم الشرعي منهم يساوق طاعتهم عليهم السلام، والعكس بالعكس، وهذا ما أشار له الشيخ عليه السلام بعبارة: «ولهذا نعتقد أن الأحكام الشرعية الإلهية لا تُستقى إلا من نمير مائهم، ولا يصح أخذها إلا منهم، ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم...».

٢/ ويتفرع عليه: أن طاعتهم عليهم السلام تعني ترجيح وتقديم قولهم على قول غيرهم فيما لو تعارضا واختلفا، فمثلاً لو سافر شخص ما وكان سفره ليس فيه معصية ولا سفر عمل ولا بنية إقامة لمدة عشرة أيام، فما حكم صلاته؟ ومن أين يستقيه؟ هل يأخذ بها تحكم به مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهو أن يُقصر في صلاته، أو بما تحكم به مدارس غيرهم وهو التخيير بين القصر والتمام؟

فهنا حكمان متعارضان، والمطيع لأهل البيت عليهم السلام لا يختار سوى أحكامهم، بل لا يفكر بأن يعمل يوماً بأحكام سواهم ولو مجرد تفكير، ولذا فإنه يؤدي صلاته قصرًا، بل لا معنى للمقايضة بين قولهم وقول غيرهم، إذ لا معنى للاجتهاد مقابل النص؛ لأن قولهم عليهم السلام إنما هو قول رسول الله صلى الله عليه وآله، وقوله صلى الله عليه وآله معصوم بنص القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١)

فقولهم نص شرعي، وأما قول غيرهم فلا يعدو أن يكون اجتهاداً شخصياً غير مستند على دليل قطعي شرعياً كان أو عقلياً، وحينئذ ما من عاقل يجوز وضع كلا القولين

(١) النجم ٣-٤.

على منضدة المقايسة، وبالتالي فإن قولهم دائماً هو المقدم، وهذا معنى طاعتهم ﷺ.

الثالثة: هناك فرق بين الاعتراف النظري والاعتراف العملي بطاعة أهل

البيت ﷺ.

فالاعتراف النظري هو مجرد الاعتقاد بأن أهل البيت ﷺ هم خلفاء لرسول الله ﷺ، واقتصار الاعتراف بطاعتهم على المستوى النظري لا يؤدي إلى الطاعة العملية، بدليل أن من يعترف من المخالفين بأن علياً ﷺ هو خليفة لرسول الله ﷺ إلا أنه الخليفة الرابع، فهو يعتقد بإمامة أمير المؤمنين ﷺ لكن في مقام الطاعة يُقدم طاعة غيره عليه ﷺ، فيقول بسنة رسول الله ﷺ وسنة الشيخين، أي لا مكان لطاعة أمير المؤمنين وسنته ﷺ لديه أساساً!

فالاعتراف النظري بهم ﷺ لا بد أن يستتبعه عمل بما يقولون ويأمرون به، أي أن تتحول الطاعة من النظرية إلى العملية، فهذا هو المنجي.

الأدلة الدالة على لزوم طاعة أهل البيت ﷺ:

الدليل الأول: استلزام مفهوم الإمامة لوجوب الطاعة.

إن معنى الإمامة في حدّ نفسه يستلزم وجوب الطاعة، فلا معنى لإمام لا يُطاع، فهذا بمثابة التفرقة بين الذات والذاتي، كالتفرقة بين الإنسان والناطق؛ لأنه تقدم أن معنى الإمامة هي الخلافة عن رسول الله ﷺ في جميع شؤونه ووظائفه، وأن الفرق بين النبي والإمام ينحصر بالوحي الرسالي، وحيث إن وظائف وشؤون النبي ﷺ لا تتم إلا بالطاعة، فذلك من يقوم مقام النبي (صلّى الله عليه وآله) في تلك الشؤون يجب أن يُطاع.

وبعبارة أخرى: حيث إن تلك الوظائف لا تتم ولا تتفعل إلا إذا كان المسلمون

يطيعون رسول الله ﷺ، كذلك من يقوم مقام النبي ﷺ في تلك الوظائف لا يتم إلا بطاعة المسلمين له، وهم الأئمة عليهم السلام، قال ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) وهذا الأمر نفسه يجري في أئمة أهل البيت عليهم السلام.

إذا لزوم الطاعة نابع من نفس الاعتقاد بالإمامة، وإلا كان شبه التفرقة بين الذات والذاتي.

الدليل الثاني: حديث الثقلين:

وهو حديثٌ ثابت عند كلٍّ من العامة والخاصة، وبتعبير بعض العلماء أنه حديث لا يُدانيه في الثبوت حديث سوى حديث الغدير، فهو حديثٌ متواترٌ مُتَّفَقٌ عليه وإن حصل بعض التحريف في بعض الكتب العامة، حيث حرّفوه بتبديل عبارة «كتاب الله وعترتي» بـ«كتاب الله وستي»، وقد ورد هذا الحديث بألفاظ عديدة ومعناها واحد.

فقد روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم أمرين: أحدهما أطول من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي، وألّا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض...»^(٢)

وأما من حيث دلالته، فإنّه وما يُحيط به من قرائن يدلُّ على العديد من الدلالات المهمة، ومن أهم تلك القرائن التي وضّحت مُراد الرسول الأكرم ﷺ من الحديث ما ورد في بعض الروايات بأن العلاقة بين القرآن والعترة هي كالعلاقة بين السبابتين، لا بين الوسطى والسبابة، لثلاث تزييد إحداهما على الأخرى، فقد روي أنه قال رسول الله ﷺ:

(١) النساء ٦٥.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٥ ح ٩٧. وانظر مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٤ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٩ وغيرها من المصادر.

فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ يَوْمَ قَبْضِهِ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، مَا
 إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ قَدْ عَاهَدَ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَنْ
 يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ كَهَاتَيْنِ - وَجَمَعَ بَيْنَ مُسَبِّحَتَيْهِ - وَلَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ - وَجَمَعَ
 بَيْنَ الْمُسَبِّحَةِ وَالْوَسْطَى - فَتَسْبِقُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، فَتَمَسَّكُوا بِهِمَا لَا تَزَلُّوا وَلَا تَضِلُّوا،
 وَلَا تَقَدِّمُوهُمُ فَتَضِلُّوا»^(١).

وهناك عدة دلالات في حديث الثقلين، نذكر منها:

الأولى: دلالاته على إمامة أهل البيت عليهم السلام، فكما أن القرآن الكريم إمام الناس
 وطاعته لازمة عليهم، فكذلك هم أهل البيت عليهم السلام بمقتضى المساواة والإقران بينهما.
 الثانية: دلالاته على عصمة أهل البيت عليهم السلام، فكما أن القرآن معصومٌ ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ
 عَزِيزٌ﴾ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ ﴿^(٢)﴾ فكذلك
 الثقل الثاني الذي قرن به، وهم أهل البيت عليهم السلام.

الثالثة: دلالاته على الهداية، فحيث إن القرآن الكريم ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ
 أَقْوَمُ﴾^(٣)، فكذلك من قرنوا به، وهم أهل البيت عليهم السلام فهم يهدون إلى الطريق الأقوم.
 الرابعة: دلالاته على أن الهداية إنما تتحقق بهما معاً على نحو الكلِّ المجموعي، ونقصد
 بالكلِّ المجموعي أن المجموع بما هو مجموع مطلوبٌ، ولتقريب المعنى نضرب مثلاً:

لو طلبتُ منك إكرام كلِّ من في الدار، وكنت أقصد بالكلِّ في قولي الكلِّ المجموعي
 الاستغراقي، فالامتنال لهذا الأمر إنَّما يكون بإكرام كلِّ فردٍ في الدار، فلو كان عددهم
 مثلاً (١٠٠) فردٍ، فقد وجب إكرامهم كلهم لتكون ممتثلاً للأمر، فإن أكرمت (٩٩) فرداً

(١) الكافي للكليني ج ٢ ص ٤١٥ بابٌ أَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا أَوْ كَافِرًا أَوْ ضَالًّا - ح ١.

(٢) فصلت ٤١ - ٤٢

(٣) الإسراء ٩

مثلاً، فلا يُقال عنك عندئذٍ إنك امتثلت للأمر بنسبة (٩٩)، بل يُقال: إنك لم تمتثل الأمر أصلاً، وتستحق عقوبة من لم يمتثل الأمر رأساً.

وعليه، فإنَّ قوله ﷺ: «ما إن تمسكتم بهما»، هو على نحو الكلي المجموعي، أي إنَّ الهداية وعدم الضلالة تتحقق بالتمسك بهما (القرآن الكريم والعترة المطهّرة) معاً، فبهما معاً يهتدي المكلفون وينجون من الضلالة، ولن يهتدي أبداً من أخذ بأحدهما دون الآخر، كما لن يهتدي أبداً من تمسك ببعض العترة دون بعض؛ وذلك لأنَّ العترة تعني اثني عشر إماماً، ومن لم يؤمن ولو بإمام واحد منهم، فهو كمن لم يؤمن بجميعهم أصلاً. وعليه، فإنَّ من قال بالاكْتفاء بكتاب الله ﷺ دون العترة فهو ضال، وهو ممن انقلب على عقبيه في قوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١).

وقوله ليس بكلمة حقٍ يراد بها باطل، بل هي كلمة باطلة؛ لمخالفتها كتاب الله العزيز من جهة، والسنة النبوية المطهرة من جهةٍ أخرى.

ومثل من قال بالاكْتفاء بكتاب الله ﷺ في الضلالة وعدم الهداية والانقلاب على الأعقاب، من قال بالاكْتفاء ببعض الأئمة دون بعض، نحو بعض الفرق الشيعية كالزيدية والواقفية مثلاً.

الخامسة: دلالة على وجوب طاعة أهل البيت ﷺ؛ لأمر الله ﷻ باتباع القرآن الكريم وباتخاذ هادياً وأتته شفاء لما في الصدور؛ وذلك بمقتضى الاقتران بينه وبينهم ﷺ.

السادسة: دلالة على أن الأرض لا تخلو من إمام؛ وذلك للإقتران بينها في قوله ﷻ:

«وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، والقرآن الكريم باقٍ دستوراً للأمة ومرجعاً لها ما بقيت الأرض، فالعترة الهادية هي الأخرى باقية ما بقيت الأرض مرجعاً وهادياً. كما يُثبت هذا الحديث أيضاً ضرورة وجود الإمام الثاني عشر عليه السلام في زمننا هذا؛ لأنّ القول بعدم وجوده يلزم منه التفكيك بين القرآن الكريم والعترة الطاهرة، ويلزم من هذا تكذيب النبي صلى الله عليه وآله إذ قال: «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، وحاشاه من ذلك، وحيث إنّ النبي لا يكذب فلا بُدَّ من انطباق هذا الحديث بتمام معنى الكلمة، وهذا لا يتم الا بالاعتراف بوجود الامام الثاني عشر عليه السلام، وأما مسألة إثبات أنّه خصوص الإمام المهدي عليه السلام دون سواه فإنها موكولة إلى الأدلة النقلية المستفيضة والكثيرة التي تدل وبشكل قاطع على أنّه هو عليه السلام وأنّه المولود في الخامس عشر من شعبان... إلى آخر الأدلة النقلية التي تحدثت عنه (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء).

الدليل الثالث: قوله عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

وللاستدلال بهذه الآية المباركة على وجوب طاعتهم عليهم السلام لا بُدَّ من تقديم مقدمات:

المقدمة الأولى: كلمة (أطيعوا) فعل الأمر، جاءت بصورة منفردة مع الله صلى الله عليه وآله، وأما مع الرسول وأولي الأمر (عليهم الصلاة والسلام) فقد جاءت بصورة مشتركة لكليهما، وهذا يدلُّ على أنّ هناك اختلافاً بين حقيقة طاعة الله صلى الله عليه وآله وبين طاعة (النبي الأعظم وأولي الأمر)، فطاعته صلى الله عليه وآله واجبةٌ بالذات على العباد؛ لأنّه الخالق والمدبر والرازق والرب، وأما طاعة النبي وأولي الأمر فهي واجبةٌ بالعرض؛ أي لأنّ الله صلى الله عليه وآله أوجبها.

وفي نفس الوقت، فإنه لا يخفى أنّ استعمال فعل أمرٍ واحد لكلٍّ من الرسول وأولي

الأمر يدلُّ على وحدة الطاعة، أيَّ إنَّ طاعة الرسول تتحقق بطاعة أولي الأمر، وطاعة أولي الأمر هي طاعة الرسول ﷺ.

المقدمة الثانية: من هم أولوا الأمر؟

اختلف المفسرون على ثلاثة أقوال:

الرأي الأول: هم الأمراء.

الرأي الثاني: هم العلماء.

الرأي الثالث: هم صنف خاص من الأمة، وهم أهل البيت ﷺ.

يقطع النظر عن الروايات، وتأمل قليل في معنى وجوب طاعة أولي الأمر، يفهم منه وجوب كونهم معصومين؛ لاستحالة أن يأمر الله ﷻ وهو الحكيم بوجوب طاعة من يمكن أن يعصي ويخطئ ويسهو، فذلك تغرير بالمعصية بلا شك.

ومنه يتضح أنَّ الرأي الثالث هو الصحيح وأنَّ أولي الأمر الواجب طاعتهم هم أهل البيت المعصومون ﷺ دون غيرهم.

تفصيل الملازمة بين وجوب الطاعة والعصمة.

لابدَّ أن يكون من تجب طاعته معصومًا، وذلك للنقاط الآتية:

أولاً: أطلق الله ﷻ وجوب طاعة أولي الأمر ولم يقيد بها بقيد، مما يعني وجوب طاعتهم في كلِّ أوامره، وهذا يستلزم أن تخلو جميع أوامره من كلِّ معصية مهما صغرت، وأن تكون مطابقة لما يريد الله ﷻ، أي إنَّ أفعال وأقوال وتقريرات كلِّ شخصٍ منهم مطابقة لما يريد الله ﷻ، وهذا هو معنى العصمة.

ويؤيد المعنى المتقدم -ملازمة الاطلاق في الطاعة للعصمة- تقييد الله ﷻ لأمره بوجوب طاعة الوالدين مثلاً بقوله: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا^(١)، فطاعة الوالدين رغم أنها فُرت بعبادة الله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا^(٢)، إلا أنها مُقيّدة بما تقدم، على حين إن طاعة أولي الأمر مطلقة ولم تقيد بأي قيد.

ثانياً: تقدّم أن كلمة (أطيعوا) في الآية المباركة قد وردت مرتين، مرةً أفردت للأمر بطاعة الله ﷻ، وأخرى كانت مشتركة، أي للأمر بطاعة الرسول ﷺ وأولي الأمر عليهم السلام، ومقتضى الاشتراك بأمر بالطاعة لكليهما هي وحدة الطاعة، وبما أن طاعة الرسول ﷺ على نحو الإطلاق لقوله ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا^(٣) لأنه ﷺ معصومٌ لقوله (عزّ من قائل): ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ^(٤)، فكذلك هي طاعة أولي الأمر؛ لوحدة الملاك الموجب لكلٍ منهما، وهي العصمة.

كما أن من الواضح جداً أن الأمراء وحتى العلماء لا تؤمن منهم المعصية، ومثلهم في الحكم الخلفاء المسمون بالراشدين وأمراء السرايا، وعليه، فلا تصدق الآية والحال هذه إلا على المعصومين، وبالتالي علينا أن نرجع إلى الأدلة القطعية لنعرف من هم المعصومون ليكونوا هم أولي الأمر، وحديث الثقلين المتقدّم يثبت عصمة العترة الطاهرة بالبيان المتقدم.

ونخلص من كل ذلك إلى أن المقصود من أولي الأمر هم المعصومون وهم أهل البيت عليهم السلام.

(١) لقمان ١٥

(٢) الإسراء ٢٣

(٣) الحشر ٧؛

(٤) النجم ٣-٤

أولوا الأمر هم أهل البيت عليهم السلام نقلاً.

تبين بالقرائن والأدلة العقلية أنَّ أولي الأمر الذين أوجب الله ﷻ طاعتهم لا بُدَّ أن يكونوا معصومين، وقد تقدم إثبات عصمة أهل البيت عليهم السلام في حديث الثقلين، وبذا يكون المقصود بأولي الأمر هم أهل البيت عليهم السلام، ولكن هناك طريق أقصر للوصول إلى هذه النتيجة، من خلال الروايات التي صرّحت أنَّ المقصود بأولي الأمر هم أهل البيت عليهم السلام، منها روي عن جابر بن يزيد الجعفي أنه قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: «لما أنزل الله ﷻ على نبيّه محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين [من] بعدي؛ أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمّي وكنّي حجة الله في أرضه، وبقية في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الارض ومغاربها...»^(٢).

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ج ١، ص ٢٥٣ باب ٢٣ ح ٣.

دلالات حديث السفينة

ورد عن النبي ﷺ بعدة ألفاظٍ كلّها تُشبه أهل بيته ﷺ بسفينة نوح، وأنّ من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وأحد ألفاظ هذا الحديث ما ورد عنه ﷺ: «يا عليّ مثلك في أمّتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»^(١).
فما هي أوجه الشبه بين سفينة نوح ﷺ وأهل البيت ﷺ؟
هناك عدة وجوه نذكر منها التالي:

١/ كلتا السفينتين وُجِدَت بأمر الله ﷻ:

فكما أنّ صنع السفينة من قبل نوح ﷺ لم يكن من تلقاء نفسه، وإنّما بأمرٍ ووحى من الله ﷻ؛ لقوله ﷻ: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾^(٢) و﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾^(٣)، فكذلك كانت خلافة أمير المؤمنين وأهل البيت ﷺ بأمرٍ من الله ﷻ في قوله (عزّ من قائل): ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٤)

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٥٧٣ / أبواب السبعين. وفي لفظٍ آخر ما ورد عنه ﷺ فيها رواه الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا سلام الله عليه ج ١ ص ٣٠: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها زج في النار».

(٢) هود ٣٧

(٣) المؤمنون ٢٧

(٤) المائدة ٦٧

وقد اتفقت الروايات على أنّ هذه الآية قد نزلت في يوم غدِير خُم^(١)، حيث جمع الرسول ﷺ الناس وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

وما يؤيد هذا المعنى ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لما كان رسول الله ﷺ بغدير خم، فنادى في الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله ﷺ وهو في مِلا من أصحابه، على ناقه، حتى أتى المدينة فنزل عن ناقته فأناخها وعقلها، وأتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلي خمسًا فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصوم شهر رمضان فقبلناه، وأمرتنا أن نحج البيت فقبلناه، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضّلته علينا؟ وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، وهذا شيء منك أم من الله؟ فقال ﷺ: والذي لا إله إلا هو أنه من أمر الله».

فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر

(١) وقد اتفقت الشيعة الإمامية على نزول الآية في يوم غدِير خم، وافقهم على ذلك لفيث من المحدثين والمؤرخين، فقد ذكر الواقعة الطبري في تفسيره، كما رواها السيوطي في الدر المنثور عن جماعة من الحفاظ، منهم:

١ - الحافظ ابن أبي حاتم أبو محمد الحنظلي الرازي (المتوفى ٣٢٧ هـ).

٢ - الحافظ أبو عبد الله المحاملي (المتوفى ٣٣٠ هـ).

٣ - الحافظ أبو بكر الفارسي الشيرازي (المتوفى ٤٠٧ هـ).

٤ - الحافظ ابن مردويه (المتوفى ٧١٦ هـ).

وغيرهم من أعلام الحديث والتاريخ، وقد جمع المحقق الأميني أسماء من روى نزول هذه الآية في يوم غدِير خم من أصحاب السنة فبلغ ٣٠ رجلاً. [انظر: مفاهيم القرآن للشيخ جعفر سبحاني ج ١٠ ص

فسقط على هامته فخرج من دبره فقتله، وأنزل الله تعالى ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ *
لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾^(١) (٢)

٢/ كلُّ من النبي نوح عليه السلام والنبي محمد عليه السلام واجها الاستهزاء من قومهما بسبب

سفينة النجاة.

فقد استهزأ قوم نوح به حتى نعتوه بالجنون، ولكن ذلك لم يكن ليؤثر فيه أو يتسبب في تراجعهم عن صنع سفينته، بل كان يتلذذ أيضًا؛ لعلمه ويقينه التام بأن ما يفعله إنما هو بعين الله ﷻ، وقد قال (عزَّ من قائل): ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا﴾^(٣).

وقد واجه النبي ﷺ مثل هذا الأمر عندما نصَّب أمير المؤمنين عليه السلام وذلك في حديث الدار، «يقول المفسرون: لما نزل قوله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ * وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام أن يُعدَّ طعامًا ولَبْنًا، فدعا خمسة وأربعين رجلًا من وجوه بني هاشم، ولما فرغوا من الطعام تكلم رسول الله ﷺ فقال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبدًا أو النار أبدًا.

ثم قال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شابًا في العرب جاء قومَه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله ﷻ أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤمن بي ويؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟

(١) المعارج ١-٢.

(٢) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه/ محمد تقي المجلسي (الأول) ص ٢٤٥، ومناقب ابن

شهر آشوب ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٣) هود ٣٧.

(٤) الشعراء ٢١٤ - ٢١٥.

ولما بلغ النبي ﷺ إلى هذه النقطة، وبينما أمسك القوم وسكتوا عن آخرهم وأخذوا يفكرون ملياً في ما يؤول إليه هذا الأمر العظيم، وما يكتنفه من أخطار، قام علي عليه السلام فجأة، وهو آنذاك في الثالثة أو الخامسة عشرة من عمره، وقال وهو يخترق بكلماته الشجاعة جدار الصمت والذهول: أنا يا رسول الله أكون وزيرك على ما بعثك الله.

فقال له رسول الله ﷺ: اجلس، ثم كرّر دعوته ثانية وثالثة وفي كل مرة يُحجم القوم عن تلبية دعوته، ويقوم عليٌّ ويعلن عن استعداده لمؤازرة النبي ﷺ، ويأمره رسول الله ﷺ بالجلوس، حتى إذا كانت المرة الثالثة أخذ رسول الله ﷺ بيده والتفت إلى الحاضرين من عشيرته الأقربين، وقال: إن هذا أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع وجعله عليك أميراً.

هذا موجز ما ذكره المفسرون والمحدثون حول الآية، وفي صحاحهم ومسانيدهم»^(١).

لذلك شجع الله ﷻ رسوله الأكرم ﷺ في آية التبليغ إذ قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

٣/ لم يقتنع كل من قوم النبي نوح عليه السلام وقوم النبي محمد ﷺ بما أمرهم الله به في أمر سفينتهما.

فأما عدم قناعة قوم النبي نوح عليه السلام فكما في قوله ﷻ: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ

(١) انظر: مفاهيم القرآن للشيخ جعفر سبحاني ج ١٠ ص ١٠٩ - ١١٠، نقل هذه الحادثة عن: تاريخ الطبري: ٢ / ٦٢ - ٦٣، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠ - ٤١، مسند أحمد: ١ / ١١١، شرح نهج البلاغة: ١٣ / ٢١٠ - ٢١١.

(٢) المائة ٦٧.

مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴿١﴾.

واما قوم النبي محمد ﷺ فتتجلى عدم قناعتهم وسخريتهم بأمر تنصيب الإمام علي ﷺ في حديث الدار المذكور آنفاً.

٤/ انحصار النجاة بالسفينتين فقط، كل منهما في زمنها.

فقد حدثنا القرآن الكريم عن أن الحل الوحيد في النجاة من الهلاك كان منحصرًا في السفينة التي صنعها نوح ﷺ، ولم يكن حتى لمثل الجبل أن يُجدي في النجاة!

قال ﷺ: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ﴿١٠١﴾﴾ (٢)

فكان مصير كل من تخلف عنها الهلاك بما فيهم ابنه!

والأمر مشابهٌ لذلك تمامًا بالنسبة إلى أهل البيت ﷺ، إذ هم الحل الوحيد للخلاص من الضلالة والهلاك الدنيوي ومن ثم الآخروي، فقد روي عن الإمام الرضا ﷺ أنه قال: رسول الله ﷺ: ستكون بعدي فتنة مظلمة، الناجي منها من تمسك بالعروة الوثقى، فقيل: يا رسول الله وما العروة الوثقى؟ قال: ولاية سيد الوصيين، قيل: ومن سيد الوصيين؟ قال: أمير المؤمنين، قيل: يا رسول الله ومن أمير المؤمنين؟ قال: مولى المسلمين وإمامهم بعدي، قيل: يا رسول الله من مولى المسلمين وإمامهم بعدك؟ قال: أخي علي بن أبي طالب. (٣)

وعن عبد الرحمن بن سمرة، قال: قلت: يا رسول الله، أرشدني إلى النجاة، فقال: «يا

(١) هود ٣٨

(٢) هود ٤٢ - ٤٣

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٢٦ ص ٢٠.

ابن سمرة، إذا اختلفت الأهواء، وتفرقت الآراء، فعليك بعلي بن أبي طالب، فإنه إمام أممي، وخليفتي عليهم من بعدي، وهو الفاروق الذي يميز بين الحق والباطل، من سأله أجابه، ومن استرشدته أرشدته، ومن طلب الحق من عنده وجدته، ومن التمس الهدى لديه صادفه، ومن لجأ إليه آمنه، ومن استمسك به نجاه، ومن اقتدى به هداة.^(١)

ه/ الكلُّ محتاج إلى السفينتين، كل في زمنها.

ولا غرو في ذلك طالما كانت كل من السفينتين المنجى الوحيد لمن عاصر زمنها من المكلفين، ففي زمن النبي ﷺ كان هو فقط و فقط السفينة، إذ كان الكلُّ محتاجاً إليها لتُنجيه من الغرق، وكذلك أهل البيت ﷺ كان ولا زال الكلُّ محتاجاً إليهم، إذ لم يستغن عنهم أحدٌ أبداً، فكم من مرة قال عمر بن الخطاب: «لولا علي لهلك عمر»^(٢)، وقال عنه عثمان «لولا علي لهلك عثمان»^(٣) وقال عنه عمر «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن»^(٤)...

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٧٨ ح ٤٥ / ٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢ ص ١٧٩ وغيره من المصادر.

(٣) الغدير للشيخ الأميني ج ٨ ص ٢١٤ قال: أخرج الحافظ العاصمي في كتابه (زين الفتى في شرح سورة هل أتى) من طريق شيخه أبي بكر محمد بن إسحاق بن محمشاد يرفعه: أن رجلاً أتى عثمان بن عفان وهو أمير المؤمنين وبه جمجمة إنسان ميت فقال: إنكم تزعمون النار يعرض على هذا وإنه يعذب في القبر وأنا قد وضعت عليها يدي فلا أحس منها حرارة النار. فسكت عنه عثمان وأرسل إلى علي بن أبي طالب المرتضى يستحضره، فلما أتاه وهو في ملاء من أصحابه قال للرجل: أعد المسألة. فأعادها، ثم قال عثمان بن عفان: أجب الرجل عنها يا أبا الحسن! فقال علي: ايتوني بزند وحجر. والرجل السائل والناس ينظرون إليه فأتي بهما فأخذهما وقدها منها النار، ثم قال للرجل: ضع يدك على الحجر. فوضعها عليه ثم قال: ضع يدك على الزند. فوضعها عليه فقال: هل أحسست منها حرارة النار فبهت الرجل فقال عثمان: لولا علي لهلك عثمان.

(٤) في أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ١٠٠ ح ٢٩ - حدثني إسحاق بن الحسين، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، عن مؤمل ابن إسماعيل عن سفيان بن عيينة، عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب

وهو أمرٌ ثابت، وعلى من يشكك فيه مراجعة كتب العامة، كما أن أبا بكر عندما استولى على الخلافة كان أول أقواله: لست بخيركم.^(١)

وعندما سئل عن الكلالة، قال: أقول فيها برأيي فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.^(٢)

وأما أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلَا نَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمَ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ».^(٣)

وقد كان الكل محتاجاً إليهم عليهم السلام، والروايات في هذا المجال كثيرة، فقد روي أن عبد الملك بن مروان واجه مشكلة بينه وبين ملك الروم حول طباعة شعار الكفر (الاب والابن وروح القدس) على العملة النقدية المتداولة في الدولة الإسلامية والتي كانت تُسك في بلاد الروم، فأراد عبد الملك أن يُغيّر الشعار ورفض ملك الروم ذلك، وضرب حصاراً اقتصادياً على البلاد الإسلامية، فوقع حينها عبد الملك في حيرة كبيرة، لم يُخرجه منها إلا الإمام الباقر عليه السلام بناءً على اقتراح أحد وزرائه، فبعث إلى الإمام الباقر

قال: قال عمر: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن.

(١) في كنز العمال للمتقي الهندي ج ٥ ص ٦٣١ ح (١٤١١٢) عن عيسى بن عطية قال: قام أبو بكر الغد حين بويح فخطب الناس فقال: يا أيها الناس إني قد أفتلكم رأيكم إني لست بخيركم فبايعوا خيركم.

(٢) في الإرشاد للشيخ المفيد ج ١ ص ٢٠١: وسئل أبو بكر عن الكلالة فقال: أقول فيها برأيي، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان. فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ما أغناه عن الرأي في هذا المكان! أما علم أن الكلالة هم الإخوة والأخوات من قبل الأب والأم، ومن قبل الأب على انفراده، ومن قبل الأم أيضاً على حدها، قال الله عز قائلها: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيئُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾.

وقال جلّت عظمته: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾.

(٣) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٣٠.

يترجاه ويتوسل إليه بأن أمة النبي ﷺ في خطر، عندها علمهم الإمام الباقر عليه السلام كيفية سلك النقود وبأوزان خاصة، وطبعوا عليها سورة التوحيد من جهة والشهادتين من الجهة الثانية.^(١)

(١) في حياة الحيوان للدميمري ج ١ ص ٩٥ - ٩٧: قال الكسائي: دخلت على الرشيد ذات يوم، وهو في ديوانه، وبين يديه مال كثير، قد شق عنه البدر شقا. وأمر بتفريقه في خدمه الخاصة، ويده درهم تلوح كتابته، وهو يتأمله وكان كثيرا ما يحدثني، فقال: هل علمت أول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة؟ قلت: يا سيدي هو عبد الملك بن مروان. قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلت: لا علم لي، غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة. فقال: سأخبرك كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرايا على دين ملك الروم، وكانت تطرز بالرومية، وكان طرازها أبا وابنا وروحا، فلم يزل ذلك كذلك صدر الإسلام كله، يمضي على ما كان عليه، إلى أن ملك عبد الملك بن مروان، فتنبه له، وكان فطنا فبينما هو ذات يوم، إذ مر به قرطاس، فنظر إلى طرازه، فأمر أن يترجم بالعربية، ففعل ذلك فأنكره، وقال: ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام، أن يكون طراز القراطيس، وهي تحمل في الأواني والثياب، وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد، على سعته وكثرة ماله، والبلد يخرج منه هذه القراطيس تدور في الآفاق والبلاد، وقد طرزت بسطر مثبت عليها، فأمر بالكتاب إلى عبد العزيز ابن مروان، وكان عامله بمصر، بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك، وأن يأمر صناع القراطيس، أن يطرزوها بصورة التوحيد: شهد الله أن لا إله إلا هو، وهذا طراز القراطيس خاصة، إلى هذا الوقت، لم ينقص ولم يزد ولم يتغير، وكتب إلى عمال الآفاق جميعا بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم، ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء منها بالضرب الوجيع، والحبس الطويل. فلما ثبتت القراطيس بالطراز فأنكره وغلظ عليه واستشاط غيظا، فكتب إلى عبد الملك: أن عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم، ولم يزل يطرز بطراز الروم، إلى أن أبطلته فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت، وإن كنت قد أصبت فقد أخطأوا، فاختر من هاتين الحالتين أيهما شئت وأحببت، وقد بعثت إليك هدية تشبه محلك، وأحببت أن تجعل رد ذلك الطراز إلى ما كان عليه، في جميع ما كان يطرز من أصناف الأغلاق، حاجة أشكرك عليها، وتأمرك بقبض الهدية، وكانت عزيمة القدر. فلما قرأ عبد الملك كتابه، رد الرسول وأعلمه أنه لا جواب له، ورد الهدية فانصرف بها إلى صاحبه، فلما وافاه أضعف الهدية ورد الرسول إلى عبد الملك، وقال: إني ظننتك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجبني عن كتابي،

فأضعفت الهدية وإني أرغب إليك إلى مثل ما رغبت فيه، من رد الطراز إلى ما كان عليه أولاً. فقرأ عبد الملك الكتاب، ولم يجبه ورد الهدية فكتب إليه ملك الروم يقتضي أجوبة كتبه ويقول: إنك قد استخففت بجوابي وهديتي ولم تسعفني بحاجتي، فتوهمتك استقللت الهدية، فأضعفتها فجريت على سبيلك الأول، وقد أضعفتها ثالثة وأنا أحلف بالمسيح، لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه، أو لأمرن بنقش الدنانير والدراهم، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي، ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام، فينقش عليها شتم نبيك فإذا قرأته أرفض جبينك عرقاً فأحب أن تقبل هديتي، وترد الطراز إلى ما كان عليه، ويكون فعل ذلك هدية تودني بها، ونبقى على الحال بيني وبينك. فلما قرأ عبد الملك الكتاب، صعب عليه الأمر وغلظ، وضافت به الأرض، وقال: أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام، لأني جنيت على رسول الله ﷺ من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر، ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب، إذا كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم، فجمع أهل الإسلام واستشارهم، فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به، فقال له روح بن زبناح: إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه، فقال: ويحك من؟ فقال: عليك بالباقر من أهل بيت النبي ﷺ! قال: صدقت، ولكنه ارتج علي الرأي فيه فكتب إلى عامله بالمدينة أن أشخص إلى محمد بن علي بن الحسين مكرماً ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه، وبثلاثمائة ألف لنفقته، وارح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه، من أصحابه، وحبس الرسول قبله إلى موافاة محمد بن علي فلما وافاه، أخبره الخبر، فقال له محمد رحمه الله تعالى: لا يعظم هذا عليك، فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما أن الله ﷻ، لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم، في رسول الله ﷺ، والأخرى وجود الحيلة فيه. قال: وما هي؟ قال: تدعو في هذه الساعة بصناع، فيضربون بين يديك سككا للدراهم والدنانير، وتجعل النقش عليها صورة التوحيد، وذكر رسول الله ﷺ، أحدهما في وجه الدرهم والدينار، والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه، والسنة التي يضرب فيها تلك الدراهم والدنانير، وتعتمد إلى وزن ثلاثين درهما عدداً من الأصناف الثلاثة، التي العشرة منها وزن عشرة مثاقيل، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعاً إحدى وعشرين مثقالاً، فتجزئها من الثلاثين، فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن عشرة، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل. وكانت الدراهم، في ذلك الوقت، إنما هي الكسروية [نسبة إلى كسرى ملك الفرس]، التي يقال لها اليوم البغلية، لأن رأس البغل ضربها لعمر رضي الله تعالى عنه، بسكة كسروية في الإسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسى مكتوب بالفارسية «نوش خور» أي كل هنيئاً. وكان وزن الدرهم منها، قبل الإسلام، مثقالاً والدراهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل، والعشرة

وزن خمسة مثاقيل، هي السمرية والخفاف والثقال، ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك، وأمره محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه أن يكتب السكك في جميع بلدان الإسلام، وأن يتقدم إلى الناس في التعامل بها. وأن يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرها، وأن تبطل وترد إلى مواضع العمل، حتى تعاد إلى السكك الإسلامية ففعل عبد الملك ذلك.

ورد رسول ملك الروم إليه بذلك بقوله: إن الله ﷻ مانعك مما قد أردت أن تفعله، وقد تقدمت إلى عمالي في أقطار البلاد بكذا وكذا، ويابطال السكك والطروز الرومية. فقيل للملك الروم إفعل ما كنت تهددت به ملك العرب، فقال: إنما أردت أن أغيظه بما كتبت إليه لأني كنت قادرا عليه، والمال وغيره برسوم الروم، فأما الآن فلا أفعل، لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام، وامتنع من الذي قال. وثبت ما أشار به محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه إلى اليوم.

وقد علق المرحوم السيد جعفر مرتضى العاملي رحمته على هذه الرواية في مقال له بعنوان (ضرب النقود في الإسلام) بقوله ما نصه:

إن هذه الرواية تقول: إن الإمام الباقر عليه السلام هو الذي أمر عبد الملك بذلك. وإن روح بن زبناغ إنما أشار على عبد الملك به.. وهذا غير معقول؛ لأن البعض يقول: إن عبد الملك قد ضرب النقود سنة ٧٤هـ [فتوح البلدان - للبلاذري: قسم ٣ ص ٥٧٤ و ٥٧٥، والتراتب الإدارية: ج ١ ص ٤٢١، والعقد المنير: ج ١ ص ٤٩]، والبعض الآخر يقول: إنه ضربها في سنة ٧٥هـ [مآثر الانافة: ج ٣ ص ٣٤٥، و تاريخ الخلفاء: ص ٢١٨، والبحر الزخار: ج ٣ ص ٥٠ عن التخليص عن ابن سعد في الطبقات، والتراتب: ج ١ ص ٤١٧ و ٤٢١ عن الطبقات، وعن المدائني.]. وفريق ثالث يرى أن ذلك كان في سنة ٧٦هـ، وقال البلاذري: «عبد الملك بن مروان أول من ضرب الذهب و الورق بعد عام الجماعة» [فتوح البلدان - للبلاذري القسم الثالث: ص ٥٧٦]. وعلى كل حال فإنهم متفقون على أن ضرب عبد الملك للنقود كان ما بين الـ ٧٤ و ٧٧هـ وعليه فإننا إذا ما أضفنا إلى ذلك: أن ولادة الباقر عليه السلام كانت في سنة ٥٧هـ. و وفاة والده زين العابدين عليه السلام كانت سنة ٩٤هـ.

فإننا سنرى: أن عمَّر الباقر حين ضرب النقود كان ما بين ١٧ و ١٩ سنة؛ فهو في مقتبل عمره؛ ولم يكن له بعد من الشهرة ما يغطي على شهرة أبيه، و لا من الشخصية ما يضارع شخصيته، و لا كان ذكره قد سار في الآفاق بحيث يغطي على أبيه، إلى حد أن يهمل أمره، و تذهب منزلته لا سيما و أن أباه كان يتمتع باحترام كبير جداً، و شهرة واسعة، فاقت كل ذلك الذي منحه الناس و بالأخص الأمويون لأي من أبنائه، بل و حتى آبائه الطاهرين.

فالظاهر: أن صاحب هذه القضية مع عبد الملك هو الإمام زين العابدين بالذات، و ليس هو الإمام الباقر عليه السلام.

وفي زمن الإمام الهادي عليه السلام ادعت امرأة أمتها زينب بنت علي عليه السلام، فاضطر المتوكل أن يبعث إلى الإمام الهادي عليه السلام، فحلَّ الإمام عليه السلام بقولٍ مختصر: إن كنتِ فعلاً زينب ابنة أمير المؤمنين فإنَّ لحوم بني فاطمة عليها السلام محرمة على السباع، فسمع المتوكل ذلك وكان يتحين الفرص لقتل الامام الهادي عليه السلام، وكان عنده سباع فجوَّعها، وطلب من الإمام الهادي عليه السلام أن ينزل أوّلاً، فنزل الإمام، وإذا بالأسود جاءت وسجدت عند الإمام

قال الصعدي: «قال في الانتصار: و أول من ضرب الدراهم في الإسلام عبد الملك بن مروان سنة خمس و سبعين من الهجرة، و كان السبب في ذلك: أن القرطاس كان يحمل إلى الروم، و كان يكتب على عنوانه: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. فشق ذلك على صاحب الروم لما كان كافراً؛ فكتب إلى عبد الملك: أما أن تزيلوا ما تكتبون على القرطاس، أو يأتيكم على الدراهم ما تكرهون. فتحير عبد الملك في الجواب؛ فاستحضر علي بن الحسين زين العابدين؛ فاستشاره في ذلك. فقال: حرّم التبائع إلا بما تصرّبه من الدراهم، فبطل بذلك كيد صاحب الروم. فأمر أن يكتب عليها ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخر السورة غيظاً للروم» انتهى، و في الشفاء نحو حديث الدراهم [راجع: جواهر الأخبار و الآثار- المطبوع بهامش البحر الزخار: ج ٣ ص ١٥٠].

و قد صرح بذلك الشهيد رحمه الله في البيان، في باب زكاة النقدين، حيث قال: «و الدنانير في الدينار بزنة المثقال، و هو لم يختلف في الإسلام و لا قبله، و في الدرهم: ما استقر عليه في زمن بني أمية بإشارة زين العابدين الخ..» [البيان: ط هجرية ص ١٨٥]. و حكى في الوسائل ذلك عنه في الذكرى. كما أن صاحب الجواهر قد صرح في كتاب الزكاة، في مسألة أن عشرة دراهم سبعة مثاقيل: بأن ذلك كان بإشارة زين العابدين عليه السلام.

و قال ابن كثير وهو يتحدث عن السجاد: «و قد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق، فاستشاره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه في أمر السكة، و طراز القراطيس». [البداية و النهاية: ج ٩ ص ١٠٤].

و يؤيد ذلك: ان في بعض نسخ المحاسن و المساوي قوله: «الباقي من أهل بيت النبي». بدل: الباقر من... الخ.. و قوله: إلى موافاته علياً؛ فلما وافاه أخبره الخبر؛ فقال له علي الخ.. بدل قوله: موافاة محمد بن علي.. و فقال له محمد بن علي الخ. [العقد المنير: ج ١ ص ٧٢/٧٣].

لكن باقي ما في الرواية بقى على حاله.

و بعد كل الذي قدمناه نقول: إن كون زين العابدين عليه السلام هو المشير على عبد الملك هو الحق الذي لا محيص عنه.

الهادي عليه السلام، وعند ذلك رأت المرأة ما رأت قالت: يا بن رسول الله أنا أتوب على يدك فأنا امرأة محتاجة...^(١)

(١) في الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي ج ١ ص ٤٠٦ روي أن أبا هاشم الجعفري قال: ظهرت في أيام المتوكل امرأة تدعي أنها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله عليه السلام فقال لها المتوكل: أنت امرأة شابة وقد مضى من وقت وفاة رسول الله عليه السلام ما مضى من السنين. فقالت: إن رسول الله عليه السلام مسح على رأسي وسأل الله أن يرد علي شبابي في كل أربعين سنة، ولم أظهر للناس إلى هذه الغاية، فلحقتني الحاجة فصرت إليهم. فدعا المتوكل كل مشايخ آل أبي طالب، وولد العباس وقريش فعرّفهم حالها. فروى جماعة وفاة زينب [بنت فاطمة عليها السلام] في سنة كذا، فقال لها: ما تقولين في هذه الرواية؟ فقالت: كذب وزور، فإن أمري كان مستورا عن الناس، فلم يعرف لي حياة ولا موت. فقال لهم المتوكل: هل عندكم حجة على هذه المرأة غير هذه الرواية؟ قالوا: لا. قال: أنا برئ من العباس إن [لا] أنزلها عما ادعت إلا بحجة [تلمذها]. قالوا: فأحضر [علي بن محمد] ابن الرضا - عليه السلام فلعل عنده شيئا من الحجّة غير ما عندنا. فبعث إليه فحضر فأخبره المرأة. فقال: كذبت فإن زينب توفيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا. قال: فإن هؤلاء قد رووا مثل هذه الرواية وقد حلفت أن لا أنزلها عما ادعت إلا بحجة تلمذها. قال: ولا عليك فهنا حجة تلمذها وتلمذ غيرها. قال: وما هي؟ قال: لحوم ولد فاطمة محرمة على السباع، فأنزلها إلى السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرها [السباع]. فقال لها: ما تقولين؟ قالت: إنه يريد قتلي. قال: فهنا جماعة من ولد الحسن والحسين عليهما السلام فأنزل من شئت منهم. قال: فوالله لقد تغيرت وجوه الجميع. فقال بعض المتعصبين: هو يحيل على غيره، لم لا يكون هو؟ فقال المتوكل إلى ذلك رجاء أن يذهب من غير أن يكون له في أمره صنع. فقال: يا أبا الحسن لم لا يكون أنت ذلك؟ قال: ذاك إليك. قال: فافعل! قال: أفعل [إن شاء الله]. فأتى بسلم وفتح عن السباع وكانت ستة من الأسود. فنزل [الامام] أبو الحسن عليه السلام إليها، فلما دخل وجلس صارت [الأسود] إليه، ورمت بأنفسها بين يديه، ومدت بأيديها، ووضعت رؤوسها بين يديه. فجعل يمسح على رأس كل واحد منها بيده، ثم يشير له بيده إلى الاعتزال فيعتزل ناحية، حتى اعتزلت كلها وقامت بإزائه. فقال له الوزير: ما كان هذا صوابا، فبادر بإخراجه من هناك، قبل أن ينتشر خبره. فقال له: أبا الحسن ما أردنا بك سوء وإنما أردنا أن نكون على يقين مما قلت، فأحب أن تصعد. فقام وصار إلى السلم وهي حوله تتمسح بثيابه. فلما وضع رجله على أول درجة التفت إليها وأشار بيده أن ترجع. فرجعت وصعد فقال: كل من زعم أنه من ولد فاطمة فليجلس في ذلك المجلس. فقال لها المتوكل: انزلي. قالت: الله الله ادعيت الباطل، وأنا بنت فلان حملني الضر على ما قلت. فقال [المتوكل]: ألقوها إلى السباع، فبعثت والدته واستوهبتها منه وأحسنّت إليها.

٦/ كلتا السفينتين آوت كل من لجأ إليها وأنجته من الهلاك.

وقد قصَّ الله ﷻ قصة سفينة نوح ﷺ حيث آوت كل من لجأ إليها ولم تترك أحداً ممن آمن بقائدها وبرسالته ليغرق ويموت في الدنيا أو يحترق بنار جهنم في الآخرة، قال ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وقال ازكبوا فيها بِسْمِ اللَّهِ جَرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ازْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿١﴾

وهكذا هم أهل البيت ﷺ فقد كانوا ولا زالوا يُمثلون الإسلام الحقيقي الذي بولايتهم كُمل، فإن تكلمنا عن أهل البيت فإنما نكون قد تكلمنا عن الإسلام، فهم كانوا النعمة السابعة التي عمّت الجميع، وكانوا يسيرون على هدى رسول الله ﷺ الذي قال فيه القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢)

وفي آية أخرى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣)

لذا كان أهل البيت ﷺ رحمةً عامةً للعالمين، فتجدهم يحاولون أن يهدوا كل من لجأ إليهم، سواء كان جاهلاً أو عالماً أو يدعي الإسلام أو يهودياً أو نصرانياً بل وحتى إن كان زنديقاً ومُلحدًا.

(١) هود ٤٠ - ٤٣.

(٢) سبأ ٢٨.

(٣) الأنبياء ١٠٧.

٧/ وحدة القيادة في كل من السفينين.

فكما كان القائد الوحيد للسفينة هو النبي نوح عليه السلام وكل شيء في السفينة يرجع إليه، كان القائد لأهل البيت عليهم السلام هو الرسول الأكرم عليه السلام وهم بلسانهم كانوا يصرون بأن كل ما عندهم هو من عند رسول الله عليه السلام.

فقد روي عن هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ وَحَمَّادِ بْنِ عَثْمَانَ وَغَيْرِهِ، قَالُوا: سَمِعْنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «حَدِيثِي حَدِيثُ أَبِي، وَحَدِيثُ أَبِي حَدِيثُ جَدِّي، وَحَدِيثُ جَدِّي حَدِيثُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَحَدِيثُ الْحُسَيْنِ حَدِيثُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَحَدِيثُ الْحُسَيْنِ حَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَحَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام، وَحَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام قَوْلُ اللَّهِ عليه السلام.^(١)

وعن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا جابر، لو كنا نفتي الناس برأينا وهو أنا لكننا من الهالكين، ولكننا نفتيهم بأثار من رسول الله عليه السلام وأصول علم عندنا، نتوارثها كابراً عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم».^(٢)

٨/ كلتا السفينتين كانت فاتحة عهد جديد.

فأما سفينة نوح عليه السلام فقد أبقّت المؤمنين فقط على وجه البسيطة، حتى كُنِيَ نوح عليه السلام بـ(الأب الثاني للبشر)، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك قائلاً: ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ عليه السلام﴾.^(٣)

وكذلك هم أهل البيت عليهم السلام فقد فتحوا عهداً جديداً؛ وذلك من جهاتٍ عديدة: الجهة الأولى: فتحوا عهداً جديداً في الخلافة؛ إذ لم يكن خليفة فيما سبق إلا وهو

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٥٣ بَابُ رِوَايَةِ الْكُتُبِ وَالْحَدِيثِ وَفَضْلِ الْكِتَابَةِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ ح ١٤.

(٢) بصائر الدرجات للصفار ص ٣٢٠ باب ١٤ ح ٤.

(٣) الإسراء ٣

نبي، وأما الأئمة عليهم السلام فليسوا بأنبياء؛ لأنَّ النبوة خُتِمت بالرسول الخاتم عليه السلام.

الجهة الثانية: كانت سفينة نجاة الأمة الإسلامية (أهل البيت عليهم السلام) فاتحة عهد جديد؛ لأنها أكملت الدين الإسلامي، حيث لم تنزل آية إكمال الدين وإتمام النعمة إلا بعد تبليغ الرسول الأكرم عليه السلام المسلمين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام في غدير خم.

الجهة الثالثة: كانت إمامة أهل البيت عليهم السلام هي الخاتمة لجميع الخلافات والوصايا لجميع الأنبياء، فإنَّ الإمام المهدي عليه السلام هو خاتم الأوصياء.

٩/ لم يركب السفينتين إلا خلفاء الأرض، كلُّ في زمنه.

فقد صرَّح القرآن الكريم بأنَّ الذين ركبوا سفينة نوح هم كانوا خلفاء الأرض، يقول عليه السلام: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾^(١) وكذلك القرآن الكريم يؤكد أنَّ خلفاء أهل الأرض هم أهل البيت عليهم السلام ومن تبعهم، إذ قال: ﴿وَتُرِيدُونَ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢).

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسيرها: هم آل محمد عليهم السلام، يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزهم ويذل عدوهم.^(٣)

فكما أنَّ من ركب سفينة نوح عليه السلام ورث الأرض، فكذلك من ركب سفينة أهل البيت عليهم السلام سيرث الأرض ولو بعد حين.

١٠/ قلة من ركب كلاً من السفينتين.

يُصرَّح القرآن الكريم بأنَّ الذين آمنوا بنوح عليه السلام كانوا قليلاً، قال تعالى: ﴿مَا آمَنَ

(١) يونس ٧٣.

(٢) القصص ٥.

(٣) الغيبة للطوسي ص ١٨٤ ح ١٤٣.

مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿١﴾، وهم ثمانية^(٢)، وروى أنهم ثمانون في أكثر الاحتمالات^(٣).
وكذلك الذين يؤمنون بأهل البيت (سلام الله عليهم) فإنَّ نسبتهم إلى المسلمين
عمومًا لا تصل حتى إلى الربع، وهي نسبة ضئيلة، بل حتى من يدعون التشييع أنفسهم،
كم منهم اتبع أهل البيت ﷺ حقًا؟!
فَعَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ ﷺ يَقُولُ: لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَالَ بَوْلَانِنَا
مُؤْمِنًا، وَلَكِنْ جُعِلُوا أُنْسًا لِلْمُؤْمِنِينَ»^(٤).

وعن أمير المؤمنين ﷺ: «ولم يخل أرضه من عالم بما يحتاج إليه الخليفة، ومتعلم على
سبيل النجاة، أولئك هم الأقلون عددًا، وقد بين الله ذلك في أمم الأنبياء وجعلهم مثلاً
لمن تأخر، مثل قوله في قوم نوح ﷺ: ﴿مَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٥)»^(٦).

١١/ الارتباط بكل من سفينتي النجاة ارتباط عقائدي لا نسبي.

فكما أن النجاة انحصرت بمن ارتبط بسفينة نوح ﷺ ارتباطاً عقائدياً لا نسبياً،
يشهد على ذلك هلاك ابن نوح ﷺ في قوله ﷺ: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ
أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ قال يا نوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ
غَيْرٌ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أُعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٧).

(١) هود: ٤٠.

(٢) عن حمران، عن أبي جعفر ﷺ في قول الله ﷻ: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، قال: «كانوا ثمانية».
(معاني الأخبار للصدوق: ١٥١ / باب معنى القليل / ح ١).

(٣) راجع: تفسير مجمع البيان للطبرسي ٥: ٢٧٩.

(٤) الكافي للكليني ج ٢ ص ٢٤٤ بَابُ فِي قَلَّةِ عَدَدِ الْمُؤْمِنِينَ ح ٧.

(٥) هود: ٤٠.

(٦) الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٣٦٨.

(٧) هود ٤٥ - ٤٧.

فكذلك الارتباط بأهل البيت عليهم السلام لأبَدَّ أن يكون عقائدياً لا نسبياً، وإن كنا نقدر أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله ونجلهم، لكن دخول الجنة ليست له علاقة بارتباط النسب، الإمام زين العابدين عليه السلام يقول لطاووس اليماني: «هيهات هيهات يا طاووس، دع عني حديث أبي وأمي وجدِّي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيِّداً قرشياً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١)؟ والله لا ينفعك غداً إلاّ تقدمة تُقدِّمها من عمل صالح»^(٢).

(١) المؤمنون ١٠١.

(٢) في مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ج ٣ / ص ٢٩١ و ٢٩٢): عن طاووس الفقيه، قال: رأيت الإمام زين العابدين عليه السلام يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبّد، فلما لم ير أحداً رمق السماء بطرفه وقال: «إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحات للسائلين، جنتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدِّي محمد في عرصات القيامة»، ثم بكى، وقال: «وعزّتك وجلالك، ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض، ولكن سوّلت لي نفسي وأعاني على ذلك سترُك المرخي به عليّ، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني، وبجل من اعتصم إن قطعت جملك عني، فوا سواته غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفّين: جوزوا، وللمثقلين: حطوا، أمع المخفّين أجوز أم مع المثقلين أحط؟ وبلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما أن لي أن أستحي من ربي؟»، ثم بكى، ثم أنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين محبّتي
أتيت بأعمال قباح رديّة وما في الوري خلق جني كجناتي

ثم بكى وقال: «سبحانك تُعصى كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم تُعص، تتودّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيّدي الغني عنهم».

ثم خرّ إلى الأرض ساجداً، فدنوت منه وشلّت رأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده، فاستوى جالساً وقال: «من ذا الذي أشغلني عن ذكر ربي؟!».

فقلت: أنا طاووس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفرع؟ ونحن يلزمننا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون! أبوك الحسين بن عليّ، وأمك فاطمة الزهراء، وجدك رسول الله.

فالتفت إليّ وقال: «هيهات هيهات يا طاووس، دع عني حديث أبي وأمي وجدِّي، خلق الله الجنة لمن

١٢/ ركوب كل من السفينتين لا يعصم من الذنوب.

لم يُعصم من الذنب والخطأ أو من دخول جهنم كل من ركب سفينة نوح عليه السلام بمجرد ركوبه السفينة، وبعبارة منطقية: ركوب السفينة لم يكن علةً تامة لدخول الجنة والعصمة من الخطأ، بل كان مقتضياً لدخول الجنة مع لزوم رفع الموانع.

وكذلك من آمن بأهل البيت عليهم السلام لا يكفيهم مجرد ادعاء مودتهم ومحبتهم، بل لا بد من طاعتهم، روي أنه قال رجل للحسن بن علي عليه السلام: يا بن رسول الله أنا من شيعتكم. فقال الحسن بن علي عليه السلام: «يا عبد الله، إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها! لا تقل: أنا من شيعتكم، ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبيكم، ومعادي أعدائكم، وأنت في خير، وإلى خير»^(١).

إن حديث السفينة يلزمنا بطاعة أهل البيت عليهم السلام، لذلك روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «امتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، وعند أسرارهم كيف حفظهم لها عند عدونا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما كان في شيعتنا فلا يكون فيهم ثلاثة أشياء: لا يكون فيهم من يسأل بكفه، ولا يكون فيهم بخيل، ولا يكون فيهم من يؤتى في دُبره»^(٣).

أطاعه وأحسن ولو كان حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيّداً قرشياً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، والله لا ينفعك غداً إلاّ تقدمة تُقدّمها من عمل صالح».

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ح ١٥٣.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق (ص ١٠٣ / ح ٦٢).

(٣) الخصال للشيخ الصدوق: ص ١٣١.

دلالات حديث النجوم

وردت الكثير من الروايات التي شبّه فيها الرسول الأكرم ﷺ - كما شبّه الائمة من بعده ﷺ - أهل البيت ﷺ بنجوم السماء في كونهم أماناً لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمانٌ لأهل السماء. وقد اختلفت ألفاظ بعضها ولكن المعنى واحد، ومن تلك الروايات:

ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمانٌ لأهل السماء». (١)

وروي عن النبي ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبَت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون». (٢)

وروي عن رسول الله ﷺ: «إنَّ النجوم في السماء أمان من الغرق، وإنَّ أهل بيتي أمان لأمتي من الضلالة في أديانهم لا يهلكون فيها مادام فيهم من يتبعون هديه وسنته». (٣)

وروي عن الإمام علي عليه السلام: «ألا إنَّ مثل آل محمد ﷺ كمثل نجوم السماء إذا خوى (غاب) نجمٌ طلع نجم». (٤)

(١) ينابيع المودة ج ١ ص ٧٢.

(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٤.

(٣) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام ص ٥٤٦.

(٤) نهج البلاغة لأمر المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ١٩٤.

دلالات حديث النجوم

على الرغم من قصر تراكيب حديث النجوم وقلة ألفاظه إلا أنه يحمل من الدلالات المهمة ما يحمل، وبيانه بالتالي:

أولاً: دلالة فوائد النجوم:

للنجوم فوائد عديدة ذكرها القرآن الكريم في آياته المباركة أبرزها:

١/ الهداية.

كما في قوله ﷺ: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١).

فقد كانت النجوم وسيلة مهمة لهداية الناس فيما مضى إلى الاتجاهات، حيث لم تكن الآلات الحديثة والخرائط البحرية متوفرة، فكانوا يهتدون من خلال النجوم، لاسيما أولئك الذين يسافرون عبر البحار أو الصحاري، إذ كان بعضها يُشير إلى بعض الاتجاهات، فالدب القطبي دائماً يُشير إلى جهة الشمال، فإن كان خلف الشخص علم أنه متجه نحو الجنوب، والعكس بالعكس، وبذا يستطيع أيضاً أن يعرف المشرق والمغرب؛ لذلك عبّرت بعض الأحاديث أن النجوم أمان للناس من الغرق، وقد بلغ اعتمادهم على النجوم في الاهتداء إلى السبيل الصحيح درجةً أن يتوقفوا عن الإبحار عندما تكون السماء ملبدةً بالغيوم؛ لأنهم من دونها لا يعرفون المقصد الذي يبغون إليه.

وتشبيه أهل البيت ﷺ بالنجوم يُشير إلى هذه الحقيقة، وهي عدم إمكان اهتداء الناس إلى الحق من دون التمسك بهم وبنهجهم ﷺ، لاسيما في فتن الدنيا وكثرة السبل المتفرقة، حيث يكونون بأمس الحاجة إلى علامة توصلهم إلى الصراط المستقيم، وإلى الله ﷻ.

فكما أن الناس يهتدون بالنجوم للوصول إلى الهدف، كذلك الناس يهتدون بأهل البيت عليهم السلام للوصول إلى الهدف؛ لذلك روي عن داود الجصاص قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قَالَ: «النَّجْمُ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام وَالْعَلَامَاتُ هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام». (١)

وَعَنِ الْوَشَاءِ قَالَ: سَأَلْتُ الرَّضَاءَ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قَالَ: نَحْنُ الْعَلَامَاتُ، وَالنَّجْمُ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام. (٢)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلُمَاءِ وَتَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَةَ الْعُلْيَاءِ﴾. (٣)
وقد أشار الله تعالى في آيات عديدة عن فوائد النجوم منها قوله عز من قائل:
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. (٤)

٢/ المنع من الضلال.

يصرح القرآن الكريم بأن مهمة بعض النجوم هو رجم الشياطين، فهي رجوم للشياطين، فإذا أراد شيطان ما أن يطلع على ما في السماء من غيب، فهناك نجوم ترصد تحركاته وتمنعه من الوصول إلى ذلك، قال عليه السلام: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾. (٥)

إننا وإن لم نصل إلى فهم معنى وكيفية رصد النجوم للشياطين ودحرهم، ولكن

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٠٦ باب أن الأئمة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها الله عليه السلام في كتابه ح ١.

(٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٠٧ باب أن الأئمة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها الله عليه السلام في كتابه ح ٣.

(٣) نهج البلاغة ج ١ ص ٣٨.

(٤) الأنعام ٩٧.

(٥) الصفات ٦ - ١٠.

علينا التسليم والأخذ به ولو تعبدًا، لنصّ القرآن الكريم على ذلك، فالنجوم تمثل مانعًا من توسع خط الضلالة، وهم الشياطين، وبذا يشبه أهل البيت عليهم السلام النجوم؛ إذ إنهم عليهم السلام يُمثّلون المانع الأقوى ضد حزب الشيطان وحزب الضلالة، فمن أراد أن يعرف المخرج من الفتن والشبهات فعليه أن يتمسك بأهل البيت عليهم السلام.

ثانيًا: دلالة دوام البقاء ما بقيت الدنيا.

فكما أن الله ﷻ قد قضى بوجود النجوم ما دامت السماء، أي قضى باستمرار وجودها إلى يوم القيامة؛ لأنها الأمان لأهل السماء، فإن انعدم وجودها هلكوا، وكذلك قد قضى أن يستمر وجود أهل البيت عليهم السلام إلى يوم القيامة أمانًا لأهل الأرض، فإن رُفِعوا منها ولو قليلاً من الزمن ساخت الأرض بأهلها، وهذا معنى ما روي متواتراً: لولا الإمام لساخت الأرض.

وهذا يدل على ضرورة وجود الإمام المهدي عليه السلام في لحظة استشهاد الإمام العسكري عليه السلام وحتى يومنا هذا وإلى أن يأذن الله تعالى له بالظهور.

ثالثًا: دلالة دوام الهداية.

قد تقدّم أن الله ﷻ قد قضى بوجود النجوم أمانًا لأهل السماء، ومعلوم أن وجودها لا ينفك عن هدايتها لبني البشر إلى سبيل الصواب دائماً وأبداً، وكذلك هم أهل البيت عليهم السلام فإن وجودهم لا ينفك عن هدايتهم لهم، إذ إن هدايتهم للإنسان ليست بالمنقطعة أو المؤقتة بوقتٍ محدود، بل مستمرة إلى يوم القيامة، وفي أية لحظةٍ تنتفي فإن الناس يضلون، وهذا دليلٌ واضحٌ على عدم إمكانية غضب إمامتهم وإن تمكن الظالمون من غضب بعض شؤونها ظاهراً وهي الخلافة السياسية فقط. فهم الأئمة المفروضة طاعتهم على الأمة دائماً وأبداً، فإن نُحيت عنهم الخلافة السياسية فذلك لأن الأمة لم تطعهم ولم تقم بالواجب عليهم في ذلك، لا لأنهم عليهم السلام فقدوا الإمامة أو غضبت

عنهم؛ لأن الإمامة منصبٌ إلهي لا يمكن غضبه كالنبوة تمامًا.

رابعاً: دلالة عصمة الهداية.

فالنجوم حيث إنّها ثابتة في السماء فإنّها تهدي من يرجع إليها إلى سبيل الصواب دائماً وأبداً، ولا تخدعه يوماً أو توقعه في الخطأ ولو ساعةً ما؛ لأنّ عصمتها تكوينية، فالله ﷻ هو الذي جعلها وفق نظام ثابت خاص وهو نظام معصوم، وكذلك هي هداية أهل البيت ﷺ معصومة لا يعترها خطأ ولا يجوز عليها البتة، والحديث موضوع البحث، حيث إنه شبههم بالنجوم، فهو أحد الأدلة -أو على الأقل المنبهات- التي تثبت عصمتهم ﷺ. وتوجد غيره الكثير من الأدلة العقلية والنقلية بشقيها الآيات المباركة والروايات الشريفة.

خامساً: دلالة التعاقب:

من الواضح جداً أنّ النجوم تتعاقب في البرزخ، أي تبزغ في السماء ثم تأفل، لكن كلّما يأفل نجمٌ يبزغ نجمٌ آخر، وتشبيه أهل البيت ﷺ بالنجوم له نفس المعنى حيث إنه كلّما غاب إمامٌ ظهرَ إمامٌ آخر، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة حيث قال: «أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ». (١)

سادساً: دلالة عدم أو مانعية الخلو.

ونقصد بها أنه كما أنّ النجوم لا تخلو منها السماء ولو لجزء من الثانية، إذ إنّها موجودةٌ حتى في النهار -وإن لم تتمكن من رؤيتها- فضلاً عن الليل، فكذلك هم الائمة ﷺ لا تخلو منهم الأرض ولو لجزء من الثانية، وهذا يشير إلى ضرورة أن يكون الإمام المهدي ﷺ مولوداً وموجوداً واقعاً، وإن لم يظهر للناس في غيبته حتى يأذن الله

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٤.

في الوقت المناسب.

ومن الجدير بالذكر قول البعض بإمكانية رؤية النجوم نهاراً إذا ما نظر الناظر في البئر، فإن ذلك مُشابه لما يُقال من أنّ رؤية الإمام المهدي عليه السلام وإن كانت غير متاحة للجميع إلا أنّها تتاح عند توفر شروطٍ خاصة.

سابعاً: دلالة مجهولية الحقيقة.

في كثيرٍ من الأحيان لا يُمكننا أن ندرك غور النجوم حتى مع التلسكوبات الحديثة، حيث إنّها تصل إلى غور السماء إلى حدٍ معين من السنوات الضوئية وإن بلغت المليون أو أكثر لكنها تقف عند حدٍّ معين لا يُمكننا معرفة حقيقة وغور النجوم بعده، وكذلك هي حقيقة أهل البيت (سلام الله عليهم) مجهولةٌ عندنا، فلا يستطيع أحد أن يدركها، بل إنّ أحاديثهم لا يُمكن لنا إدراكها تمام الإدراك، فكيف بحقيقتهم؟!

روي عن جابرٍ قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ حديث آل محمدٍ صعبٌ مُستصعبٌ، لا يُؤمنُ به إلا ملكٌ مُقربٌ أو نبيٌّ مُرسلٌ أو عبدٌ ائتمن الله قلبه للإيمان»^(١).

وفي حديث الإمام الرضا عليه السلام: «إن في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، ومحكماً كمحكم القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها؛ ففضلوا»^(٢).

وأما حقيقتهم فمن بابٍ أولى لأنها مما لا يمكن إدراكه، ومن ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «يا علي، ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٤١٠ بابٌ فيما جاء أنّ حديثهم صعبٌ مُستصعبٌ ح ١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج ١ ص ٢٦١ ح ٣٩.

الله وأنا» (١).

كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» الليلة فاطمة، والقدر الله تعالى، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها...» (٢)

فما نعرفه نحن عن أهل البيت عليهم السلام مجرد خطوطٍ عامة وشعاعٍ يصلنا من نورهم، أما حقيقتهم فهي مجهولة بالنسبة لنا.

ثامناً: دلالة عدم التعارض.

فكما لا تصادم بين النجوم في السماء، بل «كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» (٣)، فكذلك هم أهل البيت عليهم السلام لا تصادم بينهم وبين أحاديثهم، لذلك كان هناك بحثٌ طويل ومهم في علم الأصول يحلُّ مسألة التعارض الظاهري بين الأدلة؛ إذ لا يمكن أن يكون تعارض حقيقي بين أقوالهم عليهم السلام؛ فهم كالقرآن لا ينقض بعضه بعضاً، قال عليه السلام: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (٤).

بل ورد في أحاديث الأئمة عليهم السلام أمرٌ برّد الحديث إلى أهله فيما إذا جاء عنهم عليهم السلام حديث ولم يعرف معناه أو حلّه، ومن ذلك ما روي عن جابرٍ قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ عَبْدٌ ائْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيَانِ، فَمَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَدِيثِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام فَلَا تَنْتَ لَهُ قُلُوبِكُمْ وَعَرَفْتُمُوهُ فَأَقْبِلُوهُ، وَمَا أَشْمَأَزَتْ مِنْهُ قُلُوبُكُمْ وَأَنْكَرْتُمُوهُ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

(١) مختصر بصائر الدرجات للشيخ الحلي ص ١٢٥.

(٢) تفسير فرات الكوفي ص ٥٨١ ح ٧٤٧ / ٢.

(٣) الأنبياء ٣٣

(٤) النساء ٨٢

وإِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى الْعَالَمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَإِنَّمَا الْهَالِكُ أَنْ يُحَدِّثَ أَحَدَكُمْ بِشَيْءٍ مِنْهُ لَا يَحْتَمِلُهُ، فَيَقُولَ: وَاللَّهِ، مَا كَانَ هَذَا، وَاللَّهِ مَا كَانَ هَذَا، وَالْإِنْكَارُ هُوَ الْكُفْرُ»^(١).

ولذا فإن علماءنا في بعض الأحيان عندما يصلون إلى رواياتٍ صحيحة ولكن لا يجدون مخرجاً لها، فإنهم يقولون: هذا الحديث لا نُنكره ولكن نردُّ علمه إلى أهله، فإذا أدركنا الإمام الحجة عليه السلام فإنه سيبين لنا ما اختلف فيه.

تاسعاً: دلالة وحدة المحور.

من المعلوم أن كل مجموعة نجمية ترجع إلى محور واحد، فمجموعتنا الشمسية مثلاً تدور حول الشمس، وكذلك هم أهل البيت عليهم السلام فإنهم يدورون حول محور واحد وهو الرسول الأعظم (صلوات الله وسلامه عليه وآله)، كما تقدم في رواية داود الجصاص.

عاشراً: الدلالة على قدرة الله تعالى وحكمته.

أقسم الله تعالى بالنجوم، وذكر أنه قسمٌ عظيم؛ وذلك لأن ثبات مواقع النجوم رغم دوران الأرض حول نفسها، ودوران الأرض حول الشمس، والنسق الدقيق في ذلك، هو أمرٌ تتجلى فيه عظمة قدرة الله تعالى وحكمته غير المتناهيتين، وتشبيه أهل البيت عليهم السلام بالنجوم يُشير أيضاً إلى هذا المعنى، فإن الله (سبحانه وتعالى) عندما اختارهم عليهم السلام ليكونوا خلفاء للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه اختارهم بقدرته وحكمته غير المتناهيتين؛ لما علم أن ليس هناك من هو مؤهل ليكون خليفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا هم عليهم السلام، وقضى بإمامتهم، فلا بد أن يرضخ له كلُّ بني البشر لذلك، فليس أمام هذا الجعل الإلهي إلا التسليم.

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٤١٠ باب فيما جاء أن حديثهم صعبٌ مُستصعبٌ ح ١.

أحد عشر: دلالة عدم التصادم بين الوظائف.

فكُلُّ نجمٍ من النجوم يدور في مسارٍ ثابت ليؤدي وظيفته الخاصة، فالشمس تجري لمستقر لها لتؤدي وظيفتها الخاصة، وكذلك القمر يسير في مساره الخاص ليؤدي وظيفته الخاصة، وهكذا بقية النجوم، فكُلُّ له دوره الخاص الذي يُكْمَل دور النجم الآخر ولا يعارضه، فالشمس تضيئ في النهار، ليأتي دور القمر ليلاً، من دون أيّ تعارضٍ بينهما، فكما لا تصادم في المسارات بين النجوم، ولا تصادم في وظائفها، وكذلك أهل البيت عليهم السلام، فأمر المؤمنين عليهم السلام جلس ما يقارب خمساً وعشرين سنةً في بيته؛ لأن وظيفته كانت الجلوس، وعندما صارت وظيفته الحكم الظاهري قام بها، كما قام بكل ما يترتب عليها من مهام، فقاتل على التأويل كلاً من الناكثين والقاسطين والمارقين، وأما الإمام الحسن عليه السلام فقد كانت وظيفته أن يُهادن، والإمام الحسين عليه السلام كانت وظيفته أن يقاتل.

إن لكلٍ منهم عليهم السلام الخصائص ذاتها، فكلٍ منهم ثائر وكلٍ منهم مُطالب بالإصلاح، وكلٍ منهم كاظم وهكذا، وعليه فلو كان الإمام الحسن في موضع الإمام الحسين عليه السلام لقاتل، فأدوارهم شتى والهدف واحد، بحيث إن كلَّ دورٍ من الأدوار يكون مكملاً للدور الآخر، فصلح الإمام الحسن عليه السلام هو الذي مهّد لثورة الإمام الحسين عليه السلام، وثورة الإمام الحسين عليه السلام هي التي مهّدت لظهور الإمام المهدي عليه السلام، وعليه فهناك علاقة بين الإصلاح الحسيني وتحقيق العدل المهدي، فنتيجة الإصلاح هو العدل الذي لم يتحقق في ثورة الإمام الحسين عليه السلام حيث وقف الناس موانع. وللسيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمته الله كتابٌ مهمٌ يوضح هذه المسألة بعنوان (تنوع أدوار ووحدة هدف).

إشارة: في مناقشة حديث: أصحابي كالنجوم.

ورد في بعض أحاديث العامة أنّهم رَووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

واستدلوا به على ضرورة تقديس كل صحابة النبي ﷺ، وعدم جواز تخطئة أحدٍ منهم، أو القول بمجانبته للصواب، فما مدى صحة هذا الحديث؟

الجواب:

بدايةً وبضميمة ما كان يقوم به بعض الرواة من وضع الروايات على لسان النبي الأكرم ﷺ لقاء ملذات دنيا رخيصة يلحقونها من يد حاكمٍ تتصبب يده من دماء الأبرياء، فإنَّ من الواضح جدًّا أنَّ هذا الحديث إنَّما وُضِعَ ليثبت كرامةً لمن لا يستحق، إزاء كرامةٍ أثبتتها من لا ينطق عن الهوى، لمن هو يستحق وبكلِّ جدارة، أيَّ ليقابل الحديث الثابت عن رسول الله ﷺ في تشبيهه لأهل بيته ﷺ بالنجوم، وقد تكررت بصمات الجريمة ذاتها في حديث «أبو بكر وعمر سيدا شيوخ أهل الجنة»، إزاء حديث مروي عن الصادق الأمين ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»؛ بدليل اقتضاء حكمة الله ﷻ أنَّ يقوم نظام الجنة - إن صحَّ التعبير - على اقتصار أهلها على الشباب فقط، وانعدام وجود الشيوخ فيها.

وأما بالنسبة إلى الجواب، فإنَّ هذا الحديث من المحال نسبته إلى الرسول الأكرم ﷺ؛ للأسباب التالية:

أولاً: لمعارضته الحديث الصحيح الوارد عن الرسول الأكرم ﷺ عند كتب الفريقين، فقد روي عن النبي ﷺ في صحيح البخاري أنه قال: «ألا وإنه يجاء برجالٍ من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا ربّي أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾^(١)، فيقال: إنَّ هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ

فارقتهم»^(١).

ثانياً: لاستلزامه عصمة جميع أصحابه عليهم السلام، حيث إن لفظ: «بأيهم اقتديتم اهتديتم» لا تعني إلا أن التمسك بأيٍّ منهم موصلٌ إلى الجنة، على حين أن التاريخ المحرف فضلاً عن الصحيح قد روى قصص اختلافهم إلى حدِّ التقاتل! فكلُّ من معاوية الذي يعدونه صحابياً وأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قد دخلا في حربٍ طحنت الكثير من النفوس وسفكت فيها الكثير من الدماء، فكيف يمكن أن يكون كلاهما على حقٍ وصوابٍ ويهديان إلى الجنة؟!

بل كيف يمكن للمسلم أن يتمسك بكليهما وهما على طرفي نقيض! فطريق من يسلك وبمن يقتدي؟! فما هذا إلا جمع بين متضادين، بل كيف يكون كلاهما على سرر متقابلة في الفردوس وأحدهما قد قاتل بل قتل الآخر!

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله صراحةً ببغي فئةٍ من المسلمين من بعده، بقوله صلى الله عليه وآله: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية»^(٢)، وقد تحقق قتل عمار (رضوان الله عليه) على يد جيش معاوية، فبعد التصريح ببغي معاوية كيف يُعقل أن يُقتدى به ويهتدى به إلى الجنة؟! ثم كيف نوّدي عبادتنا وصلواتنا؟ هل نتكتف أو نُسبل؟ لا سيما أن مذهباً يقول بوجوبه وآخر يقول ببطلان الصلاة به!

لكلِّ ما تقدّم لا يُمكن نسبة هذا الحديث إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

ثالثاً: الحديث المروي حتى وإن كان حقاً قد صدر من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فإنه لا يمكن الاحتجاج به على عدالة جميع الصحابة؛ وذلك لأنه ليس بمطلق، إذ لا بد من تقييده بمن لم يغير ولم يبدل، كما روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه سُئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله:

(١) البخاري/ج ٥/ص ١٩١-١٩٢.

(٢) دعائم الإسلام للقاضي المغربي ج ١ ص ٣٩٢.

«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، وعن قوله ﷺ: «دعوا لي أصحابي».

فقال ﷺ: «هذا صحيح، يريد من لم يُغيّر بعده ولم يبدّل».

قيل: وكيف يعلم أنهم قد غيروا أو بدلوا؟

قال: لما يروونه من أنه ﷺ قال: «ليزادن برجال من أصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تزداد غرائب الإبل عن الماء فأقول: يا رب أصحابي، أصحابي فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك؟ فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: بعداً وسحقاً لهم. أفترى هذا لمن لم يغير ولم يبدّل؟!». (١)

(١) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق/ ج ٢/ ص ٩٣/ ح ٣٣.

دلالات حديث المنزلة

وهو من الأحاديث المسندة والمتواترة عند الفريقين، فلا ينبغي الكلام في هذه الجهة؛ لأنها ثابتة ولا مناص من الاعتراف بصدور هذا الحديث من الرسول الأعظم محمد ﷺ، كل ما في الأمر أنه روي بعدة ألفاظ متقاربة جداً لا تضر بالمعنى العام للحديث الشريف، ومن هذه الألفاظ:

عن سعيد بن المسيب، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي».

قال سعيد: فأحببتُ أن أشافه بها سعداً، فلقيت سعداً فحدثته بما سمعته من عامر، فقال: أنا سمعته، قلت: أنت سمعته؟! قال: فوضع إصبعيه على أذنيه فقال: نعم، وإلا استكتنا. (١)

و عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما منعك أن تسب أبا تراب؟ قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي وخلفه في بعض مغازيه؟ فقال له علي: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله، ورسوله ويحبه الله

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٠.

ورسوله...»^(١)

وسأل رجل معاوية عن مسألة فقال: «سل عنها عليّ بن أبي طالب فإنه أعلم، قال له: يا أمير المؤمنين قولك فيها أحبُّ إليّ من قول عليّ بن أبي طالب، فقال: بئس ما قلت، ولؤم ما جئت به، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يُغزّه بالعلم غزاً. ولقد قال له رسول الله ﷺ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي، ولقد كان عمر ابن الخطّاب يسأله فيأخذ عنه، ولقد شهدت عمر إذا أشكل عليه شيء قال: هاهنا عليّ؟ قم لا أقام الله رجلك. ومحا اسمه من الديوان...»^(٢)

و عن عبد الله بن عباس: «سمعت عمر بن الخطّاب يقول: كفّوا عن ذكر عليّ بن أبي طالب؛ فقد رأيت من رسول الله ﷺ فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهم في آل الخطّاب أحبُّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فانتهيت إلى باب أم سلمة وعليّ قائم على الباب، فقلنا: أردنا رسول الله ﷺ، فقال: يخرج إليكم. فخرج رسول الله ﷺ فسرنا إليه، فاتكأ على عليّ بن أبي طالب ثمّ ضرب بيده منكبه، ثمّ قال: إنك مخاصم تحاصم؛ أنت أول المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيام الله، وأوفاهم بعهد، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية، وأعظمهم رزية، وأنت عاضدي، وغاسلي، ودافني، والمتقدّم إلى كلّ شديدة وكريمة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدّمني بلواء الحمد، وتذود عن حوضي.

ثمّ قال ابن عباس من نفسه: ولقد فاز عليّ بصهر رسول الله ﷺ، وبسطة في العشيرة، وبذلاً للماعون، وعلماً بالتنزيل، وفقهاً للتأويل، ونيلاً للأقران.^(٣)

(١) سنن الترمذي ج ٥ ص ٣١٠ - ٣٠٢

(٢) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ٥١ - ٥٢ ح ٥٣.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٣ ص ١١٦ - ١١٧ ح ٣٦٣٧٨.

وغيرها من الطرق الكثيرة.

إشكالات وجوابه:

وبالرغم من كل ما تقدم، فقد أشكل بعض المنحرفين عن خط أمير المؤمنين عليه السلام عليه، وهو الطريق الذي يسلكه النواصب عادةً، إذ إنهم ما إن يُغلق أمامهم طريق الطعن في صحة سند الحديث، حتى يسلكوا طريق إفراغ متن الحديث من محتواه الصحيح ودلالته الحقّة، وقد وقع هذا التعامل مع حديث الغدير، كما وقع مع هذا الحديث أيضًا، حديث المنزلة، وحاصل هذا الإشكال:

عدم دلالة هذا الحديث على أكثر من أن عليًا عليه السلام خليفة للرسول الأكرم عليه السلام في حياته فقط دون ما بعد وفاته، أي اقتصار دلالاته على أن عليًا عليه السلام خليفة للرسول الأكرم عليه السلام في حياته فقط، أي إن هذا الحديث وارد في موردٍ خاص، وهو في غزوة تبوك، فلا يشمل ما بعد وفاة رسول الله عليه السلام...

وفي مقام الجواب نقول^(١):

إن هذا الكلام باطل؛ للأسباب الآتية:

أولاً: ورود الاستثناء في سياق حديث النبي عليه السلام دليلٌ واضحٌ على عمومه؛ لأن الاستثناء لا يرد إلا على العام - كما اتفقت على ذلك كلمات النحاة - . ومن ثم فإن نفس كلام الرسول الأعظم عليه السلام كان عامًا لا خصوص فيه، فكيف أمكنهم الادعاء بتخصيصه في مورد!

ثم إنك تلاحظ أن النبي عليه السلام يؤكد دائمًا على جملة «إلا أنه لا نبي بعدي»، أي على استثناء خصوص النبوة، ولو كان استخلاف الرسول الأعظم عليه السلام لعلي عليه السلام خاصًا بغزوة

(١) انظر التفاصيل في المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين، المراجعة رقم (٣٠).

تبوك، لما احتاج الرسول الأعظم ﷺ إلى التأكيد على هذه المسألة، ونفي النبوة من بعده. إذن، تأكيد الرسول الأعظم ﷺ على ذلك يدل على عموم استخلاف علي عليه السلام له ﷺ، ولكن قطعاً لادعاء النبوة قال تلك الجملة.

ثانياً: خصوص المورد لا يخصص الوارد، فحتى لو سلمنا أن مورد هذا الحديث خاص، ولكن خصوص مورده لا يخرج عن عمومه!

وهذه القاعدة مسلمة عند العلماء، فلو رأيت أحداً يريد أن يشرب كأس خمر فقلت له (هذا الخمر حرام شربه)، فهل هذا الحكم خاص بخصوص هذا الكأس، وغيره من الخمر حلال؟! قطعاً لا، وكذا لو رأيت الجنب يمس آية الكرسي مثلاً فقلت له: لا يمسن آيات القرآن محدثاً، أيكون هذا خاصاً بمورده أم عاماً شاملاً لجميع آيات القرآن الكريم، ولكل محدث؟!!

وقد وردت الكثير من الأحكام على لسان أهل البيت عليه السلام جواباً لأسئلة سُئلوا بها أو تعليقاً على حادثة وقعت أمامهم، ولو كانت قاعدة تخصيص المورد بالوارد لانتهى الاستدلال بها جميعاً، ولما أمكن للعلماء الاستناد عليها في بيان الأحكام الشرعية. إذن، حتى لو كان هذا الحديث خاصاً بغزوة تبوك، فهذا لا يجعل خلافة أمير المؤمنين عليه السلام خاصة بتلك الغزوة؛ لأن خصوص المورد لا يخصص الوارد.

ثالثاً: ورود الحديث في موارد عديدة وكثيرة

فلو سلمنا أن المورد (وهو قول النبي ﷺ هذا الحديث) يُخصص الوارد (وهو استخلاف النبي للإمام (عليهما وآلهما السلام))، فإن هذا الحديث قد ورد في موارد عديدة وكثيرة، ففي قصة مؤاخاة النبي الأكرم ﷺ لعلي عليه السلام قال رسول الله ﷺ: -والذي بعثني بالحق نبياً، ما أخرجتني إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى

غير انه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي...»^(١).

وفي حديث الدار والإنذار قال رسول الله ﷺ: «فأيكم يقوم فيبايعني على أنه أخي ووزير ووارثي دون أهلي ووصيي وخليفتي في أهلي ويكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟»^(٢)

وفي قضية سدّ الأبواب قال رسول الله ﷺ: «وإن علياً مني بمنزلة هارون من موسى»^(٣) وغيرها من الموارد الكثيرة.

دلالات حديث المنزلة

وفيه فقرتان:

الفقرة الأولى: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى».

الفقرة الثانية: «إلا أنه لا نبي بعدي».

الفقرة الأولى: دلالات «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»:

تمثل دلالات حديث المنزلة منازل الإمام علي عليه السلام من النبي ﷺ، وللتعرف عليها لا بدّ من التعرف إلى منازل هارون من موسى عليه السلام والثابتة في القرآن الكريم. لا سيما أنّ الله ﷻ قد أجاب سؤال موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج ٩ ص ١٦٧ ح ٢٥٥٥٤ و ص ١٧٠ ح ٢٥٥٥٥ وج ١٣ ص ١٠٥ - ١٠٦ ح ٣٦٣٤٥ وغيرها.

(٢) تفسير فرات الكوفي ص ٣٠٣.

(٣) ينابيع المودة للقندوزي ج ١ ص ٢٥٩ باب ١٦ ح ٨.

أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا * (١)

المنزلة الأولى: الوزارة.

قال ﷺ حكاية عن موسى ﷺ: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ (٢) وقال ﷺ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ (٣).

وفقاً لهاتين الآيتين يكون هارون وزيراً لموسى، وعليه فيكون عليّ وزيراً لرسول

الله ﷺ.

والوزير لغةً مشتق من: (الوزر) بمعنى الثقل، أو قل من: (الوزر) بفتحين بمعنى الجبل الذي يلتجأ إليه، وبناءً على المعنى الأول إنما سُمي الوزير وزيراً؛ لأنه يحمل ثقل الملك، وأما بناءً على المعنى الثاني فقد سُمي كذلك؛ لأن الملك يلتجأ إليه في آرائه وأحكامه.

وعليه، فإن طلب موسى ﷺ من الله ﷻ أن يجعل أخاه هارون وزيراً له، إنما يدل على معرفته ﷺ بكثرة وصعوبة وثقل أعباء الرسالة، مما يحتاج إلى من يساعده ويؤازره ويشد أزره؛ لذا قال: ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ فموسى ﷺ طلب أن يكون له من يحمل ثقله ويساعده فيه، وأن يكون له من يساعده في آرائه وأحكامه وأدائه للرسالة، فكان هارون وزيره.

وعلي ﷺ قد حاز هذه المرتبة والمنزلة أيضاً، فكان وزير الرسول الأعظم ﷺ، وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال لابن عباس: «إِنَّ أَوَّلَ مَا كَلَّمَنِي بِهِ [أَيَّ اللَّهِ ﷻ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ] أَنْ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، انظُرْ تَحْتِكَ، فَانظَرْتُ إِلَى الْحِجَابِ قَدْ انْخَرَقَتْ، وَإِلَى أَبْوَابِ

(١) طه ٢٥ - ٣٥.

(٢) طه ٢٩.

(٣) الفرقان ٣٥.

السماء قد فُتحت، ونظرت إلى علي وهو رافع رأسه إليّ، فكلمني وكلمته، وكلمني ربي ﷺ .

فقلت (أي ابن عباس): يا رسول الله ﷺ، بم كلمك ربك؟

قال ﷺ: قال لي: يا محمد، إنّي جعلته وصيّك ووزيرك وخليفتك من بعدك، فأعلمه. (١)

وقد قال ﷺ لعليّ ﷺ: «إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنْكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ...». (٢)

المنزلة الثانية: الأخوة وشدّ الأزر.

قال ﷺ حكاية عن موسى ﷺ: «وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * فَأَجَابَهُ اللَّهُ ﷻ: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا» (٣)

لا بُدَّ من التنويه أولاً إلى أن الأنبياء أعلى وأرقى من التقيّد بالقيود المادية، فهم ينظرون إلى الروابط من منظارٍ روحي عقائدي، وعليه، فإنّ الأخوة هنا لا تُقصر على المعنى النسبي المادي المعروف؛ فقد اتخذ ﷺ أبا هب عدوّاً رغم قرابته، وسلمان المحمدي من أهله رغم أنه غريب، ومن ثم فإنّ الرسول الأعظم ﷺ لم يتخذ الإمام عليّ ﷺ أخاً لأجل قرابته فحسب، كما أنّ موسى ﷺ لم يتخذ هارون ﷺ أخاً بناءً على إخوته النسبية فحسب، بل لأجل قوله ﷺ: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» (٤)، أيّ لأجل الإخوة الإيمانية، وهكذا

(١) الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي ص ١٤١ - ١٤٢ و الأمل للشيخ الطوسي ص ١٠٤ - ١٠٥ ح ١٦١ / ١٥ .

(٢) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٥٨ .

(٣) الفرقان ٣٥ .

(٤) الحجرات ١٠ .

جاء جوابه ﷺ بالتأكيد على أن هارون أخوه ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ﴾.

وهكذا علي عليه السلام كان أخاً لرسول الله ﷺ بالإخوة الإيمانية، فضلاً عن كونه ابن عمه، وقد أكد هذا المعنى رسول الله ﷺ عندما أخى بينه وبين علي عليه السلام ولعدة مرات، القدر المتيقن منها مرتان، وذكر حديث المنزلة، كما تقدم قبل قليل.

ولقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام على الصلة الوثيقة بينه وبين الرسول الأعظم ﷺ حينما قال: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخُصِصَةِ، وَضَعِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يُضْمَنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْتَفِينِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ، وَيُسَمِّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمَّهُ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءِ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نَوْرَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَةُ، فَقَالَ ﷺ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»^(١)

وكما أن هارون عليه السلام قد شدّ أزر موسى عليه السلام، فكذا أمير المؤمنين عليه السلام قد شدّ أزر النبي ﷺ، وبذل مهجته فيه في كل المواطن، ليلة بات على فراشه، ويوم أحد إذ تركه المسلمون، وغيرها من المواقف الكثيرة التي شهد التاريخ بها.

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٥٧ - ١٥٨.

المنزلة الثالثة: الإشراف في الأمر.

وكان مما طلبه النبي موسى ﷺ أن يُشرك الله ﷻ أخاه هارون معه في أمره، قال ﷺ حكايةً عنه ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾.

ولا شك أن أمر موسى ﷺ لم يكن سوى الرسالة والتبليغ الإلهي وهداية الناس، وقد أجاب الله ﷻ نبيه موسى إلى ذلك، فقال ﷻ: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾^(١) ولذا فقد أرسلها كليهما ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾^(٢).

وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾^(٣).

وقد ثبتت هذه المنزلة لأمر المؤمنين ﷻ بدلالة حديث المنزلة، ولا يعني هذا أن علياً ﷺ نبي، كلا، إذ لا نبي بعد نبي الإسلام، ولكنه يعني أنه ﷺ كان شريك الرسول الأعظم ﷺ في تبليغ الرسالة الإلهية، ولذا قال له رسول الله ﷺ عندما خرج لغزوة تبوك: «إنه بد من أن أقيم أو تقيم»^(٤).

ولذا أرسل رسول الله ﷺ علياً ﷺ وراء أبي بكر ليأخذ منه سورة براءة ويبلغها هو ﷺ دونه، وقال له رسول الله ﷺ حين بعثه: «لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه»^(٥). كما في حديث لابن عباس.

وفي رواية أخرى قال رسول الله ﷺ: «... ولكن جبرائيل جاء فقال: لن يؤدي

(١) طه ٣٦.

(٢) يونس ٧٥.

(٣) المؤمنون ٤٥.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٤.

(٥) مسند أحمد ج ١ ص ٣٣١.

عنك إلا أنت أو رجل منك»^(١).

فكما كان هارون الناطق الرسمي والمبلغ لموسى عليه السلام: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾^(٢)، ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ﴾^(٣).

كذلك كان الإمام علي عليه السلام هو المبلغ الوحيد عن الرسول الأعظم عليه السلام؛ بدليل تبليغ سورة براءة الذي تقدّم، علاوة على ما ورد عن رسول الله عليه السلام أنه قال له عليه السلام: (أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي)^(٤).

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم لم يعتبر تبليغ الإسلام كاملاً إلا عندما بلغ الرسول الأعظم عليه السلام الناس بإمامة علي عليه السلام، يوم غدير خم، ولما أتم التبليغ نزل قوله عليه السلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٥). فلم يكن هذا كله إلا لأنّ عليّاً عليه السلام كان شريكاً للرسول الكريم محمد عليه السلام في أمر الرسالة وتبليغها.

إشارة: معنى العقدة في لسان النبي موسى عليه السلام:

قيل: إن النبي موسى عليه السلام إنما قال: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾؛ لأنه كان في حجر فرعون ومدّ يده على لحيته ثم سحبها، فقال فرعون: إنّه اسرائيلي، وخشي أن يقتله، فقالوا له: إنّه طفل لا يفهم، فقال لهم: ما الدليل على ذلك؟ فقبروا إليه جمره وحلاوة، فمدّ يده على الجمره ووضعها في فمه، فصار في لسانه (رته لا يفصح معها بالحروف شبه

(١) مسند أحمد ج ١ ص ١٥١.

(٢) الشعراء ١٣.

(٣) القصص ٣٤.

(٤) تاريخ ابن عساکر ج ٤٢ ص ٣٨٧.

(٥) المائدة ٣.

(التمتمة) (١)

ويمكن النقاش في هذه الدعوى؛ لأنَّ الأنبياء ﷺ كاملون في جميع الجهات وعلى مختلف الأصعدة، وأما العقدة التي ذكرها النبي ﷺ فهي النعمة التي تربي فيها في بيت فرعون فلا يستطيع أن يُجَاهِهم ويُكَلِّمهم؛ لأنهم سرعان ما سيعيرونه بإقامته عندهم لسنين من عمره المبارك، وفعلاً هذا ما قد حصل على ما حكاه قوله ﷺ: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢) مما يعني أن النبي موسى ﷺ كان ملتفتاً إلى هذه القضية.

المنزلة الرابعة: الخلافة:

قال ﷺ: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٣).
تصرح هذه الآية بأنَّ هارون ﷺ كان خليفة لموسى ﷺ حين ذهب إلى الميقات، فهو خليفته.

ولا يقال: إنَّ المورد خاص، حيث إنَّ خلافة هارون كانت عندما ذهب موسى للميقات فقط.

لأننا نقول: تقدّم أن خصوص المورد لا يخص الوارد، فراجع التفصيل.

وبمقتضى حديث المنزلة قد ثبتت هذه المنزلة للإمام علي ﷺ، أيَّ إنَّه خليفة للرسول الأعظم ﷺ بلا فصل.

(١) مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج ٧ ص ١٨ - ١٩ عن سعيد بن جبير ومجاهد والسدي.

(٢) الشعراء ١٦ - ١٩.

(٣) الأعراف ١٤٢.

وهذا من الأمور المختلف فيها بين المدرستين، فعلى الرغم من اتفاقهما على أنّ الإمام علي عليه السلام خليفة للمسلمين، إلا أن الخلاف وقع في كون خلافته بلا فصل كما تذهب إلى ذلك الإمامية وهو الحق بدلالة حديث المنزلة وغيره من الأحاديث، أو كون خلافته تأتي بعد الفصل بينها وبين الرسول الأعظم عليه السلام بثلاثة خلفاء؟

إنّ حديث المنزلة مطلقاً، فيدل ويقتضي أن يكون عليه السلام خليفة للرسول عليه السلام مباشرة وبلا فصل، فعندما يقول الرسول الأعظم عليه السلام بأنّ علياً منه بمنزلة هارون من موسى، وكانت تلك المنزلة هي الخلافة، فإطلاق ذلك الكلام يدل على أنّه عليه السلام خليفة عليه السلام مباشرة وبلا فصل.

وحيث إنّ كل من تجرأ وغضب ذلك المنصب ظاهراً بعد الرسول الأعظم عليه السلام مباشرة قد عصى الله عز وجل ورسوله عليه السلام؛ لأنّ نص ذلك الحديث دال على أنّ علياً عليه السلام هو الوحيد الذي يكون خليفة للرسول عليه السلام مباشرة وبلا فصل.

المنزلة الخامسة: التصديق:

قال عليه السلام حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾^(١)

إن موسى عليه السلام طلب من الله عز وجل أن يكون معه أخوه هارون رداءً أي معيناً، ويصدقّه ببيان الحجة ورفع الشبهة، وقد أجابه الله عز وجل بقوله عليه السلام: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾^(٢)

وقد حاز هذه المنزلة أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كان الردء والمعين للرسول الأكرم عليه السلام، وكان هو قاضي دينه ومنجز عاداته من بعده، وقد كان أول من صدّق الرسول

(١) القصص ٣٤.

(٢) القصص ٣٥.

الأعظم ﷺ، روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمتي عُرضت عليّ عند الميثاق، وكان أول من آمن بي وصدّقني علي، وكان أول من آمن بي وصدّقني حين بُعثت، فهو الصديق الأكبر»^(١).

بل قد روي عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: «مكتوب على العرش: أنا الله لا إله إلا أنا، وحدي لا شريك لي، ومحمد عبدي ورسولي، أيده بعلي. فأنزل الله ﷻ ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَبْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) فكان النصر علياً عليه السلام، ودخل مع المؤمنين، فدخل في الوجهين جميعاً (صلى الله عليه)»^(٣).

لقد كان عليه السلام رداءً للرسول ﷺ عندما بات على فراشه، وحينما صدع بالدعوة فأجابه في حديث الدار، وعندما تركه الجميع في أحد، وعندما تركه الجميع عند وفاته وتغسيله وتكفينه إلا القليل من خُصّ الصحابة كابن عباس، كما صدّق أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله ﷺ في جميع أقواله وأفعاله ودافع عنها بالحجة والبيان والبنان، وصدّقه في إسرائه ومعراجه؛ ولذا قال فيه رسول الله ﷺ: «لكلّ أمة صديق وفاروق، وصدّيق هذه الأمة وفاروقها علي بن أبي طالب»^(٤).

ولا غرو في ذلك ما دام عليّ من الرسول (عليهما وآلهما السلام) بمنزلة هارون من موسى عليه السلام.

ومن اللطيف، أن الله ﷻ عندما أجاب موسى عليه السلام فإنه عليه السلام قد جعل السلطان لهما معاً، وجعل الغلبة لهما كليهما ولمن اتبعهما كليهما، وهكذا الحال مع الرسول الأعظم ﷺ وأمير

(١) مختصر بصائر الدرجات/ حسن بن سليمان الخلي ص ١٦٥. وبصائر الدرجات للصفار ص ١٠٣ باب ١٤ ح ٣.

(٢) الأنفال ٦٢.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق ص ٢٨٤ ح ٣١٢ / ٣.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج ٢ ص ١٧ ح ٣٠.

المؤمنين ﷺ، فإن السلطان والغلبة لهما كليهما، والنجاة إنما تكون باتباعهما كليهما؛ ولذا قال رسول الله ﷺ: «يا علي، كذب من زعم أنه يجيني ويبغضك»^(١).
وسياتي إن شاء الله ﷻ ما يؤكد هذا المطلب.

وقد قال تعالى في شأن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٢﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٣﴾ وَنَصَرْنَا هُمَا فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤﴾﴾.^(٢)
وكذا الرسول الأعظم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام.

المنزلة السادسة: إتيان الكتاب:

قال ﷺ متكلمًا عن موسى وهارون ﴿وَأْتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾^(٣).
إنَّ الكتاب -الذي هو التوراة- قد آتاه الله ﷻ لكل من موسى وهارون عليهما السلام، ذلك الكتاب الذي «يستبين المجهولات الخفية فيسببها، وهي التي يحتاج إليها الناس في دنياهم وأخرتهم...»^(٤)، ذلك الكتاب قد أنزل على موسى ﷺ وكان هارون المطبق الأول له، والناطق الرسمي.

وهكذا أمير المؤمنين عليه السلام، فلقد كان الكتاب الناطق الذي نطق بالكتاب الصامت الذي نزل على رسول الله ﷺ وهو القرآن الكريم.

أضف إلى ذلك فإنه هو المحامي عنه والحافظ له بعد الرسول الأكرم ﷺ إذ قاتل على تأويله، كما سبقه ﷺ بالقتال على تنزيله. فقد روي عن أبي سعيد الخدري قال: «كنا جلوسًا ننظر إلى رسول الله ﷺ فخرج إلينا وقد انقطع شسع نعله فرمى به إلى علي عليه السلام

(١) المحاسن للبرقي ج ١ ص ١٥١ باب الحب ح ٧١.

(٢) الصفات ١١٤ - ١١٦.

(٣) الصفات ١١٧.

(٤) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ج ١٧ ص ١٥٧.

فقال: إنَّ منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله. قال أبو بكر: أنا؟ قال: لا قال عمر: أنا؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل.

قال: فأتينا علياً نبشره بذلك، فكأنه لم يرفع به رأساً، وكأنه قد سمعه قبل». (١)
فعليٌ عليه السلام هو القرآن الناطق، والمقاتل على تأويله.

وقد ارتبط القرآن الكريم بعلي عليه السلام ارتباطاً وثيقاً كما ارتبط برسول الله صلى الله عليه وآله وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً خصوصاً في حديث الثقلين المشهور والمتواتر: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، وإني لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

من هنا تجد أن الإمام الصادق عليه السلام يؤكد هذه العلاقة، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن، وبها نوهت الكتب ويستبين الايمان، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتدى بالقرآن وآل محمد، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: اني تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر، والثقل الأصغر، فأما الأكبر فكتاب ربي، وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي؛ فاحفظوني فيهما فلن تضلوا ما تمسكتم بهما». (٢)

المنزلة السابعة: الهداية:

يقول عليه السلام متعرضاً للنعم التي وهبها لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. (٣)

لقد هُدي موسى وهارون عليهما السلام إلى الصراط المستقيم، ذاك الصراط الذي ورد

(١) أمالي الشيخ الطوسي ص ٢٥٤ حديث النعل ٤٥٨ / ٥٠.

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٥ ح ٩.

(٣) الصافات ١١٨.

في سورة الفاتحة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿١﴾

فالصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم، وفي قضية موسى وهارون عليهما السلام، فإن الله ﷻ هداهما إلى ذلك الصراط المستقيم، وهو الطريق الموصل إلى الحق...

والمُرَاد بها الهداية بتمام معنى الكلمة، ولذا خصها بهما ولم يشرك فيها معهما قومها، وهكذا رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام قد هُديا إلى الصراط المستقيم، إذ هما من أنعم الله عليهما، وهذه الهداية خاصة بهما دون سائر الأمة.

إذن، الصراط المستقيم هو الرسول الأعظم ﷺ وعلي عليه السلام.

روى الثعلبي في تفسير ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: قال مسلم بن حيان: سمعت أبا بريده يقول: صراط محمد وآل محمد. (٢)

وهم الهداة إليه، قال ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. (٣)

وبعد أن بين الله ﷻ من هم الصراط المستقيم الذين يدعون المؤمنين لاتباعه، أمر المؤمنين باتباع هذا الصراط: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ معتبراً إياه وصيته لنوع الإنسان ﴿ذَلِكَمُ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٤) وما أمره ﷻ باتباع الصراط إلا أمره باتباعهم وطاعتهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)

(١) الفاتحة ٦ - ٧.

(٢) الطرائف في معرفة مذهب الطوائف للسيد بن طاووس ص ١٣١ ح ٢٠٤.

(٣) المؤمنون ٧٣.

(٤) الأنعام ١٥٣.

والهداية إلى الصراط المستقيم أمرٌ لا يوفق إليه إلا من آمن بالله واعتصم به، قال ﷺ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١) وقال ﷺ أيضًا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا * وَإِذَا لَا تَأْتِيهِمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(٢).

وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).

وغيرها من الآيات الكثير.

ولأن طاعتهم هي سبيل النجاة، فقد حرص الشيطان أن يحول دون وصول المؤمنين إليها جهد إمكانه؛ لأجل غوايتهم وإضلالهم؛ ولذا ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٤).

فإنه - أي الشيطان - إنما يقعد أولاً على الصراط المستقيم ليغوي الناس بإبعادهم عن خط أهل البيت عليهم السلام وعن طاعتهم، فإن استطاع ذلك سهل عليه حينئذ إتيانهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم؛ ولذا فقد وصف الله ﷻ الذين لم يؤمنوا بصراط النبي صلوات الله عليه بأنهم ناكبون عنه في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ﴾^(٥).

كما وصفهم بأنهم غاؤون في قوله ﷻ: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي

(١) النساء ١٧٥.

(٢) النساء ٦٦ - ٦٨.

(٣) آل عمران ١٠١.

(٤) الأعراف ١٦ - ١٧.

(٥) المؤمنون ٧٣ - ٧٤.

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١﴾.

ومن الجدير بالذكر، أنّ البحث عن الصراط المستقيم في الكتاب والسنة بحثٌ طويل الذيل، وإنّما ذكرنا هنا ما يتعلق بموضوعنا، ولا بد من الالتفات إلى أنّ التمسك بالصراط المستقيم في الدنيا يعني الجواز على الصراط في يوم القيامة وبنفس الشروط، ولذا ورد عن النبي ﷺ، قال: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنُصِبَ الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ لَمْ يَجْزِ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ مَعَهُ جَوَازٌ فِيهِ وَوَلَايَةٌ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَقَفُّهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٢) يعني عن ولاية علي بن أبي طالب ﷺ»^(٣).

كما روي في قوله ﷺ: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٤) أنّ الإمام أبا جعفر الباقر ﷺ قال في تفسيره: «يا ليتني اتخذت مع الرسول عليّاً»^(٥).

و عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله ﷺ قال: «سألته عن قول الله ﷻ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٦)؟ قال ﷺ: هو والله عليٌّ، الميزان والصراط»^(٧).

وعن رسول الله ﷺ: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^(٨) سألت الله أن يجعلها لعلي ففعل^(٩).

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المتمسكين بالصراط المستقيم، صراط محمد وعلي (صلى

(١) الحجر ٤١ - ٤٢.

(٢) الصافات ٢٤.

(٣) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٢٩٠ ح ٥٦٤ / ١١.

(٤) الفرقان ٢٧.

(٥) تفسير القمي ج ٢ ص ١١٣.

(٦) الأنعام ١٥٣.

(٧) بصائر الدرجات للصفار ص ٩٩ باب ١١ ح ٩.

(٨) الأنعام ١٥٣.

(٩) روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص ١٠٦.

الله عليهما وآلهما) الذي هو الإسلام الحقيقي.

المنزلة الثامنة: السلام:

قال ﷺ: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

وفي هذه الآيات يصف الله ﷻ نبيه موسى وهارون ﷺ بعدة صفات:

١/ السلام عليهما من الله ﷻ:

وهو رمزٌ لسلامة الدين والإيمان والرسالة والاعتقاد والمذهب، السلام الذي يوضح النجاة والأمن من العقاب والعذاب في هذه الدنيا وفي الآخرة.

وكذلك سَلَّمَ اللهُ ﷻ على محمد وعلي (صلوات الله عليهما) في قوله ﷻ: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢).

وقرأ ابن عامر ونافع ورويس عن يعقوب: «آل يس» (٣) وهذا يعني «محمدًا وآل محمد».

كما روي «في المعاني بإسناده إلى قادح عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب في قول الله ﷻ: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال: يس محمد ﷺ، ونحن آل ياسين» (٤).

وعليٌّ هو أول آل محمد، فيكون ﷻ قد سَلَّمَ على محمد ﷺ وعلي بن أبي طالب كما سَلَّمَ على موسى وهارون ﷺ.

(١) الصافات ١٢٠ - ١٢٢.

(٢) الصافات ١٣٠.

(٣) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج ٨ ص ٣٢٨.

(٤) أمالي الشيخ الصدوق ص ٥٥٨ ح ٧٤٣ / ١.

فإن أبا البيان المتقدم من في قلبه مرض، فإن قوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) واضح وضوح الشمس، إذ أمر الله ﷻ بالصلاة على محمد والتسليم له ﷺ، وقد روي عن كعب بن عجرة: «خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف السلام عليك، كيف الصلاة عليك؟ قال ﷺ: قولوا: اللهم صلى على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد». (٢)

فيتحصل أن الصلاة الصحيحة هي التي تضم إلى محمد آله (صلوات الله عليهم أجمعين)، وعلي ﷺ هو أول آله كما هو معلوم.

٢ / أنهما من المحسنين:

نستفيد من الآيات المباركة المتقدمة أن موسى وهارون ﷺ من المحسنين، ثم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣)، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤) بل ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥)

وهل يشك منصف في أن محمدًا وعليًا ﷺ أول المحسنين؟!

أضف إلى ذلك: فقد ثبت أنها من المحسنين بمقتضى حديث المنزلة، وبمقتضى أن أفضل الأنبياء والمرسلين هو محمد ﷺ فيكون من المحسنين وبلا ريب، وأمير المؤمنين ﷺ هو نفسه بنص القرآن الكريم - كما في آية المباهلة - فيكون كذلك، علاوة

(١) الأحزاب ٥٦.

(٢) روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٣) البقرة ١٩٥.

(٤) الأعراف ٥٦.

(٥) العنكبوت ٦٩.

على أن منزلته من الرسول الأعظم ﷺ هي بمنزلة هارون من موسى .

٣ / أنهما من المؤمنين:

فكذلك محمد وعلي (صلوات الله عليهما وأهلهما)، وقد روي أنه قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إليّ في علي ثلاثة أشياء ليلة أُسري بي: أنه سيد المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، وإمام المتقين»^(١).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ما أنزل الله آية (يا أيها الذين آمنوا) إلا وعليٌ أميرها وشريفها.^(٢)

المنزلة التاسعة: الإصلاح:

كان من وصية موسى ﷺ لهارون أن قال له ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣). فكان المصلح من بعد موسى هو هارون عليه السلام .

وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام هو مصلح هذه الأمة، ولذا فهو الذي قاتل على تأويل القرآن كما تقدمت الأحاديث في ذلك.

هذا مجمل ما ذكره القرآن الكريم من منازل كانت لهارون من موسى عليه السلام، والتي أثبتتها حديث المنزلة لعلي من محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، وليس ما ذكرناه هو كل الأوجه، فربما يستطيع أحدٌ أن يستخرج أكثر مما ذكرناه هنا.

أوجه الشبه بين هارون وعلي عليه السلام .

وتتميمًا للفائدة، نذكر فيما يلي بعض أوجه الشبه بين هارون وعلي عليه السلام مما بان على

(١) مجمع الزوائد للهيتمي ج ٩ ص ١٢١ .

(٢) روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص ١٠٤ .

(٣) الأعراف ١٤٢ .

الواقع الخارجي، لتؤكد تلك الأوجه أن منزلة علي عليه السلام من الرسول الأعظم ﷺ هي نفسها منزلة هارون من موسى عليه السلام.

١ / خيانة الأمة والاستضعاف.

إن القرآن الكريم يحدثنا عن قوم موسى عليه السلام وكيف خانوه ولم يطيعوا وصيته في جعل هارون عليه السلام خليفة عليهم عندما ذهب إلى الميقات، وكيف أنهم عبدوا العجل، وأن هارون عليه السلام اعتذر لموسى عليه السلام بأنه بقي ملتزمًا بوصيته له، ولم يرد أن يفرق بين بني إسرائيل، قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا بُنَّ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي *﴾^(١).

بل إن بني إسرائيل قد هددوا هارون بالقتل إن اعترض، وكان هذا أيضًا يمثل عذرًا لهارون، وهذا ما ينقله القرآن الكريم: ﴿قَالَ ابْنُ أُمَّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعَّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي *﴾^(٢).

وما حصل لهارون عليه السلام بعد غياب موسى عليه السلام، هو بعينه قد حصل لأمر المؤمنين عليه السلام بعد غياب الرسول الأعظم ﷺ، فكل المسلمين يعلمون أنه عليه السلام جعل الخلافة لعلي عليه السلام، وكلهم يعلمون أن لا أحد يستطيع تحمّل ذلك المنصب سواه عليه السلام، ومع ذلك فقد أقدموا على غضب هذا الحق منه وجعلوه في غير أهله، فقد روي عن أبي عمر خطبة خطبها الحسن بن علي عليه السلام في الناس بحضور معاوية قال عليه السلام: «فقد تركت بنو إسرائيل هارون، وهم يعلمون انه خليفة موسى فيهم واتبعوا السامري، وقد تركت هذه الأمة

(١) طه ٩٠ - ٩٤.

(٢) الأعراف ١٥٠.

أبي وبايعوا غيره، وقد سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة...»^(١).

ولم يكن يمنع علياً أن يقوم ليأخذ حقه - كما لم يكن يمنعه ذلك حين منع الظالمون الزهراء عمة السلام فدكاً، ولم يكن يمنعه حين قادوه بجنادل سيفه، ولم... إلا ما أوصاه به الرسول الأعظم ﷺ بأن لا يشق عصا المسلمين، وأن يقدم المصلحة العليا للإسلام على مصالحه الشخصية.

ولقد أوضح كل هذا في خطبة له ﷺ وهي المعروفة بالشقشقية: «أما والله، لقد تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّبِيلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفِقْتُ أَرْتَبِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَدَاءٍ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيْبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْبَبِي، فَصَبْرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدَى وَفِي الْحَلْقِ شَجَا أَرَى تُرَائِي نَهْبًا...»^(٢).

وورد: وإن أبا بكر... تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالخطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له يا أبا حفص. إن فيها فاطمة؟ فقال وإن!

فخرجوا فبايعوا إلا علياً، فإنه زعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا، وقطعتم

(١) حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني ج ٢ ص ٨٠.

(٢) نهج البلاغة ج ١ ص ٣٠ - ٣١.

أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقاً. فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقفند وهو مولى له: اذهب فادع لي علياً، قال فذهب إلى علي فقال له: ما حاجتك؟ فقال يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: لسريع ما كذبتهم على رسول الله. فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً. فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقفند: عد إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفد، فأدى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: سبحان الله! لقد ادعى ما ليس له، فرجع قنفد، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، ثم قام عمر، فمشى معه جماعة، حتى أتوا باب فاطمة، فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها: يا أبت، يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، فقال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله ﷺ يصيح ويبكي، وينادي: يا بن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»^(١).

٢ / ما أحل لهارون وعلي عليهما السلام.

ويتلخص هذا الوجه بقضية سد الأبواب، فلقد أوضحت الأحاديث الشريفة هذا المعنى بما لا يحتاج إلى مزيد بيان، وبما يؤكد عموم المشابهة بين هارون وعلي عليهما السلام، فقد روي عن أبي رافع قال: إن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: «يا أيها الناس، إن الله ﷻ أمر

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري (تحقيق الزيني) ج ١ ص ١٩ - ٢٠.

موسى وهارون أن يبنيا لقومها بمصر بيوتاً، وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جُنُبٌ، ولا يقرب فيه النساء إلا هارون وذريته، وإن علياً عليه السلام مني بمنزلة هارون من موسى، فلا يحل لأحد أن يقرب النساء في مسجدي ولا يبيت فيه جُنُبٌ إلا علي وذريته، فمن ساء ذلك فهأنا. وضرب بيده نحو الشام»^(١).

وعن محمد و عبد الرحمن ابني جابر [عن أبيهما] قال: «كنا نياماً في المسجد وفينا علي بن أبي طالب، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أتنامون في مسجدي؟ إنه لا ينام في مسجدي قال: فخرجنا وخرج عليٌّ معنا، قال صلى الله عليه وآله: إلا أنت يا علي، أنت ليس كهيتهم، إنه يحل لك في المسجد ما يحل لي»^(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله: «يا علي، لا يحل لأحد أن يجنب في المسجد غيري وغيرك»^(٣).

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بسد الأبواب إلا باب علي، قالوا: يا رسول الله، سددت الأبواب كلها إلا باب علي؟ فقال: ما أنا سددت أبوابكم، ولكن الله سدّها»^(٤).

وعن زيد بن أرقم قال: «كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أبواب شارعة في المسجد. قال: فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب إلا باب علي. قال: فتكلم في ذلك الناس. قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله تعالى وأنشئ عليه ثم قال: أما بعد، فإني أمرت بسد هذه الأبواب إلا باب علي، وقال فيه قائلكم، وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكني أمرت بشيء فاتبعته»^(٥).

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ٢٠٢.

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان الكوفي ج ٢ ص ٤٦ ح ٩٦٠.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٣ ص ٢٧٢.

(٤) المعجم الأوسط للطبراني ج ٤ ص ١٨٦.

(٥) مسند أحمد ج ٤ ص ٣٦٩.

٣ / أسماء أولادهما.

عن زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام، قال: «لما ولدت فاطمة الحسن عليه السلام، قالت لعلي عليه السلام: سمّهُ. فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله. فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخرج إليه في خرقة صفراء، فقال: ألم أنهكم أن تلفوه في [خرقة] صفراء، ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها، ثم قال لعلي عليه السلام: هل سميتهُ؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه؟ فقال صلى الله عليه وآله: وما كنت لأسبق باسمه ربي صلى الله عليه وآله، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن فاهبط واقترئه السلام وهنئه، وقل له: إن عليا منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون. فهبط جبرئيل عليه السلام فهنأه من الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: إن الله صلى الله عليه وآله يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون. قال: وما كان اسمه؟ قال: شبر. قال: لساني عربي. قال: سمه الحسن، فسماه الحسن.

فلما ولد الحسين عليه السلام أوحى الله صلى الله عليه وآله إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن، فاهبط إليه وهنئه، وقل له: إن عليا منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون. قال: فهبط جبرئيل فهنأه من الله تبارك وتعالى، ثم قال: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون. قال: وما اسمه؟ قال: شبر. قال: لساني عربي. قال: سمه الحسين، فسماه الحسين.^(١)

وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنما سميتهم بأسماء ولد هارون: شبر وشبير ومشير».^(٢)

كل ذلك تحقيقاً منه صلى الله عليه وآله وتأكيداً للمشابهة بين الهارونين: هارون وعلي عليه السلام. ونعم الشبه بينهما في جميع المنازل وسائر الشؤون.

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ١٩٧ ح ٢٠٩ / ٣.

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ٩٨.

٤ / المحنة المشتركة:

وقد ورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام المطولة ليوم الغدير التصريح بوجه شبه آخر جاء في هذه الزيارة، وهذا نصه: «ثُمَّ مَحْنُكَ يَوْمَ صَفِّينَ وَقَدْ رُفِعَتِ الْمَصَاحِفُ حِيلَةً وَمَكْرًا فَأَعْرَضَ الشَّكُّ وَعَرِفَ الْحَقُّ وَاتَّبَعَ الظَّنُّ أَشْبَهَتْ مِحْنَةَ هَارُونَ إِذْ أَمَرَهُ مُوسَى عَلَى قَوْمِهِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَهَارُونَ يُنَادِي بِهِمْ وَيَقُولُ: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾، وَكَذَلِكَ أَنْتَ لَمَّا رُفِعَتِ الْمَصَاحِفُ قُلْتَ: يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهَا وَخُدِعْتُمْ فَعَصَوْكَ، وَخَالَفُوا عَلَيْكَ وَاسْتَدْعَوْا نَصَبَ الْحَاكِمِينَ فَأَبَيْتَ عَلَيْهِمْ وَتَبَرَّأْتَ إِلَى اللَّهِ مِنْ فِعْلِهِمْ وَفَوَضْتَهُ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَسْفَرَ الْحَقُّ وَسَفِهَ الْمُنْكَرُ وَاعْتَرَفُوا»^(١).

الفقرة الثانية: (إلا أنه لا نبي بعدي).

قد استدرك هذه العبارة الرسول الأعظم عليه السلام كلامه السابق عليها، فبعد أن أثبت لعلي عليه السلام جميع منازل هارون من موسى عليه السلام، قال كلمته «إلا أنه لا نبي بعدي». وفي الحقيقة، يمكن استخراج حقيقتين من هذه الكلمة، وربما يأتي من يستخرج حقائق أكثر:

الحقيقة الأولى: ختم النبوة به عليه السلام.

وهذا ما قطع الطريق على كل من تسول له نفسه ادّعاء النبوة بعده، فهذا علي عليه السلام على عظمته وعلى ما حازه من المنازل العظيمة، إلا أنه ليس بنبي، بل لا نبي بعد نبي الإسلام. وبهذا قطع الطريق على أمثال مسيلمة الكذاب، ذاك الذي كتب إلى رسول الله عليه السلام: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريش

(١) المزار لمحمد بن جعفر المشهدي ص ٢٧٩.

قوم يعتدون...».

فلما جاء الكتاب، كتب رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين». (١)

وهكذا ليقطع الطريق على أمثال (طليحة بن خويلد الأسدي) و(سجاح بنت الحارث بنت سويد التميمية). ويروى أن أمرها قد أخاف مسيلمة، فاجتمعوا وعرض عليها أن يتزوجا وقال: «هل لك أن أتزوجك فأكل بقومي وقومك العرب؟» فأجابته، وانصرفت إلى قومها فقالوا: ما عندك؟ قالت: كان على الحق فاتبعته فتروجته. (٢)

وفي الحقيقة، لم تكن نبوتها إلا زفافاً على مسيلمة، وما كانت هي إلا امرأة!

وهكذا ليقطع الطريق على أمثال الأسود العنسي.

على أن القرآن الكريم قد أوضح هذه الحقيقة في صريح آياته، قال ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾. (٣)

الحقيقة الثانية: خلافة الإمام ﷺ خلافة وصاية بلا نبوة.

وهي أن الرسول الأعظم ﷺ أراد أن يبين للأمة أن خلافته ليست كخلافة الأنبياء من قبله، إذ كان خلفاء الأنبياء أنبياء أيضاً، وأما خلفاؤه ﷺ فهم أوصياء لا أنبياء، يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله:

والإمامة ظاهرة ربانية ثابتة على مر التاريخ، وقد اتخذت شكلين ربانيين:

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٨٦.

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٩٩.

(٣) الأحزاب ٤٠

أحدهما: شكل النبوة التابعة لرسالة النبي القائد، فقد كان في كثير من الأحيان يخلف النبي الرسول أنبياء غير مرسلين، يُكلّفون بحماية الرسالة القائمة ومواصلة حملها، وهؤلاء أنبياء يوحى إليهم، وهم أئمة بمعنى أنهم أوصياء على الرسالة وليسوا أصحاب رسالة، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿^(١) وقال ﷺ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ^(٢).

والشكل الآخر: هو الوصاية بدون نبوة، وهذا هو الشكل الذي اتخذته رسول الله ﷺ بأمر من الله ﷻ، فعين أوصيائه الاثني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ونصّ على وصيه المباشر بعده علي بن أبي طالب في أعظم ملام من المسلمين...

... ويلاحظ في تاريخ العمل الرباني على الأرض: أن الوصاية كانت تعطى غالباً لأشخاص يرتبطون بالرسول القائد ارتباطاً نسبياً أو لذريته وأبنائه، وهذه الظاهرة لم تتفق فقط في أوصياء النبي محمد ﷺ، بل اتفقت في أوصياء عدد كبير من الرسل. قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد ٢٦] وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾. [الأنعام ٨٤]

فاختيار الوصي كان يتم عادة من بين الأفراد الذين انحدروا من صاحب الرسالة ولم يروا النور إلا في كنفه وفي إطار تربيته، وليس هذا من أجل القرابة بوصفها علاقة مادية تشكل أساساً للتوارث، بل من أجل القرابة بوصفها تشكل عادة الإطار السليم

(١) الأنبياء ٧٢-٧٣.

(٢) لقمان ٢٤.

لتربية الوصي وإعداده للقيام بدوره الرباني. وأما إذا لم تحقق القرابة هذا الإطار فلا أثر لها في حساب السماء، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

ولذلك تجد أن الرسول الأعظم ﷺ كثيراً ما كان يعبر عن أمير المؤمنين ﷺ بالوصي. روي عن ابن عمر قال: «مرّ سلمان الفارسي وهو يريد أن يعود رجلاً ونحن في حلقة، وفينا رجل يقول: لو شئتُ لأنبأتكم بأفضل هذه الأمة بعد نبيها، وأفضل من هذين الرجلين (أبي بكر وعمر)، فسُئِلَ سلمان فقال: أما والله، لو شئتُ لأنبأتكم بأفضل هذه الأمة بعد نبيها، وأفضل من هذين الرجلين (أبي بكر وعمر) ثم مضى، فقيل له: يا أبا عبد الله، ما قلت؟ قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو في غمرات الموت فقلت: يا رسول الله ﷺ، هل أوصيت؟ قال: يا سلمان، أتدري من الأوصياء؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن آدم كان وصيه شيث، وكان أفضل من تركه من بعده من ولده. وكان وصي نوح سام، وكان أفضل من تركه من بعده. وكان وصي موسى يوشع، وكان أفضل من تركه بعده. وكان وصي سليمان آصف بن برخيا، وكان أفضل من تركه بعده. وإني أوصيت إلى علي، وهو أفضل من أترکه بعدي»^(٢).

وعن رسول الله ﷺ: «لكلِّ نبيٍّ وصيٌّ ووارث وإنَّ وصيِّي ووارثي عليُّ بن أبي طالب»^(٣).

(١) الإمامة وأهل البيت ﷺ النظرية والاستدلال، السيد محمد باقر الحكيم، ص ٦٠ عن الإسلام يقود الحياة: ١٥٧.

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين ﷺ لمحمد بن سليمان الكوفي ج ١ ص ٣٨٩ ح ٣١١.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب ﷺ لابن المغازلي ص ١٦٧ ح ٢١٢.

إشارات في عبارة الكتاب

الإشارة الأولى: هم الشهداء على الناس

قال عليه السلام: «وأنهم الشهداء على الناس».

ورد في بعض الروايات الشريفة أنهم (سلام الله عليهم) هم الشهداء على الناس تفسيراً لبعض الآيات المباركة، فقد ورد عن سَاعَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(١) قَالَ: «نَزَلَتْ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ عليه السلام خَاصَّةً، فِي كُلِّ قَرْنٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ مَنَّا شَاهِدٌ عَلَيْهِمْ، وَمُحَمَّدٌ عليه السلام شَاهِدٌ عَلَيْنَا»^(٢).

فقد فسّر الإمام الصادق عليه السلام هذه الآية بأنّها نزلت بخصوص النبي الأكرم عليه السلام، وأنّ الشهداء الذين سيأتون من بعده هم أهل البيت عليهم السلام والنبي عليه السلام سيكون شهيداً عليهم. وواضح أنّ المراد من الشهادة هو ما يسمى في العرف بالتزكية، أي الشهادة بأن الشخص كان مطيعاً وممثلاً لأوامر الله عز وجل أو لا.

الإشارة الثانية: هم أجواب الله.

وقد ورد هذا المعنى في روايات عديدة منها، ما روي عن الأصمغ بن نباتة، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «معاشر الناس، اعلموا أنّ الله تعالى جعل لكم باباً من دخله أمن من النار ومن الفرع الأكبر.

(١) النساء: ٤١.

(٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٩٠ باب في أنّ الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه ح ١.

فقام إليه أبو سعيد الخدري، فقال: يا رسول الله، اهدنا إلى هذا الباب حتى نعرفه.
قال ﷺ: هو علي بن أبي طالب، سيد الوصيين، وأمير المؤمنين، وأخو رسول رب
العالمين، وخليفة الله على الناس أجمعين.

معاشر الناس من أحب أن يتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليتمسك
بولاية علي بن أبي طالب ﷺ فإن ولايته ولايتي، وطاعته طاعتي، معاشر الناس من أحب
أن يعرف الحجة بعدي فليعرف علي بن أبي طالب ﷺ، معاشر الناس، من أراد أن يتولى
الله ورسوله فليقتد بعلي بن أبي طالب بعدي والأئمة من ذريتي، فإنهم خزان علمي.

فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله، وما عدة الأئمة؟

فقال: يا جابر، سألتني رحمك الله عن الاسلام بأجمعه، عدتهم عدة الشهور وهي
عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، وعدتهم عدة العيون
التي انفجرت لموسى بن عمران ﷺ حين ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنا عشرة
عيناً، وعدتهم عدة نقباء بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(١)
فالأئمة يا جابر اثنا عشر إماماً، أولهم علي بن أبي طالب ﷺ وآخرهم القائم
المهدي ﷺ.^(٢)

وهذا يعني: أن المقصود من الباب هو ما يُستفاد منه أو الفائدة المترتبة عليه، وهو
الدخول عبره إلى مكان لا يمكن الدخول إليه إلا عبره فقط، لا بما هو هو، أو بما يعنيه
من معنى مادي. وقد استعير هذا اللفظ في الدخول إلى الجنة بلحاظ هذا المعنى، فلا
يمكن الدخول إليها إلا عبر بابٍ واحدٍ، وهو باب أهل البيت ﷺ، إذًا المنفذ أو

(١) المائة ١٢.

(٢) مائة منقبة لمحمد بن أحمد بن علي بن الحسين القمي (ابن شاذان) ص ٧١ - ٧٢ المنقبة الحادية والأربعون.

السييل للخلاص من جهنم هي طاعة أهل البيت (صلوات الله سلامه عليهم).

الإشارة الثالثة : هم السبب إليه والأدلاء عليه.

أما السبب الذي يوصل إلى الله ﷻ أي الشيء الذي إذا تمسكنا به فإنه موجب لرضا الله ﷻ، وموصلٌ إليه. وأما الأدلاء فجمعٌ دليل، وأهل البيت ﷺ يدلون على الله ﷻ وعلى الطريق الذي يوصل إليه ﷻ.

الإشارة الرابعة : هم عيبة علمه.

عيبة: بمعنى موضع السر، يُقال: فلان عيبة الرجل: أي فلان موضع سره. والأئمة ﷺ هم موضع سر الله ﷻ، وهم موضع سر العلم؛ لذلك فإن علومهم إلهية.

الإشارة الخامسة : هم ترجمة وحيه.

الترجمان: هو الميّن والموضح، فاذا تكلمت مع من يتحدث بغير لغتك فإنك تحتاج إلى من يترجم لك ما يقوله ويترجم له ما تقوله.

وأهل البيت (سلام الله عليهم) هم ترجمان الوحي، بمعنى أنّهم هم من يبينون ما نزل على رسول الله ﷺ، أي يُبينون القرآن وأحكام الإسلام، وهذا ما تُشير إليه الكثير من الروايات الشريفة الواردة عن أمير المؤمنين ﷺ من قبيل أنه ﷺ قال: «سلوني عن كتاب الله ﷻ، فوالله ما نزلت آية منه في ليل أو نهار ولا مسير ولا مقام إلا وقد أقرأنيها رسول الله ﷻ وعلمني تأويلها»...^(١)

والواقع أيضًا يشهد على أنه لم يكن في التاريخ الإسلامي مبين ومفسر للقرآن الكريم مثل أهل البيت ﷺ.

(١) أمالي الشيخ الطوسي ص ٥٢٣ ح ١١٥٨ / ٦٥.

الإشارة السادسة : هم أركان توحيده.

التوحيد له أركان يقوم عليها، والإيمان بأهل البيت عليهم السلام يمثل تلك الأركان؛ لذلك كان التبليغ بولاية أمير المؤمنين عليه السلام هو اختزال لكل رسالة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة ٦٧].

وكلام الله صلى الله عليه وآله متواتر؛ لقطعية صدوره، وهذه الآية واضحة لا لبس في مفهومها؛ لقطعية دلالتها؛ لذا لا يمكن لأيّ أحد إنكار مدلولها، مع ضم الروايات الكثيرة والمتواترة في حادثة الغدير.

الإشارة السابعة : هم خزان معرفته.

ومعناه واضح، كما تقدّمت الكثير من الآيات والروايات دليلاً وإثباتاً عليه. ومن مجموع ما تقدّم من أنّهم هم أولوا الأمر الذين تجب طاعتهم، وبهم يدخل الناس إلى الجنة، وهم الشهداء على الناس يوم القيامة، وهم الأبواب إلى الله (جلّ وعلا)؛ لذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما إنّ النجوم أمانٌ لأهل السماء. على حدّ تعبيره صلى الله عليه وآله في أكثر من موضع.

قال الشيخ رحمته الله:

وكذلك على حدّ قوله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ مَثَلَهُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَسَفِينَةِ نُوحٍ مِنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ وَهُوَ...».

وقد تقدّم الكلام عن حديث السفينة ودلالاته.

الإشارة الثامنة : هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

قبل الولوج في توضيح المراد من هذه الإشارة، لا بُد من الإشارة إلى أنّ هناك

آياتٍ قد تنزل في حادثةٍ معينة في شخص معين، لكنها تمثل قاعدةً عامة تنطبق على الحالات المشابهة، على الأشخاص الذين يتطابقون من حيث المواصفات مع الشخص الذي نزلت فيه الآية، أيّ إنّها تنظر إلى علة الحدث أو وصف الشخص - لا إلى ذاتيهما - وتنزل، فيكون المدار لا على نفس الشخص أو نفس الحادثة، بل على العنوان العام الذي انطبق على الشخص أو الحادثة.

ولعلّ هذه كبرى في التفسير القرآني، تندرج تحتها العديد من الآيات الكريمة، منها ما روي عن ابن عباس: ما أنزل الله في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، إلاّ وعلي أميرها وشريفها.^(١)

لكن هذا لا يعني أنّها خاصة بأمير المؤمنين ﷺ، إنّما تعني أنّه ﷺ يمثل المصدق الأبرز لهذا العنوان.

والخلاصة: أنّ هناك آياتٍ قرآنيةً تُشير إلى العنوان، فتتطبق هذه الآية على كلّ مصداق ينطبق عليه ذلك العنوان.

(١) روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص ١٠٤.

وفي مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٥٢: روى جماعة من الثقات عن الأعمش عن عباية الأسدي عن علي ﷺ، والليث عن مجاهد، والسدي عن أبي مالك، وابن أبي ليلى، عن داود بن علي، عن أبيه وابن جريح عن عطاء، وعكرمة وسعيد بن جبير، كلهم عن ابن عباس. وروى العوام بن حوشب عن مجاهد، وروى الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة كلهم عن النبي أنه قال: «ما أنزل الله تعالى آية في القرآن فيها يا أيها الذين آمنوا إلاّ وعلي أميرها وشريفها». وفي رواية حذيفة «الا كان لعلي بن أبي طالب لبها ولبابها». وفي روايات «إلا على رأسها وأميرها». وفي رواية يوسف بن موسى القطان، ووكيع بن الجراح «أميرها وشريفها لأنه أول المؤمنين إيماناً»، وفي رواية إبراهيم الثقفي، وأحمد بن حنبل وابن بطة العكبري، عن عكرمة، عن ابن عباس «الا على رأسها وشريفها وأميرها». وفي صحيفة الرضا ﷺ «ليس في القرآن يا أيها الذين آمنوا الا في حقنا ولا في التوراة يا أيها الناس الا فينا»، وفي تفسير مجاهد قال: ما كان في القرآن يا أيها الذين آمنوا فان لعلي سابقه ذلك الآية لأنه سبقهم إلى الاسلام فساه الله في تسع وثمانين موضعا أمير المؤمنين وسيد المخاطبين إلى يوم الدين.

ومن هذه الآيات ما ذكرها الشيخ عليه السلام في قوله: «وَأَتَمَّ حَسَبَ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْمَجِيدِ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»^(١)

فقد وردت هذه الآية وصفاً للملائكة، كما في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة^(٢)، كما وردت في رواياتٍ أخرى وصفاً لأهل البيت عليهم السلام؛ وذلك لاشتراكهما في عنوان العصمة، وأتَمَّ ليسوا أبناء الله عليه السلام ولا أرباباً، بل هم عبادٌ له عليه السلام موصوفون بالعصمة، ومن ثم فكلُّ عبدٍ معصوم يصحُّ أن يكون معنواً بهذا العنوان، ويدخل تحت وصف هذه الآية المباركة؛ لذلك فسرت تارةً بالملائكة، وأخرى بأهل البيت عليهم السلام، بنفس اللحاظ أي إنهم مخلوقون معصومون.

وقد ورد في بعض الروايات الشريفة استشهاد أهل البيت عليهم السلام بهذه الآية على نفي الربوبية عنهم، إذ غالت فئة من المسلمين بالإمام علي عليه السلام، حتى ادعت إلهيته، وادّعت أيضاً إلهية بعض الأئمة عليهم السلام، كما ادعت النصارى أن المسيح ابن الله، وادّعت اليهود أن العزيز ابن الله كما ورد في القرآن الكريم^(٣)، فكانوا عليهم السلام ينفون عنهم الألوهية

(١) الأنبياء ٢٦ - ٢٧.

(٢) في نهج البلاغة ج ١ ص ١٦٩ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَائَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلَقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَمَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَانِهَا، وَبَيَّنَّ فِجَواتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ رَجُلَ الْمُسَبِّحِينَ، مِنْهُمْ فِي حِطَائِرِ الْقُدْسِ، وَسُتْرَاتِ الْحُجُبِ وَسُرَادِقَاتِ الْمَجِيدِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيحِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ، سُبْحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ حَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا، وَأَنْشَأَهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ، (أُولَى أَجْنِحَةٍ) تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ، وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾..».

(٣) قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة ٣٠].

مستشهدين بهذه الآية المباركة؛ لبيبنوا أنهم عباد مخلوقون، والمخلوق ليس رباً، نعم، هم موصوفون بالعصمة.

منها ما روي عن المفضل بن عمر قال: كنت أنا والقاسم شريكين ونجم بن حطيم وصالح بن سهل بالمدينة، فتناظرنا في الربوبية، قال: فقال بعضنا لبعض: ما تصنعون بهذا نحن بالقرب منه، وليس منا في تقيته، فوموا بنا إليه. قال: فقمنا، فوالله ما بلغنا الباب إلا وقد خرج علينا بلا حذاء ولا رداء، قد قام كل شعرة من رأسه منه، وهو يقول: لا، لا يا مفضل، ويا قاسم، ويا نجم، لا، لا، بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.^(١)

الإشارة التاسعة: هم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

قال تقي: «وأنهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

هذه إشارة إلى آية التطهير التي تواتر نزولها بشأن أهل البيت عليهم السلام، إذ نقلها عدد كبير من الصحابة يبلغ حد التواتر، ولا يشكك بها إلا ضعيف المعرفة في أصول الحديث وأصول التفسير.

وتثبت هذه الآية أن الأئمة عليهم السلام مطهرون من الرجس، أي أنهم مطهرون من جميع الذنوب والمعاصي، فإذا ثبت ذلك ثبت أنهم معصومون، وثبت أنهم حجج علينا؛ لأن أقوالهم دائماً معصومة، ومن ثم يثبت لزوم طاعتهم وهو المطلوب.

فإنه إن كانت كل أقوالهم مطابقة لما يريد الله تعالى ولا يحتمل فيها الخطأ أبداً على مستوى القول والعمل، وجب علينا أن نطيعهم؛ لأنهم لا يأمرون إلا بما يريد الله ولا ينهاون إلا عما نهى عنه.

(١) الكافي للكليني ج ٨ ص ٢٣١ ح ٣٠٣.

الإشارة العاشرة: عدم جواز الرد عليهم.

قال عليه السلام: «ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على رسول الله صلى الله عليه وآله، والراد على رسول الله صلى الله عليه وآله كالراد على الله صلى الله عليه وآله».

وقد اتضح فيما تقدم كونهم عليهم السلام معصومين؛ ومطابقة أقوالهم أفعالهم، وحركاتهم وسكناتهم لما يريد الله صلى الله عليه وآله، كما اتضح أن الله صلى الله عليه وآله ورسوله صلى الله عليه وآله قد أمروا بطاعتهم، فمن البديهي جداً أن يكون الراد عليهم راداً على الرسول صلى الله عليه وآله، ومن ثم يكون راداً على الله صلى الله عليه وآله.

الإشارة الحادية عشرة: عدم فراغ الذمة إلا بالرجوع إليهم.

قال عليه السلام: «ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم».

وذلك لأنهم معصومون، وغيرهم ليس بمعصوم، وطبقاً لقاعدة الاشتغال اليقيني يستدعي الفراغ اليقيني، ونحن على يقين بأننا مكلفون بأحكام شرعية كالصلاة والصوم والحج وغيرها، فإذا أطعنا غير المعصوم في صلاتنا مثلاً؛ فإننا لا نتيقن فراغ الذمة منها؛ لاحتمال إتياننا بها على النحو الخاطيء، والإتيان بها على النحو الخاطيء كعدمه، فمن يطلب منك أن تسقي زهرةً مثلاً كي تنمو ولا تموت، فإن سقيتها من دون دراية ومن دون استشارة أهل التخصص، لربما قللت من كمية الماء اللازمة، ولربما أكثرت، وفي كلتا الحالتين لم تحقق الغاية التي استهدفها من أمرك بسقيتها، وبالتالي فإن هذا الامتثال كعدمه.

من هنا فإنَّ العقل -قبل الأدلة الشرعية- هو الذي يحكم بالاستناد إلى المعصوم عند الامتثال للأحكام الشرعية؛ لضمان إبرائها للذمة، وبالتالي يحكم بلزوم طاعة المعصوم لفراغ الذمة مما انشغلت به من تكاليف.

الإشارة الثانية عشرة: المهم في بحث الإمامة إثبات لزوم الرجوع إليهم في الأخذ بأحكام

الله تعالى الشرعية.

قال عليه السلام: «ولا يهمننا من بحث الامامة في هذه العصور إثبات أنهم هم الخلفاء الشرعيون وأهل السلطة الإلهية، فإن ذلك أمر مضى في ذمة التاريخ، وليس في إثباته ما يعيد دورة الزمن من جديد، أو يعيد الحقوق المسلوقة إلى أهلها، وإنما الذي يهمننا منه ما ذكرنا من لزوم الرجوع إليهم في الأخذ بأحكام الله الشرعية، وتحصيل ما جاء به الرسول الأكرم على الوجه الصحيح الذي جاء به».

هنا يشير الشيخ عليه السلام إلى عدم الحاجة إلى إثبات أصل الإمامة وأن الأئمة عليهم السلام هم الخلفاء بعد الرسول عليه السلام بلا فصل؛ لأنه أمر تاريخي، وإنما فقط المهم أن تثبت لزوم الرجوع إليهم لأخذ الأحكام الشرعية منهم.

وقد يعترض في هذا الأمر على قول الشيخ عليه السلام، إذ إن الإمامة تعد أس وأساس الإسلام كما ورد في بعض الروايات الشريفة، وورد في أخرى أنه لم يُنادَ في الإسلام كما نودي بالولاية، فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بُني الإسلام على خمسٍ: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يُنادَ بشيءٍ كما نودي بالولاية»^(١).

وهكذا فإن البحث عن الإمامة يُعدُّ من أهم المباحث العقائدية!

لكن ربما قال الشيخ عليه السلام ما قال - والله العالم - من باب المجازاة مع القوم الذين لا يعترفون بخلافتهم المباشرة، فكأننا يرد عليهم من باب ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

فكأنه يقول لهم: حتى وإن سلّمنا أنهم ليسوا بخلفاء بعد النبي عليه السلام بلا فصل، فإننا

(١) الكافي للكليني ج ٢ ص ١٨ باب دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ ح ١٠٠.

(٢) آل عمران ٦٤

نتيقن بأننا مكلفون بتكاليف شرعية أولاً، وأنَّ هناك مذاهب متعددة تعتقد بجواز الرجوع إلى أي مذهبٍ منها ثانياً، وأنَّ الاختلاف بين المذاهب قد يصل إلى حد التضاد أحياناً ثالثاً، والعقل يحكم بضرورة فراغ ذمة المكلف من الأحكام الشرعية رابعاً، وعليه لأبد من البحث عن المذهب الذي نتيقن بفراغ ذمة المكلف بالالتزام به.

فإن كان المدار البحث عن الأعلم والأكمل، فهل تعرفون لهم من نظير بين علماء الإسلام كلهم؟ هل هناك من هو معصومٌ كما هم؟ أو هل هناك من قال في حقهم الرسول الأكرم ﷺ ما قال فيهم في حديث الثقلين والنجوم وغيرها.

إذاً يجب علينا أن نطيعهم لا أن نطيع غيرهم، ونستقي العلوم منهم لا من غيرهم، ونتمثل للأحكام الشرعية بناءً على قولهم لا على قول غيرهم.

مما تقدم وبعدهم (سلام الله عليهم) في عداد العلماء دون خلافة أو إمامة يتوصل الشيخ ﷺ إلى دليل عقلي قطعي في وجوب طاعتهم، فيقول:

«والدليل القطعي دالٌّ على وجوب الرجوع إلى آل البيت وأتَمَّ المرجع الأصلي بعد النبي لأحكام الله تعالى المنزلة وعلى الأقل قوله (عليه أفضل التحيات): «إني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، الثقلين، وأحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وإِنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»، وقد اتفقت الرواية على هذا الحديث من قبل السنة والشيعة».

ثم يؤكد سماحته ﷺ على دقة انتقاء الرسول الأعظم ﷺ للألفاظ التي تشير بوضوح إلى تأكيده ﷺ على ضرورة الرجوع إلى أهل البيت ﷺ، فقال (رحمه الله تعالى): «فدقق النظر في هذا الحديث الجليل تجد ما يقنعك ويدهشك في مبناه ومعناه، فما أبعد المرمى في قوله: «إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً» والذي تركه فينا هما الثقلان معا إذ جعلهما كأمر واحد ولم يكتف بالتمسك بواحد منهما فقط، فبهما معا لن نضل بعده أبداً».

إشكالٌ وجوابه :

ربما يُشكل أحدهم مُدعيًا أنّ كلّ هذه الأحاديث الصحيحة التي تقدّمت إنها وردت على لسان الرسول الأكرم ﷺ للدلالة على وجوب حبهم فقط لا على لزوم طاعتهم. وفي مقام الرد نقول:

إنّا وإن سلّمنا بصحة ادعاء المشكل هذا، فهذا هو القرآن الكريم ذا يُشير إلى أنّ المحبة لا تكون إلا منبثقةً من الطاعة، قال (عزّ من قائل): ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

فحبُّ من دون طاعة إنّما هو محالٌ؛ لأنه تفريقٌ بين اللازم وملزومه، والتفريق بينهما غير صحيح، وما القول به إلا حياد من الصواب وهروب من الحق.

(١) آل عمران ٣١

عقيدتنا في حب آل البيت عليهم السلام

قال الشيخ رحمه الله: «عقديتنا في حُبِّ آل البيت:

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١)

نعتقد أنه زيادةً على وجوب التمسك بآل البيت، يجب على كُلِّ مسلمٍ أن يدين بحبهم ومودتهم، لأنه ﷻ في هذه الآية المذكورة حصر المسؤول عليه الناس في المودة في القربى.

وقد تواتر عن النبي ﷺ أن حُبَّهُم علامة الإيمان، وأن بغضهم علامة النفاق، وأن من أحبهم أحب الله ورسوله، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله.

بل حبهم فرضٌ من ضروريات الدين الإسلامي التي لا تقبل الجدل والشك. وقد اتفق عليه جميع المسلمين على اختلاف نحلهم وآرائهم، عدا فئة قليلةٍ اعتبروا من أعداء آل محمد، فنَبِزوا باسم (النواصب) أي من نصبوا العداوة لآل بيت محمد. وبهذا يُعدّون من المنكرين لضرورةٍ إسلاميةٍ ثابتةٍ بالقطع. والمنكر للضرورة الإسلامية كوجوب الصلاة والزكاة يعد في حكم المنكر لأصل الرسالة، بل هو على التحقيق مُنكِرٌ للرسالة، وإن أقرَّ في ظاهر الحال بالشهادتين، ولأجل هذا كان بغض آل محمد من علامات النفاق وحبهم من علامات الإيمان. ولأجله أيضاً كان بغضهم بغضاً لله ورسوله.

ولا شكَّ أنه ﷻ لم يفرض حبهم ومودتهم إلا لأنهم أهلٌ للحب والولاء، من ناحية قربهم إليه ﷻ، ومنزلتهم عنده، وطهارتهم من الشرك والمعاصي ومن كُلِّ ما يُبعد عن

(١) الشورى ٢٣

دار كرامته وساحة رضاه.

ولا يمكن أن تتصور أنه ﷺ يفرض حُبَّ من يرتكب المعاصي أو لا يُطيعه حقَّ طاعته، فإنه ليس له قرابةٌ مع أحدٍ أو صداقةٌ وليس عنده الناس بالنسبة إليه إلا عبيداً مخلوقين على حدٍ سواء، وإنما أكرمهم عند الله أتقاهم. فمن أوجب حبه على الناس كلهم لا بد أن يكون أتقاهم وأفضلهم جميعاً، وإلا كان غيره أولى بذلك الحب، أو كان الله يفضل بعضاً على بعض في وجوب الحب والولاية عبثاً أو لهواً بلا جهة استحقاق وكرامة. انتهى.

إنَّ جميع من يدَّعي الإسلام لا يجدُ مناصباً من حب آل البيت ﷺ، ولا يخالف هذه المسألة إلا النواصب، وهم بذلك يخرجون عن الإسلام.

وقد اعتمد الشيخ في هذه العقيدة على قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١).

ولزيدٍ من الإيضاح حول ما ذكره الشيخ رحمه الله في هذه المسألة نذكر عدة أسئلة تتعلق بها:

السؤال الأول: ما هو معنى هذه الآية؟

وردت العديد من التفسيرات لهذه الآية المباركة، بعضها ضعيفٌ جداً فأثرنا عدم التعرض إليه فنقتصر على آراءٍ ثلاثة:

الأول: إنَّ النبي ﷺ في هذه الآية يخاطب قريش، طالباً منهم أن لا يؤذوه وإن لم يكونوا مؤمنين به؛ وذلك للقرابة التي تربطه بهم، فتكون كلمة (في) في قوله: ﴿إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ هي (في السببية)، على غرار (دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت).

وهذا الرأي واضحُ البطلان وضعيفٌ جدًّا، إذ كيف يُتصور طلب الأجر ممن لم يؤمن به ﷺ؟! فإنَّ الأجر إنَّما يكون إزاء خدمةٍ مُعترفٍ بها من قبل الطرف الآخر، والمشركون لم يعترفوا بذلك ليصح طلب الأجر منهم.

الثاني: إنَّ النبي ﷺ يخاطب جميع المسلمين طالبًا منهم أن يجوا من يتقرب إلى الله ﷻ بالطاعة، فتكون القربى هنا بمعنى (التقرب إلى الله)، وهذا هو أجر رسالته ﷺ.

وهذا الرأي ضعيفٌ باطلٌ من جهتين:

أولهما: نصَّ أهل اللغة على أنَّ كلمة القُربى لا تُستعمل في (التقرب)، وإنَّما هي بمعنى القرابة، وهذا خلاف الرأي هذا.

ثانيهما: ورد في النصوص المتواترة أنَّ المقصود من (القُربى) هو خصوص قرابة الرسول ﷺ، فيكون تفسيرها بـ(التقرب) حينئذٍ اجتهادًا في مقابل النص، والاجتهاد في مقابل ما ثبت في الشريعة الإسلامية كنصٍ واضحٍ باطلٌ، فيكون هذا التفسير باطلًا.

الثالث: إنَّ النبي ﷺ يُخاطب المسلمين جميعًا طالبًا منهم أن يودوا قرابته وهو المعنى المتعين.

السؤال الثاني: بعد أن علمنا أنَّ معنى (القربى) هم قرابة الرسول ﷺ، فالآية المباركة قصدت أيًّا منهم تحديدًا؟

الجواب: ذكر المفسرون رأيين:

الرأي الأول: إنَّ المقصود بـ(القربى) جميع أقرباء الرسول ﷺ، أيَّ إنَّ المسلمين جميعًا مأمورون بمودة كل من يمتُّ إليه بقرابة، فيشمل ذلك جميع قريش، وهذا الرأي واضحُ البطلان لجهاتٍ ثلاث:

الجهة الأولى: للقرينة العقلية، إذ لا يُتصور أن يُطلب من المسلمين أن يودوا قرابة

الرسول ﷺ بما فيهم من مؤمنين ومشركين وكافرين، وبما فيهم أبو لهب الذي نصّ القرآن الكريم على لعنه ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(١).

الجهة الثانية: لمعارضته قوله ﷺ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

فهذه الآية صريحة في أنّ الذي يؤمن بالله واليوم الآخر لا يودّ من يُحَادّ الله ورسوله وإن كان أباً أو ابناً أو أخاً، ونحن نعلم أنّ أيّ مقولة تتعارض مع القرآن الكريم يُضرب بها عرض الجدار.

الجهة الثالثة: من المعلوم أنّ النبي ﷺ كان يظهر منه الاعتناء بمجموعة خاصة من قرابته وهم أهل الكساء، والروايات كثيرة في هذا المجال تبين أنّه ﷺ كان يُفضلهم على كلّ أقربائه، ويجعلهم كنفسه، ويتألم لألمهم، ويفرح لفرحهم، فكيف تتصور أن يساويهم بذلك المشرك الذي شهر السيف بوجهه ﷺ، وإن أسلم فإنّ إسلامه بعد اللتيا والتي.

الرأي الثاني: إنّ المقصود من القرابة هم خصوص أصحاب الكساء وهم (عليّ، وفاطمة والحسنان صلوات الله وسلامه عليهم)، وهذا هو المعنى المتعين، والذي دلت عليه الروايات الكثيرة من كتب القوم فضلاً عن كتبنا، فمثلاً روى عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله، من قرابتك التي افترض الله علينا مودتهم؟ قال: «عليّ وفاطمة وولدها. يردّها»^(٣).

(١) المسد ١.

(٢) المجادلة ٢٢.

(٣) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل للحاكم الحسكاني ج ٢ ص ١٩١ ح ٨٢٤.

والروايات في هذا المجال كثيرة وعديدة.

السؤال الثالث: أشكل البعض خصوصاً السلفية والوهابية، وملخص إشكالهم: إنَّ آية المودة وردت في سورة الشورى، وسورة الشورى مكية، وإنَّ علياً عليه السلام تزوج بفاطمة (سلام الله عليها) في المدينة المنورة، فكيف نتصور أنَّ هذه الآية وهي من سورة الشورى المكية نزلت في علي وفاطمة وابنيهما وهما لم يتزوجا بعد ولم يولد الحسنان بعد؟ ويمكن الجواب عنه من جهتين:

الأولى: إنَّ أهل الفن نصوا على أنَّ خصوص هذه الآية مدنية، أيَّ إنَّ سورة الشورى مكية إلا آية المودة وما بعدها من آيتين أو ثلاث فهن آياتٌ مدنيات، وأنَّ تجمع سورة واحدة آياتٍ مكية وأخرى مدنية أمرٌ متعارفٌ عليه في القرآن الكريم، وقد نصَّ أهل الفن وأكدوا على أنَّ هذه الآية من سورة الشورى مدنية.

الثانية: حتى وإن سلّمنا جدلاً بأنَّ هذه الآية مكية، فقد جاءت على نحو القضية الحقيقية، وهي القضية التي تتحقق في أيِّ وقتٍ وجدَّ من تنطبق عليه في الخارج، كما في الأحكام الشرعية المأخوذة على نحو القضية الحقيقية لا الخارجية، ومنها الآيات التي أوجبت علينا الصلاة ولم تكن موجودين خارجاً عند نزول القرآن الكريم، ولكن لكونها على نحو القضية الحقيقية فمتى ما وجد المكلفون انطبق حكمها عليهم وهو وجوب الصلاة.

وعليه، فإنَّ آية المودة ليست مأخوذة على نحو القضية الخارجية، أيَّ إنَّها تنطبق على خصوص الأفراد الموجودين من القرابة في الخارج فعلاً وقت النزول، بل على نحو القضية الحقيقية، أي متى ما وجد الأفراد الذين تنطبق عليهم في الخارج فإنَّها تتحقق ولو في المستقبل، ومن تنطبق عليه هم الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فمتى ما وجدوا في الخارج انطبقت عليهم الآية المباركة.

السؤال الرابع: هل تختص الآية بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقط؟ أو تشمل بقية الأئمة عليهم السلام؟

الجواب: بل تشمل الأئمة كلهم عليهم السلام للروايات الخاصة والدالة على ذلك، ومنها ما روي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، قال: هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام.^(١)

السؤال الخامس: كيف يطلب النبي صلى الله عليه وآله أجرًا على رسالته، على حين أن الأنبياء عموماً لم يطلبوا ذلك، وكان قولهم: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) فكيف يطلب النبي صلى الله عليه وآله هذا الأجر؟

قبل الجواب عن هذا السؤال، تجدر الإشارة إلى أنه لعله يتضمن جرأةً وجهلاً في أن واحد، فأما الجرأة؛ ففي التطاول على مقام القرآن العزيز والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأما الجهل؛ ففي فهم آيات القرآن الكريم، إذ لا بُدَّ أن يؤخذ القرآن الكريم ككلٍّ واحدٍ في تفسير آياته؛ لأنها تفسر بعضها بعضاً، ولذا ذمَّ الله صلى الله عليه وآله من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، وهنا دعوة إلى الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن.

والجواب: بناءً على ما تقدم، فإنَّ القرآن الكريم بيّن أن هذا الأجر الذي طلبه النبي صلى الله عليه وآله يمثل السبيل الأقوم لمن يتبغي الوصول إلى رضا الله صلى الله عليه وآله، قال صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٣)، ومن ثم فإنَّ الالتزام به يعود بالفائدة على الملتزم نفسه لا على الرسول صلى الله عليه وآله، فلا يصحَّ السؤال، قال (عزَّ من قائل): ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٤١٣ باب فيه نُكْتُ وَتُنْتُ مِنَ التَّنْزِيلِ فِي الْوَلَايَةِ ح ٧.

(٢) الشعراء ١٠٩

(٣) الفرقان ٥٧

شَهِيدٌ ﴿١﴾.

السؤال السادس: لو سلمنا أن مفاد آية المودة هو إظهار المودة لأهل البيت عليهم السلام كأجرٍ للرسالة، فما الدليل على أن مودتهم تستلزم إطاعتهم؟ فلنقل: إنه تلزم مودتهم ولكن في باب الطاعة فتتم إطاعة غيرهم؟!

الجواب: ربما يصحُّ هذا الكلام في المودة الاعتيادية، أما في مودةٍ تمثل أجرًا للرسالة الخاتمة، أي تمثل أجرًا لما قدّمه النبي الأكرم عليه السلام من تضحيات جسيمة، وما تحمّله من أذى بالغ حتى قال: «ما أودني نبي قط كما أوديت»^(٢)، فهذه المودة يجب أن تكون متناسبةً مع عظمة الرسالة، ولا يمكن أن نتصور أن هذه المودة التي تمثل أجر رسالة النبي عليه السلام كمودة أحدنا للآخر مما لا تستلزم الطاعة.

إشارات:

الإشارة الأولى: إنَّ وجوب الحب والمودة لآل البيت عليهم السلام يدلُّ على طهارتهم من الشرك والمعاصي، أي يدلُّ على عصمتهم، وهذا ما أشار إليه الشيخ عليه السلام بقوله: «ولا شك أنه تعالى لم يفرض حبهم ومودتهم إلا لأنهم أهل للحب والولاء، من ناحية قربهم إليه سبحانه، ومنزلتهم عنده، وطهارتهم من الشرك والمعاصي ومن كل ما يبعد عن دار كرامته وساحة رضاه.

ولا يمكن أن تتصور أنه تعالى يفرض حب من يرتكب المعاصي أو لا يطيعه حق طاعته، فإنه ليس له قرابة مع أحد أو صداقة وليس عنده الناس بالنسبة إليه إلا عبيدًا مخلوقين على حد سواء، وإنما أكرمهم عند الله أتقاهم. فمن أوجب حبه على الناس كلهم لا بد أن يكون أتقاهم وأفضلهم جميعاً، وإلا كان غيره أولى بذلك الحب، أو كان الله

(١) سبأ ٤٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٤٢.

تعالى يفضل بعضاً على بعض في وجوب الحب والولاية عبثاً أو لهواً بلا جهة استحقاق وكرامة».

فلا يُعقل أن يأمرنا الله ﷺ بمحبتهم وهم يمارسون المعصية، وعليه؛ فإنَّ هذا الوجوب يكشف عن طهارتهم وعصمتهم، ومن ثمَّ ذُكرت هذه الآية المباركة كدليلٍ على عصمتهم.

الإشارة الثانية: إنَّ وجوب حبِّهم يُلازم خروج مُبغضهم عن الدين والإسلام؛ لأنَّ بغضهم يعني تكذيباً لرسول الله ﷺ ورداً لأمر الله ﷻ، حيث إنَّهما يقولان بوجوب حب أهل البيت ﷺ، فيكون بغضهم ﷺ ونصب العداء لهم مخالفةً لأمر الله ﷻ، ومن ثمَّ الخروج عن الإسلام، وهذا ما أشار إليه الشيخ ﷺ أيضاً في كلامه حيث قال: «وقد تواتر عن النبي ﷺ أن حبهم علامة الإيِّان، وأن بغضهم علامة النفاق، وأن من أحبهم أحب الله ورسوله، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله. بل حبهم فرض من ضروريات الدين الاسلامي التي لا تقبل الجدل والشك... بل هو على التحقيق منكر للرسالة، وإن أقر في ظاهر الحال بالشهادتين، ولأجل هذا كان بغض آل محمد من علامات النفاق وحبهم من علامات الإيِّان. ولأجله أيضاً كان بغضهم بغضاً لله ولرسوله».

الإشارة الثالثة: إنَّ لزوم المحبة يعني لزوم الاتباع؛ إذ لا معنى للحبِّ من دون طاعة؛ لقوله (عزَّ من قائل): ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

فمن دون اتباع أهل البيت ﷺ لا تصدق المودة.

وهذا الأمر يجري حتى على من يدعي التشيع؛ فادعاء حبهم لا يكفي، بل لابد من الاتباع العملي لهم ﷺ، وقد ورد عن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال: قال لي: «يا

(١) آل عمران ٣١.

جَابِرُ، أَيَكْتَفِي مَنِ انْتَحَلَ التَّشْيِعَ أَنْ يَقُولَ بِحُبِّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَوَاللَّهِ مَا شِيعْتُنَا إِلَّا مِنْ اتَّقَى اللَّهَ وَأَطَاعَهُ، وَمَا كَانُوا يُعْرِفُونَ يَا جَابِرُ، إِلَّا بِالتَّوَاضُّعِ، وَالتَّخَشُّعِ، وَالأَمَانَةِ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالصُّومِ وَالصَّلَاةِ وَالبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ، وَالتَّعَاهُدِ لِلْجِيرَانِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ الْمُسْكِنَةِ وَالعَارِمِينَ، وَالأَيْتَامِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَكَفِّ الأَلْسُنِ عَنِ النَّاسِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، وَكَانُوا أَمَنَاءَ عَشَائِرِهِمْ فِي الأَشْيَاءِ.

قَالَ جَابِرٌ: فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا نَعْرِفُ الْيَوْمَ أَحَدًا بِهَذِهِ الصِّفَةِ!

فَقَالَ ﷺ: يَا جَابِرُ، لَا تَذْهَبَنَّ بِكَ الْمَذَاهِبُ، حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ أَحِبُّ عَلِيًّا وَآتَوْلَاهُ ثُمَّ لَا يَكُونَ مَعَ ذَلِكَ فَعَالًا!

فَلَوْ قَالَ: إِنِّي أَحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ ﷺ، ثُمَّ لَا يَتَّبِعُ سِيرَتَهُ وَلَا يَعْمَلُ بِسُنَّتِهِ، مَا نَفَعَهُ حُبُّهُ إِيَّاهُ شَيْئًا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا لِمَا عِنْدَ اللَّهِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ، أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ أَنْقَاهُمْ وَأَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِهِ، يَا جَابِرُ، وَاللَّهِ مَا يُتَّقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا بِالطَّاعَةِ، وَمَا مَعَنَا بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَلَا عَلَى اللَّهِ لِأَحَدٍ مِنْ حُجَّةٍ مَنْ كَانَ اللَّهُ مُطِيعًا فَهُوَ لَنَا وَبِيٍّ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ عَاصِيًا فَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ، وَمَا تُنَالُ وَلَا يَتَنَا إِلَّا بِالعَمَلِ وَالْوَرَعِ. ^(١)

(١) الكافي للكليني ج ٢ ص ٧٤ - ٧٥ باب الطَّاعَةِ وَالتَّقْوَى ح ٣.

عقيدتنا في الأئمة عليهم السلام

قال الشيخ رحمته: «عقيدتنا في الأئمة:

لا نعتقد في أئمتنا ما يعتقد الغلاة والحلوليون (كبرت كلمة تخرج من أفواههم). بل عقديتنا الخاصة أنهم بشرٌ مثلنا، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وإننا هم عبادٌ مكرمون اختصهم الله ﷻ بكرامته وحباهم بولايته، إذ كانوا في أعلى درجات الكمال اللاتقة في البشر من العلم والتقوى والشجاعة والكرم والعفة وجميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، لا يدانيهم أحدٌ من البشر فيما اختصوا به. وبهذا استحقوا أن يكونوا أئمةً وهداةً ومرجعاً بعد النبي في كل ما يعود للناس من أحكام وحكم، وما يرجع للدين من بيان وتشريع، وما يختص بالقرآن من تفسير وتأويل.

قال إمامنا الصادق عليه السلام: «ما جاءكم عنا مما يجوز أن يكون في المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردوه إلينا، وما جاءكم عنا مما لا يجوز أن يكون في المخلوقين فأجحدوه ولا تردوه إلينا.» انتهى.

بعد أن انتهينا إلى أنهم عليهم السلام خلفاء رسول الله ﷺ حقاً وثبت لهم من الصفات ما لم تثبت لغيرهم، كالعصمة والعلم الخاص، فقد يحظر على الذهن ما يُرده بعض المخالفين، من أن الشيعة يغالون في أئمتهم ويجعلونهم أرباباً وما شابه هذا الكلام؛ لذا كان من الفني جداً أن يتطرق الشيخ رحمته إلى هذه العقيدة (عقيدتنا في الأئمة عليهم السلام)، والتي أوضح من خلالها حد الاعتقاد بأهل البيت عليهم السلام، ويمكن تلخيصها في نقطتين:

النقطة الأولى: لا يخلو مسلم من الاعتقاد بهم.

إنَّ مسألة الاعتقاد بأهل البيت عليهم السلام هي مسألة لا يخلو منها مسلم سلباً أو إيجاباً، فكلُّ مسلمٍ مطالبٌ بأنَّ يعتقد بأهل البيت صلوات الله عليهم، نعم، قد يكون هذا الاعتقاد إيجابياً (موافقاً للأسس العامة للإسلام)، وقد يكون سلبياً، وهذا السلبي قد يكون على نحو الإفراط في الاعتقاد بهم عليهم السلام وهو (الغلو)، وقد يكون على نحو التفريط بالاعتقاد بهم عليهم السلام.

وهذا يعني أنَّ الناس في هذه المسألة على ثلاثٍ مراتب، وقد أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «الْيَمِينُ وَالشَّهْلُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ، عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ، وَأَثَارُ النُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا مَنَفَذُ السُّنَّةِ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ...»^(١).
والمراتبُ هي:

الأولى: مرتبة المقصورة.

وهم الذين أنكروا مقامات أهل البيت عليهم السلام ومنازلهم التي وهبها لهم رب العالمين، وربما عادوا أهل البيت وحاربوهم وأنكروا خلافتهم وإمامتهم، ولهم عدة أنحاء:

الأول: من أنكروا إمامتهم، وهذا قصر في الاعتقاد بأهل البيت عليهم السلام.

الثاني: من ساوى غيرهم بهم من المسلمين، فضلاً عن فضل غيرهم عليهم.

الثالث: من أنكروا عصمتهم، ولعله يعترف بخلافتهم وإمامتهم.

الرابع: من أنكروا كراماتهم ومعجزهم.

وفي بعض الأحيان نجد بعض هذه المراتب حتى فيمن يدعي التشيع، خصوصاً لدى من انغمس بالماديات كثيراً، ويعتبر نفسه مثقفاً فينكر ما يصدر عن الأئمة عليهم السلام

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٥٠.

من كرامات.

الثانية: مرتبة الغلاة.

وهؤلاء على أنحاء:

الأول: من ادعى الألوهية لهم عليهم السلام، وهذا واضحٌ جداً بأنه كفر.

الثاني: من أدى اعتقاده بالأئمة إلى إنكار نبوة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهذا أيضاً من الكفر، وهذا الذي يدّعيه البعض علينا بأن الشيعة يقولون: خان الأمين، خان الأمين، أي إنَّ الوحي نزل وكان مكلفاً بإعطاء النبوة للإمام علي عليه السلام، لكنّه لم يجده فأعطاها للنبي صلى الله عليه وآله، وبهذا قد خان الأمانة!

وهو ادعاءٌ باطل ومكذوب على الشيعة، وأدُلُّ دليلٍ على ذلك قول الشيعة أنفسهم بكفر من يعتقد بخيانة الأمين هذه، ولا يوجد شيعي يقول بهذا الشيء، ولكن ذكرناه من باب الاستقصاء العلمي.

الثالث: الذي اعتقد بأنَّ الأئمة عليهم السلام مُستقلون في أفعالهم عن الله تعالى، وهذا مشركٌ؛ إذ كما تقدم في مبحث التفويض أنَّ التفويض:

أ: التفويض المعتزلي: ومفاده أنَّ الإنسان مستقل بأفعاله عن الله تعالى وهذا يؤدي إلى الشرك.

ب: التفويض الذي ذكره القرآن الكريم: كتفويض قبض الأرواح إلى ملك الموت، وكتفويض النبي عيسى عليه السلام في إحياء الموتى، فهذا التفويض يعني التوكيل، ولا يعني أنَّ أيّاً من ملك الموت أو النبي عيسى عليه السلام مستقلٌ في فعله عن الله تعالى، بل يقيان محتاجين إلى الإذن الإلهي، وهذا النحو من التفويض لا يؤدي إلى الشرك؛ لأنّه بإذن الله تعالى وفي طول إرادته.

وعليه فإن من يطلب من الأئمة حاجة، كأن يطلب منه أن يرزقه ذرية مثلاً، فهذا إن كان يعتقد أن الله ﷻ لا يستطيع أن يرزقه الذرية وأنَّ علياً عليه السلام هو الذي يستطيع ذلك مستقلاً عنه ﷻ، فإن مثل هذا الشخص يُعدّ مشرّكاً، وإن كان يعتقد أن الإمام عليه السلام يرزقه ذريةً بإذن الله تعالى وبكرامته عند الله (جلّ وعلا) لم يكن مشرّكاً البتة.

وهذا ما تعتقد المدرسة الإمامية؛ لأنَّ الأئمة (سلام الله عليهم) تصدر منهم كرامات، وأما الرازق الحقيقي فهو الله ﷻ بتوسط ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. فهذا تفويض لكن لا على نحو الاستقلال، وأما الغلو فيقع فيما إذا اعتقد شخص ما باستقلال أهل البيت عليه السلام عن الله ﷻ، ومن لم يكن معتقداً بهذا الأمر فلا يُعدُّ مغالياً؛ لتوافق اعتقاده مع ما جاء في القرآن الكريم الذي ذكر مسألة التفويض بصورة واضحة.

الرابع: من قال بالحلول، يعني أن أرواح الأئمة عليه السلام تحلُّ (تنتقل وتدخل) إلى أجساد بعض الناس، والذي عبّر عنهم الشيخ به (الحلوليين)، وهذا التيار كان موجوداً حتى في زمن الأئمة (سلام الله عليهم) وفي بدايات الغيبة الصغرى، أما الآن فلا وجود علنياً له. نعم، ظهرت بعض التيارات في بعض السنوات السابقة ما تسمى به (السلوكيين) وهو قريب من الحلول أو هو نفسه.

المرتبة الثالثة: (النمرقة الوسطى).

وهم الآخذون بالحدّ الوسط، فلا ينكرون مقاماتهم وكراماتهم كما يفعل المقصرة، ولا يرفعونهم إلى مقام الألوهية كما يفعل الغلاة. وهذه المرتبة هي المتوافقة مع النظام العام للإسلام، وهي المرتبة التي أرادها منّا أهل البيت عليه السلام، وهي ما يلتزم به الشيعة في كلّ الأزمنة وفي كلّ أنحاء الأرض، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في بيان هذه المراتب: نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوَسْطَى، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْعَالِي. (١)

(١) نهج البلاغة ج ٤ ص ٢٦ الحكمة ١٠٩.

النقطة الثانية: حد الاعتقاد (النمرقة الوسطى).

هناك مجموعة من الأحاديث الشريفة تبين لنا أنّ هذه المرتبة من الاعتقاد في الحقيقة هي مرتبة عالية جداً، ولا يعني الالتزام بها الوصول إلى حقيقة مقاماتهم أو معرفة كنه منازلهم ﷺ، ومما يُنبئ على عِظَم هذه المرتبة ويُبين حدّها الدقيق -وفي نفس الوقت الغامض؛ إذ لا يمكن إدراك غوره- عدة روايات:

ما روي أنه قال أمير المؤمنين ﷺ: «جَلَّ مقام آل محمد عن وصف الواصفين ونعت الناعتين، وأنى يُقاس بهم أحد من العالمين؟ وكيف وهم النور الأول...»^(١)
وروي عنهم ﷺ: «نزهونا عن الربوبية»^(٢) وارفَعوا عنا حظوظ البشرية، فلا يقاس بنا أحد من الناس»^(٣).

وفي ما روي عنهم من إخبارهم بالمغيبات وتصحيح فكر الآخر بكونهم عبيداً لله تعالى ما روي عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: «قال لي أبو عبد الله ﷺ ضع لي في المتوضأ ماءً. قال: فقمتم فوضعت له فدخل، قال: فقلت في نفسي: أنا أقول فيه كذا وكذا ويدخل المتوضأ! فلم يلبث أن خرج فقال: يا إسماعيل بن عبد العزيز، لا ترفعوا

(١) مشارق أنوار اليقين للحافظ البرسي ص ١٧٧ وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٢٥ ص ١٧١

١٧٢ -

(٢) في هذه الرواية وُجّه سؤال إلى السيد الخوئي نُقل في صراط النجاة - الميرزا جواد التبريزي - ج ٢ - ص ٤٥٢ تحت رقم السؤال ١٤٢١: «نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم» هل أن هذه المقولة حديث؟ وإلى من تنسب من الأئمة الأطهار؟

ج/ الخوئي: لا يحتاج تنزيههم عن صفات الرب المختصة به واتصافهم بجميع ما عدى تلك من صفات الكمال التي يمكن أن تنالها البشرية في قدسيتها، كما هم منزّهون عن ما لا يليق أن يتصف به المخلوق المعصوم عن الزلل والمعاصي لا تحتاج تلك إلى ورود رواية حتى تثبت بمضمونها إن كانت معتبرة، أو نظرهما إن كانت ضعيفة غير معتبرة، والله العالم.

(٣) مشارق أنوار اليقين للحافظ البرسي ص ١٠١.

البناء فوق طاقتنا فينهدم، اجعلونا عبيدًا مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم...»^(١).

وعن خالد بن نجيج الجوار قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده خلقٌ، فنقعت رأسي فجلست في ناحية وقلت في نفسي: ويحكم ما أغفلكم عند من تكلمون؟ عند رب العالمين! قال: فناداني: ويحك يا خالد، إني والله عبد مخلوق، لي ربُّ أعبدته، إن لم أعبده والله عذبني بالنار. فقلت: لا والله لا أقول فيك أبدًا إلا قولك في نفسك»^(٢).

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لأبي ذر: «اعلم يا أبا ذر أنا عبد الله صلى الله عليه وسلم وخليفته على عباده لا تجعلونا أربابًا، وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فإن الله صلى الله عليه وسلم قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم، أو يخطر على قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون»^(٣).

وهذه الروايات تحكي واقعًا صحيحًا، وهو أن الأئمة عليهم السلام ليسوا آلهة لكنهم من العظمة بمكان بحيث لا ندرك حقيقتهم.

وهو بحثٌ خاصٌّ بالمدرسة الإمامية؛ وذلك لأنها هي الوحيدة التي تُنزل أهل البيت عليهم السلام المنزلة الوسطى، حيث لا إفراط ولا تفريط، لا غلو ولا تقصير. فمن الضروري التعرف إليها ليعلم كلُّ منا أين موقعه ومرتبته في اعتقاده بهم عليهم السلام، لا سيما أنّها هي الأخرى على مراتب متعددة، وهي على نحو الإجمال:

(١) بصائر الدرجات للصفار (ص ٢٦١ باب (١٠) باب في الأئمة انهم يعرفون الاضمار وحديث النفس قبل ان يخبروا به/ ح ٢٢)

(٢) بصائر الدرجات للصفار (ص ٢٦١ - ٢٦٢ باب (١٠) باب في الأئمة انهم يعرفون الاضمار وحديث النفس قبل ان يخبروا به/ ح ٢٥)

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٦ ص ٢.

مراتب المعرفة بأهل البيت عليهم السلام

المرتبة الأولى: المعرفة الإجمالية:

فهناك من لا يعرف عن أهل البيت عليهم السلام إلا أسماءهم، وأنهم هم الذين تجب طاعتهم وموالاتهم، وهم أهل الكساء والذرية المعصومة من الإمام الحسين عليه السلام، وهذه المرتبة على بساطتها أفضل ممن يُنكر مقاماتهم، ولكنها معرفة متواضعة جداً، لا ترتقي بالإنسان الموالي إلى مراتب الكمال المطلوبة. نعم، بالنسبة للعجائز أو ممن عقله لا يُحسن أن يحمل أكثر من هذا المقدار فهذا معذورٌ، لكن الإنسان الذي يتمتع بعقلٍ يمكنه المعرفة أكثر من ذلك، ويستطيع أن يصل إلى كمالٍ أعلى بطلب العلم، فلا يُكتفى منه بهذه المرتبة.

المرتبة الثانية: الجمع بين محبتهم ومحبة أعدائهم.

هناك من يعرف أسماء أهل البيت عليهم السلام، ويعتقد بأفضليتهم وأعلميتهم ومنزلتهم من الرسول صلى الله عليه وآله، ولكنه رغم ذلك لا يُعادي عدوهم، ولا يرضى بأن يتعد عن دائرة أعدائهم بحجةٍ أو بأخرى، كأن يقول عنهم: إنهم صحابة ولا بد أن نحبهم، أو يقول: نوكل حسابهم إلى الله ﷻ، بالنتيجة هو يحبهم ويجب أعداءهم!

وهذه المرتبة غير مقبولة في التشيع أبداً؛ لأنَّ أهل البيت عليهم السلام أنفسهم قد نصّوا على أنَّ الالتحاق بهم لا يكون إلا بحبهم الذي يعني في نفس الوقت معاداة أعدائهم، وبهذه الطريقة تكتملُ النمرقة الوسطى.

وقد أكّدت الروايات على أنَّ تمام الولاية في البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام،

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «من شك في كفر أعدائنا والظالمين لنا فهو كافر». (١)
 وقيل للصادق عليه السلام: «إن فلاناً يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم،
 فقال: هيهات، كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا». (٢)

كما روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا». (٣)
 ومن الجدير بالذكر، أن الجمع بين حبهم وحب أعدائهم مما يمكن أن نجده في
 خارج دائرة التشيع وربما بكثرة، وما يعتقده العامة من المسلمين اليوم أدل دليل على
 ذلك، فضلاً عما وردنا من روايات، فقد ورد أن معاوية سأل سعد بن أبي وقاص: «ما
 يمنعك أن تُسبَّ ابن أبي طالب؟ فقال سعد: لا أسبه؛ ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول
 الله صلى الله عليه وآله لئن يكون لي واحدة منهن أحبُّ إليَّ من حُمُرِ النعم: لا أسبه ما ذكرت حين
 نزل الوحي عليه فأخذ علياً وابنيه وفاطمة وأدخلهم تحت ثوبه، ثم قال: ربي هؤلاء
 أهل بيتي وأهلي، ولا أسبه ما ذكرت حين خلفه في غزوة غزاهما، قال عليٌّ: خلفتني مع
 الصبيان والنساء؟! قال: أو لا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا
 نبيَّ بعدي، ولا أسبه ما ذكرت يوم خيبر حين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأعطين الراية رجلاً
 يحب الله ورسوله ويفتح الله على يديه فتناولنا، فقال: أين علي؟ فقالوا: هو أرمد، قال:
 ادعوه، فدعوه فبصق في عينيه ثم أعطاه الراية ففتح الله عليه». (٤)

ولكن رغم ذلك فإن موقف ابن أبي وقاص من أمير المؤمنين عليه السلام واضح للعيان.

(١) الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق ص ١٠٤.

(٢) مستطرفات السرائر لابن إدريس الحلبي ص ٢٦٦.

(٣) مستطرفات السرائر لابن إدريس الحلبي ص ٦٤٠.

(٤) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٠٨ - ١٠٩ وخصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي ص

المرتبة الثالثة : محبتهم وطاعتهم دون الاعتقاد بمقاماتهم العالية .

وهي نظرية (علماء أبرار)، بمعنى أنه قد يوالي أهل البيت (سلام الله عليهم)، ويعتقد بوجوب طاعتهم، ولكنه لا يُقرُّ بمقاماتهم العالية؛ لاعتقاده أن أهل البيت عليهم السلام كسائر عبيد الله ﷺ، إلا أنهم أفضل منهم إلى درجة لا تصل إلى بلوغهم تلك المقامات العالية، كقدرتهم عليهم السلام على معرفة ما في النفوس مثلاً، أو قدرتهم (سلام الله عليهم) على معرفة بعض الغيبات، أو القيام ببعض المعجزات والكرامات، متهمًا كل من يعتقد بذلك بالغلو فيهم عليهم السلام وربما تأليههم، رغم أنه يعتقد تمامًا بأن صدور تلك المعاجز من الأنبياء عليهم السلام لا غلو فيه ولا تأليه؛ مستندًا إلى الأدلة الدالة على معجزاتهم لا سيما في القرآن الكريم.

والغريب أنه إن جاز صدور المعجزات في حد ذاته، ولم ينافِ توحيد الله (تبارك وتعالى)، بل كان متماشياً مع إيمان المسلم طالما صدرت عن أفرادٍ دلَّت الأدلة الشرعية على صدورهما منهم أو قدرتهم عليها؛ لما بلغوا من مراتب عليا في الكمال، فما الضير إذاً في أن يكون أئمة أهل البيت عليهم السلام كذلك؟! وهم الذين دلَّت الأدلة الشرعية أيضًا على قدرتهم على الإتيان بالمعجزات؛ وقد بلغوا أعلى المراتب الكمالية، التي تفوق مراتب الأنبياء عليهم السلام أيضًا؟!!

وهذه المرتبة غير مقبولة في التشيع.

المرتبة الرابعة : الاتباع المصلي .

هناك من يتبع أهل البيت عليهم السلام طالما كانت مصلحته الشخصية في اتباعهم، فإذا حُصِّصوا بالبلاء قلَّ الديانون؛ لعدم بلوغهم درجةً من الإيمان تؤهلهم للاستعداد عن التخلي عن مصالحهم الشخصية فيما إذا تعارضت مع اتباعهم للأئمة عليهم السلام، وأبرز مثال على ذلك هم من تخلوا عن نصره الإمام الحسين عليه السلام رغم اعتقاده بإمامته وأنه على حق.

وهذه المرتبة غير مقبولة في التشيع؛ لذا استحق الخاذلون للإمام الحسين عليه السلام من السيدة زينب عليها السلام الملام والتوبيخ.

المرتبة الخامسة: الاعتقاد المطلق بولايتهم والبراءة من أعدائهم.

وهي مرتبة الاعتقاد بأهل البيت (سلام الله عليهم) اعتقاداً مطلقاً يتمثل بالإيمان بولايتهم، وبالبراءة من عدوهم، والإقرار بأنهم قد تمّ تنصيبهم من الله ﷻ؛ فيلزم اتباعهم بلا نقاش، فنؤمن بكلّ ما ورد عنهم ونأتمر بكلّ أوامرهم بقطع النظر عن مسألة المنافع الدنيوية التي تجرّها إلينا الولاية، أو تمنعنا منها.

ولسان حال هذه المرتبة - كما في الزيارة الجامعة -: «فَالرَّغِبُ عَنكُمْ مَارِقٌ وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ وَالْمُقَصَّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدَنُهُ، وَمِيرَاثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ وَفَضْلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ وَأَيَاتُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ وَعِزَائِمُهُ فِيكُمْ وَنُورُهُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ.

مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهُ وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهُ وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهُ وَمَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ، أَنْتُمْ الصِّرَاطُ الْأَقْوَمُ وَشُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاءِ وَشَفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ وَالْآيَةُ الْمَحْزُونَةُ وَالْأَمَانَةُ الْمَحْفُوظَةُ وَالْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ، مَنْ أَنَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ...

فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَامَعَ غَيْرِكُمْ آمَنْتُ بِكُمْ وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوْلَكُمْ وَبَرَّيْتُ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ أَعْدَائِكُمْ، وَمِنْ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ وَحَزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ الْجَاهِلِينَ لِحَقِّكُمْ وَالْمَارِقِينَ مِنْ وِلَايَتِكُمْ وَالْغَاصِبِينَ لِارْتِكَابِكُمْ الشَّاكِينَ فِيكُمْ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ وَلِيحَةٍ دُونِكُمْ وَكُلِّ مُطَاعٍ سِوَاكُمْ، وَمِنْ الْأَيْمَةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ...».

وأصحابُ هذه المرتبة لا يبالون بما يجري عليهم في موالاته أهل البيت عليهم السلام ولو قُطِّعوا إرباباً، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض

فاختارنا، واختار لنا شيعة، ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبدلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منا وإلينا...»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا للذي مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أؤذي فينا صرف الله، عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»^(٢).

إشارة: في لزوم التسليم لهم عليهم السلام.

إنَّ الأئمة عليهم السلام هم فوق مستوى البشر؛ لما بلغوا من كمالٍ عالية، بحيث لا ندرك مقاماتهم الحقيقية، ولذا فمن الممكن أن يعسر علينا فهم أو إدراك بعض أقوالهم، فوظيفتنا حينئذ لزوم التسليم فضلاً عن عدم الجحود بها طالما ثبت صدورهما عنهم سواء كانت متواترة أو أخبار ثقة سلسلتها صحيحة مائة بالمائة؛ لأنَّ عدم فهم حديث ما لا يُسوَّغ رفضه، ولا يبرر الجحود به، بل يلزم قبوله وإرجاع فهمه إلى الإمام نفسه. أي يجب الإيمان بما لا ندرکه من الأحاديث تعبدًا؛ لوجوب طاعتهم عليهم السلام بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي أمرنا الله صلى الله عليه وآله بوجوب طاعته، فيتحصَّل أنَّ الله صلى الله عليه وآله هو من أمرنا بأن نطيعهم. وقد أرشدت الروايات الشريفة إلى ذلك، منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «ما جاءكم منا مما يجوز أن يكون في المخلوقين، ولم تعلموه ولم تفهموه، فلا

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٣٥ حديث أربعمئة...

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٢٠١ الباب (٣٢) ثواب من بكى على الحسين بن

علي عليه السلام ح ٢٨٥ / ١.

تجحدوه، وردوه إلينا، وما جاءكم عنا مما لا يجوز أن يكون في المخلوقين، فاجحدوه ولا تردوه إلينا»^(١).

وهذا مقتضى الإيمان بمقام إمامتهم عليهم السلام، وبِعصمتهم التي تمنعهم من الخطأ، وبلزوم طاعتهم.

(١) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الخلي ص ٩٢.

عقيدتنا في أن الإمامة بالنص

قال تَنْتَهَى: «عقيدتنا في أن الإمامة بالنص

نعتقد أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله ﷺ على لسان رسوله أو لسان الإمام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده، وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه الله هادياً ومرشداً لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه، لأن الشخص الذي له من نفسه القدسية استعداد لتحمل أعباء الإمامة العامة وهداية البشر قاطبة يجب ألا يعرف إلا بتعريف الله ولا يعين إلا بتعيينه.

ونعتقد أن النبي ﷺ نص على خليفته والإمام في البرية من بعده، فعين ابن عمه علي بن أبي طالب أميراً للمؤمنين وأميناً للوحي وإماماً للخلق في عدة مواطن، ونصبه وأخذ البيعة له بإمرة المؤمنين يوم الغدير فقال: «ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه كيفما دار».

ومن أول مواطن النص على إمامته قوله حينما دعا أقرباءه الأذنين وعشيرته الأقربين فقال: «هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا» وهو يومئذ صبي لم يبلغ الحلم. وكرر قوله له في عدة مرات: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» إلى غير ذلك من روايات وآيات كريمة دلت على ثبوت الولاية العامة له كآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١٧٨﴾، وقد نزلت فيه عندما تصدق بالخاتم وهو راکعٌ ولا يساعد وضع هذه الرسالة على استقصاء كُُلِّ ما ورد في إمامته من الآيات والروايات ولا بيان وجه دلالتها. ثم إنه ﷺ نصَّ على إمامة الحسن والحسين، والحسين نصَّ على إمامة ولده علي زين العابدين وهكذا إماماً بعد إمامٍ ينصُّ المتقدم منهم على المتأخر إلى آخرهم وهو أخيرهم على ما سيأتي. انتهى.

يُعدُّ هذا البحث من الأبحاث المهمة والرئيسية في الإسلام؛ وذلك لأنَّ إثبات مضمون هذا البحث أو نفيه هو السبب الرئيسي الذي أدى إلى انقسام المسلمين إلى فرقتين عظيمتين جداً، وهما: فرقة أتباع أهل البيت ﷺ، وفرقة العامة، لذا فما من نقاشٍ يمكن أن يكون مثمراً بين هاتين الفرقتين إلا إذا كان مدخلة هذه النقطة، وهو (بحثُ الإمامة، وهل هي بنصِّ من الله ﷻ أو لا؟).

ولمزيدٍ من التوضيح نذكر عدة نقاطٍ في هذا المجال:

النقطة الأولى:

الآراء في كيفية جعل الإمام

هناك رأيان أساسيان في هذه المسألة، تولدت منها نظريتان، ترتب على تلكما النظريتين الكثير من الآثار على مستوى العقيدة أو الفقه أو السلوك، وهما:

النظرية الأولى: نظرية قبول الأمر الواقع:

وتبنتي هذه النظرية على أن خلافة رسول الله ﷺ ليس لها أساسٌ مُسبقٌ تبنتي عليه إلا ما وجدنا في التاريخ من الأمر الذي وقع، بمعنى أننا نصوغ الخلافة على أساس ما وقع، فالمؤسس لهذه النظرية نفسُ الذي وقع لا أمرٌ سابق، فإن حصلت الخلافة عن طريق الشورى فيها ونعمت، وإن حصلت عن طريق التعيين أو عن طريق اختيار الحل والعقد فلا إشكال، بل وإن حصلت عن طريق القهر والسيف فلا إشكال أيضًا.

وبعبارةٍ صريحةٍ جدًا: إن هذه النظرية تقول بشرعية حكم كل من وصل إلى كرسي الحكم بقطع النظر عن الطريقة التي وصل عبرها إليه.

والأشاعرة هم من قالوا بهذه النظرية؛ وذلك من خلال مطالعتهم لما حدث وتصحيحه أيًا كان ليس إلا، فهم وجدوا أن خلافة أبي بكر اجتمع عليها بعض الأشخاص مثل عمر بن أبي الخطاب والذين كانوا معه كما جاء في الروايات وكما حفظ التاريخ أسماءهم (عمر بن أبي الخطاب، ابو عبيدة الجراح، أسيد بن خضير، بشر بن سعد وأسلم مولى أبي حذيفة)، فهؤلاء الخمسة هم من بايعوا أبا بكر وخرجوا من السقيفة يدعون الناس إلى مبايعته، فكتبوا البند الأول في نظريتهم: إن الخلافة يمكن

أن تنعقد بأهل الحل والعقد.

وعندما وجدوا أن خلافة عمر بن أبي الخطاب جاءت بتعيين من أبي بكر، أضافوا بنداً آخر مفاده صحة انعقاد الخلافة بالتعيين، وعندما وجدوا أن خلافة عثمان بن عفان صارت بالشورى عن طريق ستة أشخاص، بل باتفاق ثلاثة لو كان فيهم شخص معين (وهو عبد الرحمن بن عوف)، قالوا بصحتها، وعندما وجدوا أن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام جاءت بالإجماع أي بإجماع أهل المدينة، قالوا بصحتها أيضاً، ولأن معاوية أصبح خليفةً بالسيف، فقد أضافوا إلى نظريتهم ما يصحح انعقاد الخلافة بالقوة والسيف!

وعليه فإن كل أنواع طرق الوصول إلى هذه الخلافة هي مقبولة لديهم، ويُعدّ الواصل إلى الحكم - من أيّ طريق كان - خليفةً وإماماً، وتجب طاعته والخارج عليه هو خارج على إمام زمانه إلا إذا تاب، وإذا لم يتب قُتِل وهو باغٍ.

ومن الجدير بالذكر: أن هذه النظرية ما وضعت إلا لتصحيح السبل التي سلكها من يسمونهم بالخلفاء في الوصول إلى الحكم وإن كانت ظلماً وجوراً، ومن ثم فإن الهدف من وضعها محاولة شرعية المخالفات الشرعية وإسباغ حكم الإباحة على ما حرّمه الشارع الأقدس، وتبرير مختلف الجرائم التي ارتكبت في سبيل الوصول إلى الحكم.

ومن جهة أخرى فإنّها تضيف الشرعية على كل من يحاول الوصول إلى الحكم مهما كانت السبل التي يسلكها - ملتوية أو إجرامية وما شاكل ذلك -.

فهي نظرية - علاوة على قبولها بالظلم فيما مضى - فإنّها تؤسس للظلم فيما هو آتٍ.

النظرية الثانية: نظرية النص:

وهي ما يصرّ أهل البيت عليهم السلام على تبنيها في مسألة تعيين الامام، هذه النظرية تمثل أساساً لتعيين الإمام، فهي سابقة على كون الإمام إماماً، أي إن هناك أساساً، ومن انطبق عليه الأساس فإنه يكون هو الخليفة.

النقطة الثانية:

ماذا يعني النص؟

يُقصد بالنص: التنصيب الإلهي، أي إنَّ من يجعل الشخص إمامًا وخليفةً عن رسول الله ﷺ ليس هو إلا الله ﷻ، فيكون حال الإمامة في ذلك حال النبوة في أن من يجعل النبي ليس هو إلا الله ﷻ.

وبما أن التنصيب من الله ﷻ، وهو ﷻ لا يمكن الاتصال به من سائر البشر؛ لذا لا بد من كاشف لنا عن هذا التنصيب، وقد أمكن الكشف عنه بأحد الطرق الثلاثة التالية:

الطريق الأول: التبليغ.

فيكون التنصيب بتبليغ النبي ﷺ، فينص على أن خليفة فلان، أو أن ينص الإمام الذي ثبتت إمامته على إمامة الإمام اللاحق، وهذا النص من الرسول أو الإمام يمثل واسطةً في نقل الأمر الإلهي إلى الناس، لا أن النبي ﷺ أو الإمام هما من ينصبان الإمام؛ لأنَّ مسألة الإمامة هي حقٌ مختصٌّ بالله ﷻ وحده.

الطريق الثاني: المعجزة.

من الواضح جدًا أن المعجزة تثبت نبوة النبي، فمن بابٍ أولى أمَّا تثبت إمامة الإمام؛ لذا فمن طرق كشف من يدعون إمامة الإمام المهدي ﷺ مثلاً، هو مطالبتهم بالمعجزة، وقد ورد أن الخراساني أو الحسيني عندما يطالب الإمام بالمعجزة فإن الإمام يأخذ غصنًا من خشبٍ يابس يغرسه فيورق من ساعته.

ففي رواية: «ويلحقه الحسيني في اثني عشر ألفاً، فيقول له: أنا أحقُّ منك بهذا الأمر، فيقول له: هات علامة، هات دلالة، فيومئ إلى الطير فيسقط على كتفه، ويغرس القضيب الذي بيده فيخضّر ويعشوشب، فيسلم إليه الحسيني الجيش، ويكون الحسيني على مقدمته...»^(١).

الطريق الثالث: الطريق العقلي.

ويُسمى أيضًا طريق جمع القرائن، أو ملاحظة الصفات والخصائص والأفعال المتوفرة لدى شخصٍ ما، بحيث يتيقن الإنسان العاقل من خلال مشاهدة هذه الخصائص والصفات بأنَّ هذا الشخص هو إمامٌ معصوم.

وقد أثبتت الحوادث التاريخية اكتشاف العديد من الأشخاص نبوة النبي أو إمامة الإمام عن طريق تجميع القرائن فقط، كما يظهر ذلك بشكل جلي من رواية دحية الكلبي قال: بعثني رسول الله ﷺ بكتاب إلى قيصر، فأرسل إلى الأسقف فأخبره بمحمد ﷺ وكتابه فقال: هذا النبي الذي كنا ننتظره، بشرنا به عيسى بن مريم.

فقال الأسقف: أما أنا فمصدقته ومتبعه. فقال قيصر: أما أنا إن فعلت ذلك ذهب ملكي. ثم قال قيصر: التمسوا لي من قومه ها هنا أحدا أسأله عنه.

وكان أبو سفيان وجماعة من قريش دخلوا الشام تجارا فأحضرهم، قال: ليدنُّ مني أقربكم نسبا به. فأتاه أبو سفيان فقال: أنا سائل عن هذا الرجل الذي يقول: إنه نبي. ثم قال لأصحابه: إن كذب فكذبوه.

قال أبو سفيان: لولا الحياء أن يأتُر أصحابي عني الكذب لأخبرته بخلاف ما هو عليه.

(١) الملاحم والفتن لابن طاووس: ٢٩٥ و٢٩٦.

فقال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد؟ قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل؟ قلت: لا.

قال: فأشرف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم؟ قلت: ضعفاؤهم.

قال: [فهل] يزيدون أو ينقصون؟ قلت: يزيدون.

قال: يرتد أحد منهم سخطاً لدينه؟ قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟ قلت: لا.

قال: فهل قاتلكم؟ قلت: نعم.

قال: فكيف حربكم وحربه؟ قلت: ذو سجال، مرة له، ومرة عليه.

قال: هذه آية النبوة. قال: فما يأمركم؟ قلت: يأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصوم والعفاف والصدق وإداء الأمانة والوفاء بالعهد.

قال: هذه صفة نبي، وقد كنت أعلم أنه يخرج ولم أظن أنه منكم، فإنه يوشك أن يملك ما تحت قدمي هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقياه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه.

وإن النصارى اجتمعوا على الأسقف ليقتلوه فقال: اذهب إلى صاحبك فاقرأ عليه سلامي، وأخبره أنني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن النصارى أنكروا ذلك علي. ثم خرج إليهم فقتلوه.^(١)

كما وقعت الكثير من الحوادث بين الأئمة عليهم السلام وأعدائهم ممن ينكرون فضلهم

(١) الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي ج ١ ص ١٣١ - ١٣٢ ح ٢١٧

فضلاً عن إمامتهم، ولكن ما إن يروا دماثة خلقهم حتى يحكمون بإمامتهم، منها ما روي أنه قال نصرانيٌّ للإمام الباقر عليه السلام: «أنت بقرٌ! قال: أنا باقرٌ. قال: أنت ابنُ الطَّبَّاحِ! قال: ذاك حِرْفَتُهَا. قال: أنت ابنُ السُّوداءِ الزُّنْجِيَّةِ البِدْيَةِ! قال: إن كُنتَ صَدَقْتَ غَفَرَ اللهُ لها، وإن كُنتَ كَذَبْتَ غَفَرَ اللهُ لَكَ. قال: فَاسْلَمَ النَّصْرَانِيُّ»^(١).

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٣٧.

النقطة الثالثة:

أدلة وجوب التنصيب الإلهي

عرفنا أنّ الإمامية يقولون بنظرية النص، فما هو الدليل على وجوب جعل الإمام من الله ﷺ؟

وفي مقام الجواب استند الإمامية على عدة أدلة، ومنها التالي:

الدليل الاول: دليل اللطف:

وهو الدليل المشهور عند الإمامية، وخلاصته: أنّ نصب الإمام لطفٌ، وهذه هي الصغرى، وأما الكبرى: فاللطف واجبٌ على الله ﷻ، والنتيجة: أنّ جعل الإمام واجبٌ على الله ﷻ، وكما تقدم أنّ هذا الوجوب ليس من الخارج، أي لا توجد قوة خارجية هي التي أوجبت على الله ﷻ اللطف، بل إنه هو ﷻ من أوجبه على نفسه؛ إذ إنه من الصفات الكمالية.

ودليل الصغرى (إنّ تنصيب الإمام لطفٌ)، دليلٌ وجداني؛ إذ إنّ كلّ واحد منا يحكم وجداناً بأنّ وجود الإمام بين الناس أمرٌ يقرب الرعية من الطاعة ويبيدهم عن المعصية، وأنّ الإمام الكامل في صفاته ومن لديه علمٌ لدي، يكشف بعض الحقائق، فهو مفسر للقرآن الكريم، يقضي بين الناس بالحق، يحل نزاعاتهم و...، وكل ذلك من شأنه أن يجزّ الناس إلى الطاعة ويبيدهم عن المعصية، وهذا هو اللطف.

وأما دليل الكبرى (وجوب اللطف على الله ﷻ)؛ فقد تقدم أنّ اللطف من الصفات الكمالية التي يتصف بها واجب الوجود، وأنّ عدمها يعني أنّ الله ﷻ يعلم بعدم إمكانية

العبيد من الوصول إلى طاعته، إلا بمعونة هذا اللطف، ورغم ذلك لا يفعله، وهذا خلاف الكمال الإلهي، فيكون اللطف المقرب إلى الطاعة والمبعد عن المعصية واجباً. فضلاً عن أن اللطف في حد ذاته هو من الصفات الكمالية، وذات الله (جل شأنه) منبع كل كمال من جهة، فلا بد أن تكون قد اشتملت على هذه الصفة، وافتقارها إلى هذه الصفة نقص من جهة أخرى، فلا بد أيضاً من اشتغالها عليها.

الدليل الثاني: الإمام المَجْعُول من الله ﷺ يمثل الحل الأمثل والأصلح للمجتمع:

لو وازننا بين أن نتولى نحن اختيار الإمام وبين أن يختاره الله ﷺ، لكان الأفضل والأصلح جزءاً هو أن يتولى الله ﷺ ذلك، وفعل الأصلح واجبٌ على الله ﷺ عقلاً؛ لأنه هو ما يليق بساحة الكمال الإلهي، فإن لم يفعل، فإن الأمر لا يخلو إما أن يكون لجهل أو لبخلٍ أو لعبثٍ أو لعجزٍ، والله (جل في علاه) منزّه عن كل هذه النقائص، فثبت أن الله ﷺ دوماً يفعل الأصلح، وقد تقدم أن تنصيب الإمام أصلح، فتعين أن الله ﷺ هو من يتولى تنصيب الإمام.

الدليل الثالث: تنصيب الإمام مهمة الله ﷺ وحده:

تقدم أن الإمام لا بد أن يكون معصوماً؛ لشريطة العصمة في الإمامة، والعصمة أمرٌ خفي لا يمكن أن يدركه الناس بحواسهم، ولا يستطيعون أن يُحرزوه في شخصٍ ما مهما بذلوا من جهود؛ لانحصار تعاملهم مع الآخرين ضمن دائرة الظاهر المحسوس، وأما ما خفي عنهم من باطن فهو خارج تكليفهم، بل وخارج مقدورهم أيضاً. ومن ثم يكون تكليفهم بتنصيب الإمام تكليفاً بما لا يُستطاع، وبما هو أزيد من الوسع والقدرة؛ لأن الناس لا يستطيعون أن يدركوا المعصوم بطرقهم الاعتيادية، وحيث إن الله ﷺ لا يُكلف الناس بما لا يُطيقون، قال ﷺ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١)؛ لذا فقد

أعفاهم من هذا التكليف، وتولاه بنفسه (سبحانه وتعالى)، وبذا تنتهي إلى أن تنصيب الإمام مهمة الله ﷻ وفعله وهو المطلوب.

فإن قيل: إن ذلك يتعارض مع ما قدمتموه في أن تجميع القرائن طريقاً من طرق كشف الإمام؟

فيقال: لم نقل إن ذلك الطريق متاح للجميع، بل هو لفئة خاصة ممن يدعون للحق فور معرفته، ولا تحول دون ذلك أية شبهات أو أهواء.

كما سيأتي أيضاً إمكانية تشخيص الإمام من قبل العقلاء الذين يحسنون استخدام العقل، وكانت أنفسهم مجردة من الأهواء؛ وذلك عبر تتبع سلسلة مقدمات تشير نيتها إلى الإمام بعينه، ولكن يبقى هذا الطريق مقتصرًا على البعض، وبالتالي فلا تعارض بينه وبين ما ذهبنا إليه من أن تنصيب الإمام مهمة إلهية؛ لتعذر تكليف الناس بها.

إشارات:

الإشارة الأولى: إن النص على الإمام يوفر لنا بعدين مهمين:

الأول: أن التعيين والتنصيب أمر خاص بالله ﷻ

وهذا البعد يكشف لنا عن أن قضية تعيين الإمام لم تفوض إلى النبي ﷺ، فضلاً عن الأمة وقبول سياسة الأمر الواقع، قال ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (١).

الثاني: أن التنصيب الإلهي لإمام ما كاشف عن مؤهلاته الخاصة وأهمها: العصمة والعلم الخاص.

فالنص الإلهي الذي ينصب الأئمة عليهم السلام يوفر لنا الكشف عن ذواتهم الطاهرة، ويكشف لنا عن أن هذا الإمام الذي نصَّ الله ﷻ على إمامته هو مؤهلٌ تمام الأهلية لأن يكون إمامًا ووليًّا لله ﷻ على الناس، ومن أهم تلك المؤهلات التي يكشفها لنا النص الإلهي: العصمة والعلم الخاص الذي يتمتع به الإمام.

ومن هنا يتضح ما أشرنا إليه سابقًا من أن واحدًا من طرق كشف النص الإلهي هو جمعُ القرائن، وبيانُه:

أنا تارة ننظر من جهة النص إلى الإمام، فينكشف لنا أن الإمام معصومٌ وله علمٌ خاص.

وتارةً أخرى ومن دون نصٍ ولا رواية، نجتمعُ القرائن عن شخصٍ ما فتقودنا إلى أن ذلك الشخص هو الإمام، كما لو وجدنا أن لديه من العلم ما ليس لغيره، أو جاء بما يعجز عنه البشر عادةً من معجزات، أو وجدناه على درجة عالية جدًا من الخلق الرفيع مما لا يتوفر عند سائر البشر عادةً، فتتوقع عصمته.

والكشف بالقرائن عن الإمام هو كشفٌ إنِّي عن وجود النص، أي كشف المعلول عن علته، وهذا هو معنى الدليل العقلي.

ومن هنا يمكن أن نفهم حديث أبي ذر (رضوان الله عليه) عن النبي الأكرم ﷺ:
«من استعمل غلامًا في عصابة فيها من هو أَرْضَى اللهُ مِنْهُ، فَقَدْ خَانَ اللهُ».^(١)

حيث ذكر صاحب البحار هذا الحديث في باب أن الإمامة لا تكون إلا بالنص^(٢)، وأنت ترى أنه لا نص في هذا الحديث على إمامة الأئمة عليهم السلام، وهذا يعني أن ذكره في هذا الباب إشارة إلى أن النص ليس مجهول الملاك، وإنما الملاك فيه هو توفر الأئمة على

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٢١.

(٢) بحار الأنوار - ج ٢٣ - ص ٧٥.

كالمات كانوا بها أرضى الله تعالى من غيرهم، أهلتهم لمنصب الإمامة والولاية، ولذلك كانت تنصيب المفضول مع وجود الفاضل خيانة لله تعالى، وهذا ما يُدركه العقلاء بمتابعة سيرة أهل البيت عليهم السلام.

الإشارة الثانية: هل يمكن للعقل أن يُدرك الإمام الحق؟

نعم يمكن للعقل ذلك، عن طريق جمع القرائن - كما تقدّم -، ولكن ليس أيّ عقلٍ - كما تقدمت الإشارة إلى ذلك أيضًا -، بل هو طريق خاص لفئةٍ خاصةٍ من الناس، وهي تلك الفئة التي كملت عقولها بما يكفي لهذه المعرفة، وخلت نفوسها من الأهواء والشبهات، فنظروا بعين الواقع وطبقوا ما يرونه على أحكام العقل، حتى نتج لهم أنّ هذا هو الإمام.

فطريق العقل إذاً طريقٌ خاص، ولذا احتيج إلى طريقٍ عام في تعيين الإمام، يستعين به كافة الناس عالمهم وجاهلهم، ولا يحتاج إلى تكلف العناء والبحث والمقدمات، وهو النص الإلهي.

وعلاوةً على ذلك، فإنّ النص الإلهي يمتاز عن العقل بوجهين آخرين، وهما:

الوجه الأول: مقام المولوية.

إنّ تعيين العقل وإن صدر من كُملّ العقلاء، فإنّه يبقى أقل مرتبةً من النص الإلهي في الجانب الإلزامي؛ لافتقاره إلى ما يتمتع به النص الإلهي من مقام المولوية والألوهية. فيبقى حكم العقل حكمًا راجحًا وحسنًا، إلا أنّه ليس بواجبٍ شرعًا، مما يُقلل من عزم المكلف على الإتيان به، ويُدخل في نفسه التراخي عن الامتثال إليه، بخلاف الحكم المولوي الذي يبثُّ في نفس المكلف روح الإلزام، ويدعوها بعزم إلى الامتثال إليه.

وكمثال على ذلك: فإنّ الإحسان إلى اليتيم هو أمرٌ حسنٌ بحكم العقل، لكن لا

ضير في مخالفته، على حين لو كان الإحسان إلى اليتيم واجباً، فلا تجوز مخالفته شرعاً، وعليه فإنَّ حكم العقل في أمرٍ ما وإنَّ كانت له قوة الحسن والرجحان، إلا أنَّ النصَّ الإلهي إنَّ وافقه فيه، فإنَّه يزيده قوةً إلى قوته.

الوجه الثاني: النصَّ الإلهي يكشف جميع المقامات.

إنَّ العقل له القدرة على كشف بعض المقامات التي يتمتع بها الإمام، أما النصَّ الإلهي فيكشف عن جميعها، ما يمكن للعقل أن يصل إليها وما لا يمكنه بمفرده.

فمقام علم الإمام الخاص الذي لا يجهل معه شيئاً ما، ومقام كلِّ من الولاية التكوينية والتشريعية، لا يمكن للعقل كشفها بمفرده، وكذلك مقام الشهادة على الأعمال، وأنَّ صحف الناس ترفع إليه مثلاً، وفي النصف من شعبان وليلة القدر حسب ما ورد في الروايات التي فسرت قول الله ﷻ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

بخلاف النصَّ الإلهي، الذي يكشف كل ذلك وأكثر.

إذن العقل حتى وإنَّ كان قادراً على استكشاف ما يُفیده النصَّ الإلهي بخصوص التنصيب، لكنَّه لا يُلغي دور النص؛ لأنَّ النصَّ يمثل:

١/ أمراً مولوياً يُضيف قوةً إلى قوة الواقع الذي يستكشفه العقل.

٢/ وسيلةً عامةً لكلِّ الناس، وليس كالعقل الذي هو وسيلةً خاصةً للكشف.

٣/ كاشفاً عن كلِّ المقامات الكمالية للإمام، بخلاف حكم العقل الذي لا يمكنه

ذلك لو خُلِّي وحده.

الإشارة الثالثة : لماذا لم يُذكر اسم الامام عليّ عليه السلام في القرآن؟

يستبطن هذا السؤال الإشارة إلى أن إثبات الخلافة بالنص لأمير المؤمنين عليه السلام، إنّما هو فرعٌ ذكر اسمه عليه السلام صراحةً في القرآن الكريم، ومن ثم فإنّه يحصر مسألة النص بلفظ القرآن الكريم الصريح.

يمكننا تقديم عدة أجوبة عن هذا السؤال، يصلح كلُّ منها أن تكون جوابًا بمفرده، فإن اتسم المقابل بالعناد كما هي عادتهم، تكون هذه الأجوبة بمجموعها ردًا قاطعًا:

الجواب الأول: يستبطن هذا السؤال القول إنّ العقيدة لا يمكن أن تُقبل إلا إذا ذُكرت صريحًا في القرآن الكريم، وهذا الرد أضحى وكأنه قاعدةٌ يتمسك بها المخالفون لاسيما السلفية الوهابية في أي نقاش ديني، فما إن تشرع معه في نقاشٍ حتى يبادر إلى مطالبتك بآية.

والرد عليه سهلٌ يسير، وهو أن نقول له: ما هو الدليل الصريح من القرآن الكريم على صحة هذه القاعدة؟

ولمّا لم يكن هناك نصٌّ صريحٌ على تلك القاعدة، فإنّهم سيحاولون الاستناد على دليلٍ روائي، حينئذٍ يمكننا نحن أيضًا أن نحتج بالروايات؛ إذ طالما صحَّح أن تكون لهم حجة، فهي كذلك بالنسبة إلينا.

وها هي ذي كتب الحديث ومن الفريقين أيضًا فيها ما فيها من الروايات التي تدل على أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الخليفة وهذا يكفي.

الجواب الثاني: مطالبتهم بآية تتضمن اسم أمير المؤمنين عليه السلام كدليلٍ على خلافته، إنّما يهدفون من ورائها إلى الحصول على دلالةٍ نصيةٍ قطعية على أن الخلافة لا تكون إلا بالنص.

وقد غاب عن أذهانهم أو ربها غيبوه، أنّ تحصيل القطع منهجيًا لا يتوقف على ذكر

الاسم الصريح؛ لأن الكناية أبلغ من التصريح كما قالت العرب، أي إن الكناية أكثر دلالة في الوصول إلى المقصود من التصريح، وكمثال على ذلك، فإن قولك: فلان كثير الرماد، أكثر دلالة على كرمه من قولك: فلان كريم؛ لأن كثرة الرماد لم تحصل إلا لكثرة ما يقدمه إلى ضيوفه من طعام.

وعليه فإن مسألة النص على ولاية خصوص أمير المؤمنين عليه السلام لا تتوقف على ذكر اسمه في القرآن الكريم.

الجواب الثالث: يقرر القرآن الكريم أن الله تعالى قد فوض إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مهمة بيان وتفسير الأمور والتعاليم الدينية الضرورية، يقول صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

وفي آية أخرى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

وإنما جاء هذا التفويض له صلى الله عليه وآله؛ لأن القرآن الكريم لم يفتح للجميع أن يفهموه حق فهمه، فلا بد له من مبيّن، ومبيّنه من نزل عليه، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ومن ثم إذا عرض علينا أمر ديني مهم فلا بد من أن نرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وما تقدّم إنّما هي كبرى الجواب.

وأما صغراه: فالأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله التي تنص على تنصيب أمير المؤمنين من قبله عليه السلام.

وهذا ما قام به الشيخ المظفر (طيب الله ثراه) في عبارة الكتاب، إذ ذكر بعض الأحاديث الثابتة في كتب الفريقين والواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله التي تذكر بكل صراحة

(١) النحل ٤٤

(٢) الجمعة ٢

تنصيب الإمام علي عليه السلام للخلافة.

ثم إن السؤال عن أنه «لماذا لم يذكر اسم علي عليه السلام في القرآن الكريم؟» ليس وليد الساعة، بل طرح على الأئمة عليهم السلام من قبل، وقد أجابوا عنه بأجوبة من ضمنها هذا الجواب الثالث.

ففي رواية عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) فقال: «نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام».

فقلت له: إن الناس يقولون: فما له لم يُسمَّ علياً وأهل بيته عليهم السلام في كتاب الله تعالى؟ قال: فقال عليه السلام: قولوا لهم:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله نَزَلَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَلَمْ يُسَمَّ اللَّهُ هُمْ ثَلَاثًا وَلَا أَرْبَعًا حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ وَلَمْ يُسَمَّ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا دِرْهَمٌ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَلَ الْحُجُّ فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ طُوفُوا أَسْبُوعًا حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ وَنَزَلَتْ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وَنَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي عَلِيٍّ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، وَقَالَ عليه السلام: أَوْصِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِي، فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ تعالى أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُورِدَهُمَا عَلِيٌّ الْحَوْضَ فَأَعْطَانِي ذَلِكَ، وَقَالَ: لَا تَعَلَّمُوهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ.

وقال: إِيَّاهُمْ لَنْ يُحْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدَى وَلَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ، فَلَوْ سَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَلَمْ يَبَيِّنْ مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ لَادَّعَاهَا أَلْ فُلَانٍ وَأَلْ فُلَانٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تعالى أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ تَصَدِيقًا لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً^(١)، فَكَانَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَفَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلًا وَثَقَلًا، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَثَقَلِي.

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي وَثَقَلِي. فَكَمَا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلِيٌّ أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ، لِكَثْرَةِ مَا بَلَغَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِقَامَتِهِ لِلنَّاسِ وَأَخْذِهِ بِيَدِهِ...»^(٢).

الجواب الرابع: هناك مجموعة من الآيات التي لا يمكن أن تُفسر إلا بالأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لكنها نزلت بمواصفاتهم لا بأسمائهم. وذكر الفرد بصفاته المختصة به والتي لا يمكن أن تنطبق على غيره أبداً بمنزلة ذكر الاسم، بل أبلغ في الدلالة عليه، كآية المودة وآية التطهير وآية التصديق حال الركوع وآية المباهلة وآية التبليغ وغيرها عشرات الآيات التي لا تنطبق إلا على أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

الجواب الخامس: يُقرر القرآن الكريم أن الأمة ستتم بحالة من الانقلاب على العقب بعد وفاة النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣).

وقد ظهرت بوادر هذا الانقلاب في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتي كان آخرها قولهم: «إن النبي أو الرجل يهجر أو غلبه الوجع!»^(٤)

(١) الأحزاب ٣٣

(٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٨٨ باب ما نصَّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورَسُولُهُ عَلَى الْأئِمَّةِ عَ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ح ١.

(٣) آل عمران ١٤٤

(٤) انظر: مسند أحمد ج ١ ص ٣٢٥ و ج ١ ص ٣٥٥ وصحيح البخاري ج ١ ص ٣٧ و ج ٥ ص ١٣٨

وهذه المقدمة الأولى.

والقرآن الكريم قد أخبر أن القرآن سيكون محفوظاً من التحريف، فقال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

وهذا الحفظ جاء بوسائل عادية ومادية وشهودية بالإضافة إلى بعض الوسائل الغيبية والإعجازية في القرآن الكريم. وهذه المقدمة الثانية.

وأما المقدمة الثالثة: فلا يشكك أحد بوجود أعداءٍ أظهروا عداوتهم للإمام علي عليه السلام في حياة الرسول ﷺ فضلاً عما بعد وفاته.

وعليه، ألا يُحتمل أن يتعرض القرآن الكريم إلى التحريف فيما لو كان قد صرح باسم الإمام علي وأولاده عليه السلام في آياته؟!

كما لو قام أولئك الذين أخبر القرآن عن انقلابهم على أعقابهم - وهم أعداء الإمام علي عليه السلام - بتحريف تلك الآيات التي صرّحت باسمه وباسم أولاده.

وهذا ليس بالأمر المحتمل أو المظنون به، بل من المؤكد ومما لا شك فيه، بدليل أنهم - كما في بعض رواياتنا - كانوا يرفضون تفسير الإمام علي عليه السلام للآيات رغم صحة تفسيره وإخبارهم أنه تفسير الرسول ﷺ، فمن باب أولى أن يُحرفوا الآيات التي يُذكر فيها اسمه واسم أولاده (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) إما بالحذف أو التغيير.^(٢)

لذا كان عدم ذكر الله ﷻ أسماء الأئمة عليهم السلام في القرآن الكريم هو سببٌ من أسباب

وج ٨ ص ١٦١ و صحيح مسلم النيسابوري ج ٥ ص ٧٦ وغيرها من مصادر العامة.

(١) الحجر ٩.

(٢) في علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٥٣١ باب ٣١٥ ح ١: عن أبي إسحاق الإرجاني رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أندري لم أمرتم بالأخذ بخلاف ما تقول العامة؟ فقلت: لا ندري، فقال: ان علياً لم يكن يدين الله بدين الا خالف عليه الأمة إلى غيره إرادة لإبطال أمره، وكانوا يسألون أمير المؤمنين عليه السلام عن الشيء الذي لا يعلمونه فإذا أفتاهم جعلوا له ضدًا من عندهم ليلبسوا على الناس».

حفظه من التحريف.

الجواب السادس: يقرّر القرآن الكريم مبدأ ابتلاء الناس في الدنيا في آيات كثيرة، قال تعالى ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(١).

وقال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٢).

ومنهجية البلاء والاختبار يضعها الله ﷻ حسب ما يراه من الحكمة.

فما المانع إذاً من أن تكون قضية الإمامة من اختبارات وابتلاءات الأمة؛ لتمحيص المؤمنين، فلربما لو ذُكر اسم الإمام علي ﷺ صراحةً في القرآن الكريم، لم يتحقق ذلك الاختبار، فيكون إخفاء التصريح بالاسم واحداً من الابتلاءات التي أرادها الله (جل جلاله) للمسلمين.

الجواب السابع: إن نظرية الإمامة نظرية قرآنية بكل ما يرتبط بها من التنصيص عليها، وشرطية العصمة فيها، واختصاصها بالولايتين التشريعية والتكوينية، والعلم الخاص اللدني، ولكن رغم ذلك لو تنزلنا وسلّمنا جدلاً بأن القرآن الكريم لم يُشر إليها من قريب ولا من بعيد، فإنه تبقى لدينا أحاديث النبي ﷺ المتواترة الكثيرة التي صرّحت بإمامته وإمامة أولاده من بعده.

ألا تورث كل هذه الأحاديث الكثيرة والروايات الوفيرة التي دلّت على إمامته ﷺ بالقطع وبالتواتر وضوحاً لا يُمكن إنكاره إلا من المكابر المعاند؟!

الجواب الثامن: المنفي عن القرآن الكريم هو التحريف، وأما القراءات المختلفة

(١) العنكبوت ٢.

(٢) البقرة ٢١٤.

من قبيل كلمة (هيت) في قوله ﷺ: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾^(١)، فإنها تُقرأ (هيت) و(هيت) أي بفتح الهاء وكسرها، فلا تعدُّ كذلك؛ لذا لم ينكرها الخاصة ولا العامة.

وقد صرّحت بعض القراءات بذكر اسم الإمام علي ﷺ في القرآن الكريم، فوفق تعدد القراءات، فإنه توجد عدة آيات صرّحت باسم علي ﷺ وفق بعض القراءات، ومنها التالي:

١/ ما ورد في قراءة أخرى لقوله تعالى ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٢) حيث قرئ بلفظ (صراطٌ عليّ).

روي عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله ﷺ: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٣) قال: «هو والله علي، هو والله علي الميزان والصراط»^(٤).

«وروى الصادق، عن أبيه، عن جده ﷺ قال: «قال يوما الثاني لرسول الله ﷺ: إنك لا تزال تقول لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، فقد ذكر الله هارون في أم القرآن ولم يذكر عليًا، فقال: يا غليظ يا جاهل، أما سمعت الله سبحانه يقول: هذا صراطٌ عليّ مستقيم.»

موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده ﷺ: «هذا صراطٌ عليّ مستقيم. وقرئ مثله في رواية جابر».

أبو بكر الشيرازي، في كتابه بالإسناد، عن شعبة، عن قتادة قال: «سمعت الحسن البصري يقرأ هذا الحرف: هذا صراط علي مستقيم، قلت: ما معناه؟ قال: هذا طريق

(١) يوسف: ٢٣.

(٢) الحجر ٤١.

(٣) الحجر ٤١.

(٤) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٥٣٢ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص ٢٢٦.

علي بن أبي طالب، ودينه طريق دين مستقيم، فاتبعوه وتمسكوا به فإنه واضح لا عوج فيه. (١)

٢ / عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، في خبر: «أن إبراهيم عليه السلام كان قد دعا الله أن يجعل له لسان صدق في الآخرين، فقال الله تعالى: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (٢) يعني علي بن أبي طالب عليه السلام. (٣)

٣ / في التهذيب في دعاء الغدير: «وأشهد أنه الإمام الهادي المهدي الرشيد أمير المؤمنين الذي ذكرته في كتابك، وإنك قلت: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ (٤)» (٥) ومن الروايات التي ذكرت أن اسم علي عليه السلام قد ذكر صريحًا في القرآن الكريم:

عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: «هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ (٦) وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٧).

(١) انظر بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٥ ص ٥٩. هذا وقد ذكرت عدة آيات بهذا المعنى، يمكن مراجعة المصدر لمطالعتها.

(٢) مريم ٤٩ و ٥٠.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٠٢ وعنه البحار ج ٣٥ ص ٥٩ والبرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني ج ٣ ص ٧١٧.

(٤) الزخرف ٤.

(٥) التهذيب للشيخ الطوسي ص ٧٤٨، وذكره أيضًا في مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٠٢. والمزار لمحمد بن جعفر المشهدي ص ٢٨٧ وغيرها.

(٦) الزخرف ٤.

(٧) معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص ٢٣.

وعن محمد بن علي بن جعفر قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «قال أبي عليه السلام وقد تلا هذه الآية ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾^(١)، قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام». ^(٢)

العلاء، قال: «سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾. قال: هو أمير المؤمنين علي عليه السلام أوتي الحكمة وفصل الخطاب وورث علم الأولين وكان [أي اسم علي] اسمه في الصحف الأولى وما أنزل الله تعالى كتابا على نبي مرسل إلا ذكر فيه اسم رسوله محمد صلى الله عليه وآله واسمه وأخذ العهد بالولاية له عليه السلام». ^(٣)

وفي المزار لابن المشهدي في زيارته عليه السلام: «السلام على أمين الله في أرضه وخليفته في عباده، والحاكم بأمره، والقيم بدينه، والناطق بحكمته، والعامل بكتابه، أخي الرسول، وزوج البتول، وسيف الله المسلول، السلام على صاحب الدلالات والآيات الباهرات والمعجزات القاهرة، المنجي من الهلكات، الذي ذكره الله في محكم الآيات، فقال تعالى ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾».

وفي زيارته عليه السلام الأخرى: «السلام عليك أيها النبا العظيم، السلام عليك يا من انزل الله فيه: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾، السلام عليك يا صراط المستقيم».

وفي دعاء يوم الغدير: «وأشهد أنه الإمام الهادي الرشيد أمير المؤمنين الذي ذكرت في كتابك فإنك قلت وقولك الحق ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾».

وعن أبي عبد الله عليه السلام وقد سأله سائل عن قول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾. قال: «هو أمير المؤمنين».

(١) الزخرف ٤.

(٢) الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ج ٢ ص ٨٩٤.

(٣) شرح الأخبار للقاظمي النعمان المغربي ج ١ ص ٢٤٤.

والخلاصة :

أنَّ السؤال عن عدم ذكر اسم الإمام علي وأولاده عليه السلام في القرآن هو سؤالٌ يفتقر إلى الصحة والمنهجية، فإن قبلناه، فما تقدّم من أجوبة تكفي في الرد عنه.

الإشارة الرابعة : نظرية التنصيب أمر متصور لدى المسلمين منذ صدر الإسلام.

عندما نرجع إلى العصر الأول للإسلام، عصر وجود رسول الله صلى الله عليه وآله وما بعده بقليل، نجد أن المسلمين قد أخذوا تصورًا واضحًا بأن الإمامة والخلافة لا بد أن تكون بالنص، وأنه لا يُتصور لراع حكيم أن يترك رعيته من دون أن يجعل عليهم وليًا من بعده يُسيّر أمورهم بما يصبُّ في صالحهم، والروايات التي نقلت لنا هذا التصور كثيرةٌ نذكر منها:

١/ روي أنه صلى الله عليه وآله أتى بني عامر فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم: «أرأيت إن نحن تابعناك فأظهرك الله على من خالفك، أيقون لنا الأمر من بعدك؟ قال صلى الله عليه وآله: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. قال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك!». (١)

٢/ وروي أيضًا أنه صلى الله عليه وآله «بعث سليط بن عمرو العامري... إلى هوزة بن علي الحنفي يدعوهُ إلى الإسلام، وكتب معه كتابًا، فقدم عليه وأنزله وحباه وقرأ كتاب النبي صلى الله عليه وآله، وردّ ردًّا دون رد، وكتب إلى النبي صلى الله عليه وآله: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك. وأجاز سليط بن عمرو بجائزة وكساه أثوابًا من نسج هجر، فقدم بذلك كله على النبي صلى الله عليه وآله وأخبره عنه بما قال، وقرأ كتابه، وقال صلى الله عليه وآله: لو سألتني سيابة من الأرض ما فعلت، بادَ وبادَ ما في يديه، فلما

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٩٣ (واللفظ له) وتاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري

انصرف من عام الفتح، جاءه جبريل فأخبره أنه قد مات»^(١).

وفي رواية ابن الأثير:

«وأما هودّة بن علي، فكان ملك اليمامة، فلما أتاه سليط بن عمرو يدعوه إلى الإسلام وكان نصرانياً أرسل إلى النبي ﷺ وفداً فيهم مُجاعة بن مرارة والرجّال بن عُنفوة يقول له: إن جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره، وإلا قصد حربته. فقال رسول الله ﷺ: لا، ولا كرامة، اللهم اكفنيه، فمات بعد قليل»^(٢).

٣/ استخلاف عثمان بن عفان عن طريق الشورى بين ستة أشخاصٍ عيّنهم عمر بن الخطاب، فضلاً عن قيام أبي بكر بتعيين عمر خليفةً له، يدلُّ على أن تنصيب الخليفة كان أمراً مرتكزاً في الأذهان، وأن مسألة الخلافة يجب أن تكون عن طريق الجعل والتعيين. ومن المفارقات أن من المناقب التي ذكرها القوم لأبي بكر أنه لم يترك الأمة من بعده بلا راعٍ؛ إذ عيّن عمر بن الخطاب للخلافة في عهدٍ كتبه عثمان بن عفان، فإن كان عمر قد تفتّن إلى هذا الأمر حتى كُتب من مناقبه، فكيف لم يتفتن له النبي الأكرم ﷺ، وترك الأمة من بعده بلا راعٍ؟

٤/ أن عائشة قالت لابن عمر: «يا بني، أبلغ عمر سلامي، وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راعٍ، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة، فأتى عبدُ الله فأعلمه، فقال: ومن تأمرني أن أستخلف؟ لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح باقياً استخلفته ووليته، فإذا قدمت على ربي فسألني وقال لي: من وليت على أمة محمد؟ قلت إي ربي، سمعت عبدك ونيك يقول: «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته، فإذا قدمت على ربي فسألني: من

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٦٢.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٥.

وليت على أمة محمد؟ قلت: إي ربي، سمعت عبدك ونبيك يقول: «إن معاذ بن جبل يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة». ولو أدركت خالد بن الوليد لوليتته، فإذا قدمت على ربي فسألني: من وليت على أمة محمد؟ قلت إي ربي، سمعت عبدك ونبيك يقول: «خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله على المشركين»، ولكنني سأستخلف النفر الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض، فأرسل إليهم فجمعهم...»^(١).

٥/ عن ابن عمر قال: «دخلت على حفصة، فقالت: أعلمت أن أباك غير مستخلف؟! قال: قلت: ما كان ليفعل. قالت: إنه فاعل. قال: فحلفت أني أكلمه في ذلك، فسكت حتى غدوت ولم أكلمه، قال: فكنت كأنما أحمل بيمينني جبلاً حتى رجعت فدخلت عليه، فسألني عن حال الناس وأنا أخبره. قال: ثم قلت له: إنني سمعتُ الناس يقولون مقالة، فأليت أن أقولها لك: زعموا أنك غير مستخلف، وأنه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم، ثم جاءك وتركها، رأيت أن قد ضيِّع، فرعاية الناس أشد...»^(٢).

٦/ وعن كان يتبنى هذه النظرية أيضاً معاوية بن أبي سفيان، وأنه كان يرى أن عدم تنصيب خليفة من بعده يؤدي إلى ضياع الأمة، فقال لابن عمر: «إني كرهت أن أدع أمة محمد بعدي كالضأن لا راعي لها»^(٣).

الإشارة الخامسة: علة جعل الإمامة في ذرية الإمام الحسين دون الإمام الحسن عليه السلام؟
 مما هو معلومٌ في مدرسة أهل البيت عليهم السلام أنَّ الإمام الحسن عليه السلام أكبر من الإمام الحسين عليه السلام، وأنه أفضل منه أيضاً حسب بعض الروايات، فلماذا صارت الإمامة في ذرية الإمام الحسين عليه السلام دون الإمام الحسن عليه السلام؟ لاسيما أن هذا الأمر يُضفي خصوصية

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري (تحقيق الزيني) ج ١ ص ٢٨.

(٢) صحيح مسلم النيسابوري ج ٦ ص ٥.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري (تحقيق الزيني) ج ١ ص ١٥٩.

للإمام الحسين عليه السلام تجعله أفضل من الإمام الحسن عليه السلام.

يحمل السؤال المتقدم نقطتين لأبَدَّ من تسليط الضوء عليهما عند الإجابة، أولاهما السؤال بعينه، والأخرى الملازمة بين خصوصية جعل الأئمة عليهم السلام في ذرية الإمام الحسين عليه السلام وبين الأفضلية، وهما ما سنجيب عنهما في نقطتين:

الأولى: تنصيب الإمام إلهي، والله تعالى لا يُسأل عن فعله.

في مقام الجواب عن السؤال، لأبَدَّ أن نذكر بأننا نتحدث وفقاً لنظرية التنصيب الإلهي، ومعه، فإنَّ أمر تنصيب الإمام مختصُّ فقط بالله (جلَّ في علاه)، وما من مخلوق له الحق في ذلك، ومن ثمَّ فليس لنا الحق في أن نسأله عن سبب جعل الإمامة في ذرية الإمام الحسن أو الحسين (سلام الله عليهما) طالما علمنا أن أفعاله عليه السلام كلها حسنةٌ وحكيمةٌ، والحكيم لا يُسأل عما يفعل.

وعليه فإنَّ هذا السؤال غير منهجي وغير صحيح من رأس، وهذا ما استفيد من روايةٍ للإمام الرضا عليه السلام عن محمد بن أبي يعقوب البلخي، قال: «سألت أبي محمد الرضا عليه السلام فقلت له: لأي علةٍ صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن عليه السلام؟ فقال الإمام الرضا عليه السلام: لأن الله عليه السلام جعلها في ولد الحسين ولم يجعلها في ولد الحسن والله لا يُسأل عما يفعل.^(١)

نعم، ورد في بعض الروايات الشريفة أن مسألة جعل الأئمة من ذرية الإمام الحسين عليه السلام هي مسألة تعويضٍ له عليه السلام عما قدّمه في سبيل الله عليه السلام، فقد ورد عن محمد بن مسلم قال: «سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد عليهم السلام يقولان: أن الله عليه السلام عوض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائئاً وراجعاً من عمره.

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق/ ج ١/ ص ٢٠٨ باب ١٥٦ ح ١٠.

قال محمد بن مسلم: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: هذا الجلال ينال بالحسين عليه السلام فماله في نفسه؟ قال: إن الله تعالى ألحقه بالنبى صلى الله عليه وآله فكان معه في درجته ومنزلته، ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (١).

الثانية: عدم الملازمة بين الخصوصية والأفضلية.

وأما افتراض السائل أن جعل الأئمة من ذرية الإمام الحسين عليه السلام يستلزم تفضيله على أخيه الإمام الحسن عليه السلام فهو افتراض عارٍ عن الصحة.

نعم، كون الأئمة عليهم السلام من ولد الإمام الحسين عليه السلام خصوصيةً خصَّ الله تعالى بها الإمام الحسين دون الإمام الحسن عليه السلام، ولكن لا ملازمة بين الخصوصيات والتفضيل، فيبقى للإمام الحسن عليه السلام مقام الأفضلية على الإمام الحسين عليه السلام رغم أن الأئمة من ذرية الأخير؛ يدلُّنا على ذلك ما لأمر المؤمنين عليهم السلام من خصوصياتٍ عظيمةٍ اختص بها دون رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنها أنه ولد في الكعبة دون الرسول صلى الله عليه وآله، وأنه أخو رسولٍ دونه أيضاً، وأنه زوج بنت رسولٍ دونه أيضاً، وأن ولديه إمامان دونه (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

كما استفيد معنى عدم الملازمة بين الخصوصية والأفضلية من روايات أهل البيت (سلام الله عليهم)، فقد روي عن هشام بن سالم قال: «قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: الحسن أفضل أم الحسين؟ فقال: الحسن أفضل من الحسين. [قال]: قلت: فكيف صارت الإمامة من بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل سنة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين عليهم السلام، ألا ترى أنها كانا شريكين في النبوة كما كان الحسن والحسين شريكين في الإمامة وإن الله تعالى جعل

النبوة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسى وإن كان موسى أفضل من هارون عليه السلام.

قلت: فهل يكون إمامان في وقت واحد؟

قال: لا إلا أن يكون أحدهما صامتاً مأموماً لصاحبه، والآخر ناطقاً إماماً لصاحبه،

فأما أن يكونا إمامين ناطقين في وقت واحد فلا.

قلت: فهل تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام؟

قال: لا إنها هي جارية في عقب الحسين عليه السلام كما قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي

عَقْبِهِ﴾^(١).

ثم هي جارية في الأعقاب وأعقاب الأعقاب إلى يوم القيامة.^(٢)

الإشارة السادسة: شبهة الإمامة بسن مبكرة:

من الثابت في المدرسة الإمامية أن بعض الأئمة قد تسلّم منصب الإمامة في سن مبكرة، كالإمام الجواد الذي صار إماماً في السابعة من عمره، والإمام الهادي الذي صار إماماً في الثامنة من عمره، والإمام المهدي الذي صار إماماً في الخامسة من عمره (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

بيد أن البعض استشكل على ذلك ومنهم من يُسمى به (أحمد الكاتب) وغيره؛ إذ

قالوا كيف يكون بعض الأئمة الذين ادعوا الشيعة أنهم أئمة وهم لا زالوا صبياناً؟!

يمكن الجواب عن هذا السؤال بطريقتين هما:

الأول: الجواب بطريق النقض:

كيف يُفسر المعتضون إتيان الله ﷻ النبوة لبعض الأنبياء حال صباهم، كما أتى

(١) الزخرف ٢٨.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٤١٧ باب ٤٠ ح ٩.

النبوة والحكم للنبي يحيى عليه السلام وهو صبي يقول الله ﷻ: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١)، بل كيف يُفسر جعل النبي عيسى عليه السلام نبياً وهو بعد في المهدي، قال ﷻ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٢).

فبنفس تفسيرهم لجعل الله ﷻ النبوة لبعض الأنبياء حال صباهم، يمكن تفسير جعله ﷻ الإمامة لبعض الأئمة حال صباهم.

الثاني: الجواب بطريق الحل:

ويمكن ذلك بعدة وجوه، إن لم يكف أحدها، فبمجموعها صالحة للجواب، وهي:
الأول: تقدّم مراراً أنّ الإمامة إنّما تكون بالجعل والنص الإلهي؛ لذا فإنّ هذا السؤال لا يكون منطقيّاً، إذ ما دام جعل الإمام تابعاً لإرادة الله ﷻ، وهو من فعله ﷻ، ونحن نعلم أنّ أفعاله ﷻ حكيمة لا لغو فيها ولا عبث، فلا يصح حينئذٍ أن نسأل لم جعل الله ﷻ الإمام الجواد عليه السلام مثلاً إماماً في هذا العمر.

الثاني: إنّ النص الإلهي له بعدان: أولهما، إنّ جعل الإمامة أمرٌ خاصٌّ بالله ﷻ، والثاني إنّ النص الإلهي يكشف عن مؤهلاتٍ موجودةٍ في الإمام تجعله مستحقاً لذلك المنصب، وبالتالي لا مانع أن يكون الإمام صغيراً في عمره طالما أنّه يمتلك تلك المقامات والكمالات الوجودية التي تؤهله لمنصب الإمامة.

الثالث: إنّ هذا السؤال إنّما يصدر ممن لا يعرف حقيقة الإمام، وعظم علاقته بالساء، فإنّ الإمام وإن كان بشراً مثلنا إلا أنّ علاقته بالساء تتجاوز الحدود الطبيعية للبشر من حيث الفهم والعلم والحكمة، وهذا ما تكشف عنه النقاشات والبحوث التي

(١) مريم ١٢.

(٢) مريم ٢٩ و ٣٠.

قام بها الإمام الجواد عليه السلام مثلاً مع يحيى بن أكثم وغيره من فقهاء البلاط العباسي في ذلك الوقت كما هو مذكور في الروايات الشريفة.

وكذلك ما كان يتمتع به الإمام الهادي عليه السلام من الفضائل والكمالات التي تبين تلك العلاقة الغيبية بالسماء، تلك الفضائل التي كانت للإمام الجواد والهادي (سلام الله عليهما) التي دعت أعداءهم إلى الإقرار بفضلهم وعلمهم، وبالتالي لا يصح أن نسأل كيف صار الإمام أماماً وهو لا زال صبيّاً.

الرابع: بالإضافة إلى ما تقدّم من أجوبة دينية، نضيف جواباً يتماشى مع الفكر المادي، مفاده:

من المسلّم به لدى الجميع وجود العباقرّة والنوابغ ممن هم صغار السن، بعمر ثلاث سنوات أو خمس، فلماذا لا يُعترض على هؤلاء العباقرّة كيف أصبحوا كذلك بهذا العمر الصغير؟!!

ولا شك أنّ الموحدين يبررونها على أنّ الله عز وجل وهب لهم عقلاً خارقاً، فلماذا لا يُبرر هذا الأمر جعل الإمامة لبعض الأئمة (سلام الله عليهم) في صغر سنهم؟!!

عقيدتنا في عدد الأئمة عليهم السلام

قال الشيخ رحمته الله:

«عقيدتنا في عدد الأئمة:

ونعتقد أنّ الأئمة الذين لهم صفة الإمامة الحقّة هم مرجعنا في الأحكام الشرعية المنصوص عليهم بالإمامة اثنا عشر إماماً، نصّ عليهم النبي صلّى الله عليه وآله جميعاً بأسمائهم، ثم نصّ المتقدّم منهم علي من بعده، على النحو الآتي:

١ - أبو الحسن علي أبي طالب (المرتضى) المتولد سنة ٢٣ قبل الهجرة والمقتول سنة ٤٠ بعدها.

٢ - أبو محمد الحسن بن علي (الزكي)، (٢ - ٥٠).

٣ - أبو عبد الله الحسين بن علي (سيد الشهداء)، (٣ - ٦١).

٤ - أبو محمد علي بن الحسين (زين العابدين)، (٣٨ - ٩٥).

٥ - أبو جعفر محمد بن علي (الباقر)، (٥٧ - ١١٤).

٦ - أبو عبد الله جعفر بن محمد (الصادق)، (٨٣ - ١٤٨).

٧ - أبو إبراهيم موسى بن جعفر (الكاظم)، (١٢٨ - ١٨٣).

٨ - أبو الحسن علي بن موسى (الرضا)، (١٤٨ - ٢٠٣).

٩ - أبو جعفر محمد بن علي (الجواد)، (١٩٥ - ٢٢٠).

١٠ - أبو الحسن علي بن محمد (الهادي)، (٢١٢ - ٢٥٤).

١١ - أبو محمد الحسن بن علي (العسكري)، (٢٣٢ - ٢٦٠).

١٢ - أبو القاسم محمد بن الحسن (المهدي)، (٢٥٦ - ...). وهو الحجة في عصرنا الغائب المنتظر ﷺ، ليملاً الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً. انتهى.

قد حسب الشيخ ﷺ لكل كلمة من هذه الكلمات حساباً، وفي كل منها كان له مغزى.

فالإمامة الحقة:

هي الإمامة التي تكون بتنصيب من الله ﷻ، لا من البشر، لا بالشورى ولا بالقوة ولا غيرها مما تقدم من طرق الوصول إلى الحكم وفقاً لنظرية الأمر الواقع.

وهم مرجعنا في الأحكام الشرعية:

هم (سلام الله عليهم) مرجعنا في كل الأمور المتعلقة في الدين، من أصول وفروع وثمرتها الأخلاق. ولكن بما أن الأحكام الشرعية تدخل في كل مجالات الحياة، فحياتنا عبارة عن وقائع وأحداث، ولكل منها حكم شرعي؛ إذ ما من واقعة إلا ولها حكم، لذا ذكرها الشيخ (طيب الله ثراه).

المنصوص عليهم بالإمامة:

وقد تقدم الحديث مفصلاً في أن الإمامة لا تكون إلا بالنص الإلهي.

وأكمل ﷺ: نص عليهم الرسول ﷺ جميعاً بأسمائهم، ثم نص المتقدم منهم على من

بعده على النحو الآتي:

فيذكر الشيخ أن الرسول الأكرم ﷺ قد نص عليهم جميعاً، وذكر أسماءهم (سلام

الله عليهم)، ثم نص الإمام المتقدم منهم على الذي يليه.

شبهة الاختلاف في عدد الأئمة عليهم السلام:

أثار بعض المشككين ومنهم أحمد الكاتب شبهة في نشرة عنوانها الشورى، مفادها: إنَّ الشيعة اختلفوا فيما بينهم في عدد أئمتهم، وإنَّ الشيعة افرقوا فرقتين في هذا المجال، فالبعض يقول: إنَّ الأئمة اثنا عشر، والبعض يقول: إنَّ الأئمة ثلاثة عشر. وهذا الاختلاف يترتب عليه أنَّ الشيعة ليسوا على حق ومذهبهم باطل، والدليل على بطلانه هو اختلافهم فيما بينهم على عدد أئمتهم.^(١)

في مقام الجواب نقول:

بعد تسليم وجود بعض الروايات التي قد يظهر منها أنَّ الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة عشر، وهذه الروايات خمسة ذكرها الشيخ الكليني رحمته الله في كتابه الكافي، ج ١ بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِثْنَيْ عَشَرَ وَالنَّصِّ عَلَيْهِمْ عليهم السلام.

وقد يظهر من هذه الروايات أنَّ عدد الأئمة ثلاثة عشر.^(٢)

(١) نُقِلَ عَنْهُ النَّصُّ التَّالِي: وَعِنْدَمَا نَشَأَتْ فِكْرَةَ تَحْدِيدِ عِدَدِ الْاِثْمَةِ، بَعْدَ الْقَوْلِ بِوُجُودِ وَغِيْبَةِ الْاِمَامِ الثَّانِي عَشَرَ عليهم السلام كَانَ الشَّيْعَةُ الْاِمَامِيَّةُ يَخْتَلِفُونَ فِيْمَا بَيْنَهُمْ حَوْلَ تَحْدِيدِ عِدْدِهِمْ بَاثْنَيْ عَشَرَ اَوْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ، اِذْ بَرَزَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ رَوَايَاتٌ تَقُولُ، بَانَ عِدَدُ الْاِثْمَةِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ، وَقَدْ نَقَلَهَا الْكَلْبِي فِي (الْكَافِي) (ج ١ ص ٥٣٤) ووجدت في الكتاب الذي ظهر في تلك الفترة ونسب إلى سليم بن قيس الهلالي، حيث تقول إحدى الروايات، ان النبي صلى الله عليه وآله قال لامير المؤمنين عليه السلام: «أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق». وهذا ما دفع هبة الله بن احمد بن محمد الكاتب، حفيد أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، الذي كان يتعاطى (الكلام) لان يؤلف كتابا في الامامة، يقول فيه، ان الائمة ثلاثة عشر، ويضيف إلى القائمة المعروفة (زيد بن علي) كما يقول النجاشي في (رجاله)

(٢) الروايات في الكافي للكليني ج ١ بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِثْنَيْ عَشَرَ وَالنَّصِّ عَلَيْهِمْ عليهم السلام:

١/ الحديث ٧:

عَنْ زُرَّارَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ «الْاِثْنَا عَشَرَ الْاِمَامَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام كُلُّهُمْ مُحَدَّثٌ مِنْ وُلْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَمِنْ وُلْدِ عَلِيٍّ وَرَسُولِ اللَّهِ وَعَلِيٌّ عليه السلام هُمَا الْوَالِدَانِ...».

٢/ الحديث ٩:

ويكون رد هذه الشبهة بجواب تفصيلي تارة، أي بالتعرض إلى هذه الروايات روائيةً روائيةً، وإثبات ضعف سندها، وما توصل إليه العلماء في بحثهم في متونها بالرجوع إلى مصادر الأمهات، وخلاصته أن تصحيفاً، أو خطأً أو اشتباهاً من النساخ حدث في إضافة حرفٍ، ترتب عليه دلالتها على أن الأئمة ثلاثة عشر.

ويكون بجواب إجمالي تارةً أخرى، ولأن الأخير كافٍ في رد هذه الشبهة، فقد استغنيانا عن التعرض للأول. وللجواب الإجمالي وجهان هما:

الأول: من الأصول الموضوعية عند الشيعة: عدم وجود كتاب يوصف بصحة كل ما ورد فيه من الغلاف إلى الغلاف سوى القرآن الكريم، فكل كتاب عندنا سوى القرآن الكريم هو خاضعٌ للنقاش وللأخذ والرد ولتصحيح بعض ما ورد فيه وتخطئة البعض الآخر.

وهذا خلاف العامة الذين وصفوا بعض كتبهم بالصحيح، وهو وصفٌ يعني أن كل ما موجود بين دفتيها هو صحيحٌ، ويمثل عقيدتهم ودينهم، والتزامهم بهذا الأمر

عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر آخرهم القائم عليه السلام، ثلاثة منهم محمدٌ وثلاثة منهم عليٌّ.

٣/ الحديث ١٤:

عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «الإثنا عشر الإمام من آل محمد كلهم محدث من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله، وولد علي بن أبي طالب عليه السلام، فرسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام هما الوالدان».

٤/ الحديث ١٧:

عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني واثني عشر من ولدي وأنت يا علي زُرُّ الأرض يعني أوتادها وجبالها بنا أوتد الله الأرض أن تسيح بأهلها فإذا ذهب الإثنا عشر من ولدي ساحت الأرض بأهلها ولم ينظروا».

٥/ الحديث ١٨:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ولدي اثنا عشر نقيباً نجباء محدثون منهمون آخرهم القائم بالحق يملأها عدلاً كما ملئت جوراً».

يُلزمهم بالامتثال والاعتقاد بكل ما ورد فيها.

أما نحن -كاتباع المدرسة الإمامية- فلا كتاب صحيحاً عندنا سوى القرآن الكريم، وعليه لو تضمن أئمن الكتب وأهمها ما يُخالف عقيدةً ثابتة راسخةً، فتركه ورفضه لا يخرج عن الحدود العلمية التي بنينا عليها معارفنا.

وهذا يعني: خضوع أي رواية موجودة في كتبنا المعرفية والحديثية إلى قوانين علم الرجال وغيرها من العلوم، كعلم الكلام والفقه والقرآن الكريم، ومن ثم فإن هذه الروايات الخمس التي قد يُستظهر منها أن عدد الأئمة ثلاثة عشر يمكننا أن نرفضها بكل سهولة ولا تؤثر على عقيدتنا في شيء.

علاوة على ذلك فإن هذه الروايات إما ضعيفةُ السند -وكُلُّها كذلك-، وإما ثبت تصحيفها وزيادة حرفٍ أو كلمةٍ فيها، كما ذكر علماءنا المحققون في هذا المجال، أو يمكن أن تُحمَل على معانٍ كنايةة تتوافق مع الاعتقاد بأن الأئمة اثنا عشر فقط، كما ذهب البعض إلى أن المقصود منها هو إدخال السيدة الزهراء (سلام الله عليها)؛ لأنها حجةٌ من حُجج الله ﷺ، فيما ذهب البعض إلى أن ذلك من باب عطف العام على الخاص، أي ذكر الإمام عليٍّ عليه السلام ثم ذكره ضمن الاثني عشر إماماً، فمن الممكن حملها على هكذا محامل تتوافق مع عقيدتنا، هذا بقطع النظر عن سندها الضعيف، وكونها ضعيفةً بمفرده يكفي في عدم الاستناد عليها في أمرٍ فقهي فضلاً عن العقدي.

بل يمكن الجزم بوقوع خطأٍ من النسخ (تصحيف) عندما كتبوا الكافي، أو ربما يكون اشتباهاً من نفس الشيخ الكليني عليه السلام كما لو كتب اثني عشر عوضاً عن أحد عشر لما هو مترسَخٌ في الذهن أن الأئمة اثنا عشر.

وجزمننا بوقوع الاشتباه هذا لم يأتِ اعتباراً، بل يتأتى من ذكر الشيخ عليه السلام هذه الروايات الخمسة في باب سَمَاهُ بِ(بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِثْنِي عَشَرَ وَالنَّصُّ عَلَيْهِمْ ﷺ)،

فلا يُعقل أن يثبت روايات تدلُّ على أن الأئمة الثلاثة عشر في باب ما عقده إلا ليثبت فيه عقيدته بأن الأئمة من بعد النبي ﷺ هم اثنا عشر.

كما أنه ﷺ قد ذكر في هذا الباب عشرين رواية للاستدلال بها على أن الأئمة اثنا عشر، ومن ضمنها ذكر هذه الروايات الدالة على أن الأئمة ثلاثة عشر!

ومن هنا يمكن الجزم بوقوع الخطأ أو الاشتباه من الشيخ الكليني رحمه الله، ولكننا نجله عن هذا الخطأ، فلربما صدر من أحد النساخ، ومعه لا تكون هذه الروايات معارضة لعقيدتنا في أن الأئمة اثنا عشر فقط.

الثاني: إن من الأمور المسلمة لدى الشيعة، والتي لا يختلف فيها اثنان، من عوامهم فضلاً عن خواصهم في أن أئمتنا وخلفاء النبي ﷺ هم اثنا عشر إماماً لا غير، بل إن مذهبنا معروف بالاثني عشرية.

نعم، نُقل أن الذي قال بتلك المقالة هو هبة الله بن أحمد بن محمد الكاتب، المكنى بأبي نصر، والمعروف بابن برنية، وكان قد حضر في مجلس أبي الحسين بن أبي شيبه العلوي الزيدي، فأراد هبة الله أن يتقرب إلى دنيا أبي الحسين فكتب له كتاباً، ذكر فيه إن الأئمة الثلاثة عشر، بإضافة (زيد بن علي) لكون الرجل (أبي الحسين) زيدياً.

وقد احتج هبة الله على ذلك بحديث جاء في كتاب سليم بن قيس الهلالي، وتلك الرواية من إحدى الروايات الخمسة التي ذكرها الشيخ الكليني ومفاده أن «الأئمة اثنا عشر من ولد أمير المؤمنين»^(١).

(١) قد عدَّ ابن الغضائري وجود هذه الرواية في كتاب سليم بن قيس إحدى العلامات على وضعه. وأجاب عنه العلامة التستري بقوله «انه من سوء تعبير الرواة وإلا فمثله في الكافي أيضاً موجود»، ولزيادة الفائدة: نذكر ترجمة هبة الله على ما ورد في مستدركات علم الرجال للنهاري الشاهرودي ج ٨ ص ١٤٠ - ١٤١ رقم (١٥٨٦٣)

هبة الله بن أحمد بن محمد الكاتب أبو نصر المعروف بابن برنية: هكذا عنوانه النجاشي والعلامة، ثم

والخلاصة: أنَّ الشيعة لم يفرقوا فرقتين كما ذهبت إليه الشبهة، وإنَّها هم مُطبِّقون على أنَّ الأئمة اثنا عشر، وأما (هبة الله) الذي أراد الدنيا فكتب كتابًا يتقرب به إلى دنيا أبي الحسين العلوي الزيدي، فهو شاذُّ نادر.

فعقيدتنا في الأئمة أتمَّهم اثنا عشر، وأما من ادَّعى سوى ذلك بأنَّ زاد على ذلك أو أنقص فهو خارجٌ بدعواه هذه عن المذهب.

قالا: وكان يتعاطى الكلام ويحضر مجلس أبي الحسين بن الشبيه العلوي الزيدي المذهب، فعمل له كتاب وذكر أن الأئمة ثلاثة عشر مع زيد بن علي بن الحسين واحتج بحديث في كتاب سليم بن قيس الهلالي أن الأئمة اثنا عشر من ولد أمير المؤمنين عليه السلام.

وزاد النجاشي على ذلك: أنه كان يذكر أن أمه أم كلثوم بنت أبي جعفر محمد بن عثمان العمري. وله كتاب في الإمامة، وكتاب في أخبار أبي عمرو وأبي جعفر العمريين. ورأيت أبا العباس بن نوح قد عول عليه في الحكاية في كتابه أخبار الوكلاء. وكان هذا الرجل كثير الزيارات. وآخر زيارة حضرها معنا يوم الغدير سنة أربعمئة بمشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. انتهى.

وظاهره اعتماد أبي العباس عليه.

ونقل العلامة المامقاني عن الفاضل التفرشي أنه علق على قول النجاشي: (واحتج بحديث - الخ): أنه ليس في كتاب سليم بن قيس أن الأئمة اثنا عشر من ولد أمير المؤمنين عليه السلام، بل فيه: أن الأئمة ثلاثة عشر من ولد إسماعيل وهم رسول الله صلى الله عليه وآله مع الأئمة الاثني عشر، فكأنه اشتبه على النجاشي أو غيره. انتهى.

أقول: ولو فرض وجود الحديث لا يدل على أن الأئمة ثلاثة عشر لأن الكلام بعد قوله (اثنا عشر) منقطع، فكأنه يقال: الأول معلوم والباقي من ولد من يكونون؟ فأجاب: من ولد أمير المؤمنين. فتدبر جيدا.

عقيدتنا في المهدي عجل الله فرجه الشريف

قال تثنى:

«عقيدتنا في المهدي:

إن البشارة بظهور (المهدي) من ولد فاطمة في آخر الزمان ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً - ثابتة عن النبي ﷺ بالتواتر، وسجلها المسلمون جميعاً فيما رووه من الحديث عنه على اختلاف مشاربهم.

وليست هي بالفكرة المستحدثة عند (الشيعة) دفع إليها انتشار الظلم والجور، فحلّموا بظهور من يطهر الأرض من رجس الظلم، كما يريد أن يصورها بغض المغالطين غير المنصفين.

ولولا ثبوت (فكرة المهدي) عن النبي على وجه عرفها جميع المسلمين وتشبعت في نفوسهم واعتقدوها لما كان يتمكن مدعو المهديوية في القرون الأولى كالكيسانية والعباسيين وجملة من العلويين وغيرهم، من خدعة الناس واستغلال هذه العقيدة فيهم طلباً للملك والسلطان، فجعلوا ادعاءهم المهديوية الكاذبة طريقاً للتأثير على العامة وبسط نفوذهم عليهم.

ونحن مع إيماننا بصحة الدين الاسلامي وأنه خاتمة الأديان الإلهية ولا تترقب ديناً آخر لإصلاح البشر، ومع ما نشاهد من انتشار الظلم واستشراء الفساد في العالم على وجه لا تجد للعدل والصلاح موضع قدم في الممالك المعمورة، ومع ما نرى من انكفاء المسلمين أنفسهم عن دينهم وتعطيل أحكامه وقوانينه في جميع الممالك الإسلامية، وعدم

التزامهم بواحدٍ من الألف من أحكام الإسلام - نحن مع كل ذلك لا بُدَّ أن نتنظر الفرج بعودة الدين الإسلامي إلى قوته وتمكينه من إصلاح هذا العالم المنغمس بغطرسة الظلم والفساد.

ثم لا يمكن أن يعود الدين الإسلامي إلى قوته وسيطرته على البشر عامة، وهو على ما هو عليه اليوم وقبل اليوم من اختلاف معتنقيه في قوانينه وأحكامه وفي أفكارهم عنه، وهم على ما هم عليه اليوم وقبل اليوم من البدع والتحريفات في قوانينه والضلالات في ادعاءاتهم.

نعم لا يمكن أن يعود الدين إلى قوته إلا إذا ظهر على رأسه مصلحٌ عظيمٌ يجمع الكلمة ويرد عن الدين تحريف المبطلين، ويبطل ما ألصق به من البدع والضلالات بعناية ربانيةٍ وبلطفٍ إلهي؛ ليجعل منه شخصاً هادياً مهدياً، له هذه المنزلة العظمى والرياسة العامة والقدرة الخارقة ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً.

والخلاصة أنّ طبيعة الوضع الفاسد في البشر البالغة الغاية في الفساد والظلم، مع الإيمان بصحة هذا الدين وأنه الخاتمة للأديان - يقتضي انتظار هذا المصلح (المهدي)، لإنقاذ العالم مما هو فيه.

ولأجل ذلك آمنت بهذا الانتظار جميع الفرق المسلمة، بل الأمم من غير المسلمين غير أنّ الفرق بين الإمامية وغيرها هو أن الإمامية تعتقد أنّ هذا المصلح المهدي هو شخصٌ معينٌ معروفٌ ولد سنة ٢٥٦ هجرية ولا يزال حياً، هو ابن الحسن العسكري واسمه (محمد).

وذلك بما ثبت عن النبي وآل البيت من الوعد به وما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه.

ولا يجوز أن تنقطع الإمامة وتحول في عصر من العصور، وإن كان الإمام مخفياً،

ليظهر في اليوم الموعود به من الله ﷺ الذي هو من الأسرار الإلهية التي لا يعلم بها إلا هو ﷺ.

ولا يخلو من أن تكون حياته وبقاؤه هذه المدة الطويلة معجزة جعلها الله ﷻ له، وليست هي بأعظم من معجزة أن يكون إماماً للخلق وهو ابن خمس سنين يوم رحل والده إلى الرفيق الأعلى، ولا هي بأعظم من معجزة عيسى إذ كلم الناس في المهدي صبياً وبعث في الناس نبياً.

وطول الحياة أكثر من العمر الطبيعي أو الذي يُتخيّل أنه العمر الطبيعي لا يمنع منها فنّ الطب ولا يحيلها، غير أنّ الطب بعد لم يتوصل إلى ما يمكنه من تعمير حياة الانسان.

وإذا عجز عنه الطب فإنّ الله ﷻ قادرٌ على كلّ شيءٍ، وقد وقع فعلاً تعمير نوح وبقاء عيسى عليه السلام كما أخبر عنها القرآن الكريم.. ولو شكّ الشاك فيما أخبر به القرآن فعلى الإسلام السلام.

ومن العجب أن يتساءل المسلم عن إمكان ذلك وهو يدعي الإيمان بالكتاب العزيز. ومما يجدر أن نذكره في هذا الصدد ونذكر أنفسنا به أنه ليس معنى انتظار هذا المصلح المنتقد (المهدي)، أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود إلى الحق من دينهم، وما يجب عليهم من نصرته والجهاد في سبيله والأخذ بأحكامه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بل المسلم أبداً مكلفٌ بالعمل بما أنزل من الأحكام الشرعية، وواجبٌ عليه السعي لمعرفة على وجهها الصحيح بالطرق الموصلة إليها حقيقة وواجبٌ عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ما تمكّن من ذلك وبلغت إليه قدرته «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته».

فلا يجوز له التأخر عن واجباته بمُجرد الانتظار للمصلح المهدي والمبشر الهادي، فإنَّ هذا لا يُسقطُ تكليفاً، ولا يؤجل عملاً، ولا يجعل الناس هملاً كالسوائم. انتهى.

إنَّ قضية الإمام المهدي عليه السلام تمثل قضيةً محوريةً في الدين الإسلامي؛ لذا سنحاول التفصيل فيها نوعاً ما، لمعالجة أمورٍ مهمة ذكرها الشيخ عليه السلام في طيات حديثه عنها، وأخرى من المناسب أن نتعرض إليها، على شكل مباحثٍ مستقلة، في كلِّ منها نتناول جانباً من جوانب هذه القضية.

المبحث الأول:

هل إن القضية المهدوية من مختصات الشيعة؟

من المسلمّ به أنّ القضية المهدوية مما تؤمن بها المدرسة الإمامية كما سيأتي تفصيله بإذن الله ﷻ، وهناك من عزا ظهور هذا الاعتقاد في الشيعة؛ نتيجةً لتعرضهم لبعض الظروف القاسية كما ادعى ذلك أحمد الكاتب وغيره؛ إذ قالوا: إنّها فكرة مُستحدثة عند الشيعة نتيجةً للظروف الصعبة التي مروا بها من ظلم وطغيان وما شابه، ولكي يوفروا لأنفسهم قيسً أملٍ يعيشون من أجله، اخترعوا هذه القضية.

فهل القضية المهدوية من مختصات الشيعة؟ بمعنى أنه لا توجد فرقة عقائدية ولا فكر إنساني يؤمن بها؟

للجواب عن ذلك لا بُدَّ من البحث خارج الدائرة الإمامية، ولكي يكون البحث متسلسلاً لا بُدَّ من التدرج شيئاً فشيئاً في البحث حتى نصل إلى المعتقد الإمامي، ضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: هل القضية المهدوية قضية إنسانية؟

المطلب الثاني: ما هو اعتقاد أهل الديانات السماوية والوضعية بالقضية المهدوية؟

المطلب الثالث: ما هو اعتقاد أهل السنة بالقضية المهدوية؟ وفيه:

أولاً: الروايات التي أثبتت القضية المهدوية.

ثانياً: شبهة عدم ذكر البخاري ومسلم لأحاديث المهدي دليل على بطلانها!

المطلب الرابع: ادعاء المهدوية دليلٌ على صحة القضية المهدوية، وفيها:

أولاً: أسباب الدعاوى المهدوية.

ثانياً: أقسام الدعاوى المهدوية.

ثالثاً: الخطوط العامة للدعاوى المهدوية.

رابعاً: كيف نواجه مدعي المهدوية؟

خامساً: طرق النقاش في القضايا المهدوية.

المطلب الأول: هل إن القضية المهدوية قضية إنسانية؟

تتلخص القضية المهدوية بشكلٍ عام، أو قل: نظرية المنقذ أو المخلص، بالاعتقاد بأنَّ هناك شخصاً ما يأتي في آخر الزمان؛ ليزيل الظلم عن وجه المعمورة، ويملاً الدنيا قسطاً وعدلاً، ويُحوّل الأرض إلى جنّةٍ دنيويةٍ، أو شخصاً يحقق المدينة الفاضلة بحسب تعبير أفلاطون.

إنَّ القضية المهدوية بشكلها العام المتقدم -أو قل نظرية المنقذ أو المخلص بقطع النظر عن شخص ذلك المنقذ وذلك المخلص- إنّما هي في الحقيقة قضيةٌ تنطلق من أسسٍ متينة تمتد جذورها إلى الماضي السحيق، بل تجدُّ أثرها جلياً في ضمير أيِّ إنسانٍ لم يمت ضميره، ومن ثم فهي قضيةٌ إنسانية؛ لأنها:

أولاً: تنطلق من أسسٍ تاريخية رصينة وقوية جداً، وهذا الأمر واضحٌ؛ إذ إنَّ فكرةً تتمحور حول محورٍ واحدٍ وهو ظهور شخصٍ يُزيل الظلم ويُحلّ محلّه العدل، وتتعاقب عليها العصور والأجيال والحضارات على اختلاف معتقداتها وممارساتها وطقوسها، هي بلا أدنى شكٍ فكرةٌ متأصلة في النفوس، تمتد بجذورها في الماضي السحيق.

ثانياً: هي من الأمور الفطرية؛ إذ إنَّ للأمور الفطرية خصائص وصفات، ومن

أهمها اشتراك جميع البشر فيها، كمسألة الجوع مثلاً، فإنَّ الشعور به أمرٌ مشترك بين جميع البشر على اختلاف توجهاتهم الدينية والسياسية، بل وعلى اختلاف مراحلهم العمرية وأجناسهم وأعراقهم.

وقد اشترك بالقضية المهدوية جميع البشر على اختلاف دياناتهم السماوية والوضعية، مما يكشف عن فطرية هذه الفكرة ويزيدها قوة.

فهي قضية تتناغم مع فطرة الإنسان المحبة للخير؛ إذ إنَّ الإنسان - كما يذكر علم النفس - قد فُطر على عدة أمورٍ: حب الجمال، وحب الاستطلاع (الفضول العلمي)، وحب التدين أي أن يكون له إلهٌ يعبده، ومنها حب الخير، والقضية المهدوية تتناغم مع حب الخير، ولو بأدنى مستوياته وهو حب الإنسان الخير لنفسه؛ لأنَّها تجلب الخير على أقل التقادير لنفس الإنسان، فإذا أحسَّ الشخص بالأمان وتطبيق العدل على الجميع، وأنَّ حقوقه سيأخذها تامةً لا نقص فيها، فهذا أمرٌ يتوافق مع حبه للخير على الأقل لذاته.

المطلب الثاني: ما هو اعتقاد أهل الديانات السماوية والوضعية بالقضية المهدوية؟

لم تقتصر القضية المهدوية في إطارها العام (نظرية المخلص) على الوجدان الإنساني والفطرة البشرية وحسب، بل تجد خيوطها واضحةً في جميع الديانات. فقد استأثرت بحيزٍ واضحٍ في التراث الديني سماوياً كان أم وضعياً، نذكر منها^(١):

أولاً: الديانات السماوية:

أ/ الديانة اليهودية:

ووصلنا منها عدة أمور تتصل بجذور القضية المهدوية، وهي:

(١) انظر: حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر - المحامي أحمد حسين يعقوب - ص ١٥٤ - ١٥٩ ط. المجمع العالمي للمبلغين.

١/ التأكيد على الفكرة الرئيسية، أي أن هناك مهدياً سيزيل الظلم من على الأرض ويحل محله العدل.

٢/ الإشارة العامة إلى أصول المهدي النسبية، فذكرت أنه من نسل إسماعيل عليه السلام، وأنه واحدٌ من اثني عشر عظيمًا.

٣/ الإشارة إلى الظروف والمخاطر التي ستحيط بولادته.

٤/ صرّحت الديانة اليهودية بأنَّ الله ﷻ سيغيبه عن الناس من أجل أن يحفظه، وسيظهره بعد ذلك في الوقت المناسب.

ب/ الديانة المسيحية:

أشارت إلى عهد الظهور، وركّزت على ظهور السيد المسيح ﷺ على وجه الخصوص، وركزت عليه تركيزًا خاصًا. وهذا لا يتعارض مع الديانة الإسلامية؛ إذ أنَّ للسيد المسيح ﷺ دورًا خاصًا، وإنَّه سيصلي خلف الإمام المهدي ﷺ.

ج/ الديانة الإسلامية:

وسياتي الحديث عنها مفصلاً.

ثانياً: الديانات الوضعية :

فقد اعتقد الزرادشتيون بفكرة الظهور، واعتقدوا أنَّ منقذهم هو بهرام شاه الذي سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً.

فيما اعتقد المجوس بعودة أرشيدو.

أما البوذيون فقد اعتقدوا بعودة بوذا.

وتنقل بعض المصادر أنَّ الإسبان آمنوا بعودة ملكهم رودريق.

وأنَّ المغول اعتقدوا بعودة جنكيز خان.

وأن مسيحيي الأحباش اعتقدوا بعودة ملكهم ثيودور.

ومثل هذه الاعتقادات نجدها عند قدماء المصريين وفي كتب الصينيين القديمة.

أضف إلى ذلك فإنَّ بعض المفكرين ذكروا في كتاباتهم ما يشير إلى اعتقادهم بالقضية المهدوية، أو قل بنظرية المنقذ أو المصلح بقطع النظر عن شخصيته، والفيلسوف الانكليزي برت راند راسل يقول: «إنَّ العالم بانتظار مصلح يوحد العالم تحت علمٍ واحد وشعارٍ واحد».

كما نُقل عن أينشتاين صاحب النظرية النسبية المعروف أنه قال: «إنَّ اليوم الذي يسود العالم كله الصلح والصفاء ويكون الناس متحابين ليس بعيداً».

وأما الفيلسوف الانكليزي برنارد شو فلديه كتاب باسم (الإنسان والسوبر مان)، علّق عليه الكاتب عباس محمود العقاد قائلاً: «يلوح لنا أنَّ سوبر مان (شو) ليس بالمستحيل، وأنَّ دعوته إليه لا تخلو من حقيقة ثابتة».

وبشكل مجمل، فإنَّ أصحاب هذه الكلمات وإن اختلفوا فيمن هو ذلك المنقذ، أو المخلص أو المصلح، حتى اعتقد بعضهم بأنَّ أشخاصاً كانوا معروفين قد اختلفوا في ظروفٍ اكتنفها الغموض، أو أنَّهم كانوا مشهورين وماتوا، واعتقدوا بعودتهم، إلا أنَّهم قد آمنوا جميعاً بفكرة ظهور المنقذ وأنَّ العالم محتاجٌ إليه، وهو الذي سيعمل على إنقاذ البشرية وتحقيق السعادة وإحالة الأرض إلى جنة دنيوية، وهي لا تختلف عمّا ورد في الروايات من انه «سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً».

المطلب الثالث: ما هو اعتقاد أهل السنة بالقضية المهدوية؟

من الواضح جداً لكلِّ مُطلع أنَّ الاعتقاد بالمهدي هو من الاعتقادات الثابتة والراسخة عند مدرسة الخلفاء، فهي قضية مفروغ منها وقد آمنوا بها. نعم، هناك

اختلافات بيننا وبينهم في التفاصيل، ولكن أصل الفكرة المهدوية مُتفقٌ عليها، يدلُّنا على ذلك ما ورد في كتبهم الحديثية من روايات.

علاوةً على هذا الدليل فإن هناك مؤيداً لها وهو ادعاء المهدوية، والذي سنتناوله في مطلبٍ مستقل، بعد الاستدلال بالروايات.

وقد ذكرت القضية المهدويةً جميعُ الكتب الحديثية سوى صحيحي البخاري ومسلم، فلم يذكرانها - كما قيل -؛ لذا كان لأبد من تناول تلك الروايات أولاً، ليكون ما بعدها في معالجة عدم ذكر دينك الصحيحين لها.

أولاً: بعض الروايات العامة التي أثبتت القضية المهدوية.

ذكرت هذه الروايات في عدد من الكتب الحديثية، هي:

١/ سنن الترمذي: وهو الكتاب الذي قيل عنه: «من كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبيٌّ يتكلم»^(١)، فهو كتابٌ معتمدٌ عندهم، ويقدمونه ويحترمونه ما فيه، وقد ذكر فيه الترمذي عدة أحاديث عن المهدي عليه السلام، ومنها حديثٌ قال عنه الترمذي: (حديث صحيح) ونصه التالي:

حدثنا عبيد بن أسباط بن محمد القرشي، أخبرنا أبي، أخبرنا سفيان الثوري عن عصام بن بهدلة عن زر عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»^(٢).

٢/ سنن أبي داود: وهو كتابٌ قال عنه ابن الإعرابي: لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي في كتاب الله، ثم هذا المصحف، لم يحتج معها إلى شيء من

(١) فضائل سنن الترمذي للإسعدي ص ٣٢.

(٢) سنن الترمذي - الترمذي - ج ٣ - ص ٣٤٣.

العلم البتة.^(١)

وقد ذكر أحاديث عديدة أيضاً، ومنها^(٢):

حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا الفضل بن دكين، ثنا فطر عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي الطفيل، عن علي رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً».

ومنها: حدثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا أبو المليح الحسن بن عمر، عن زياد بن بيان، عن علي بن نفيل، عن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(٣).

٣/ سنن ابن ماجه: وفي سنن ابن ماجه أيضاً ذكر العديد من هذه الأحاديث ومنها^(٤):

حدثنا هدية بن عبد الوهاب، ثنا سعد بن عبد الحميد بن جعفر، عن علي بن زياد اليمامي، عن عكرمة بن عمار، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدي».

من الجدير بالإشارة إليه، أنّ النبي ﷺ في حديثه هذا قد ركّز على عبد المطلب في قوله: «نحن ولد عبد المطلب»، ولا بُدَّ أن يكون التركيز عليه لسبب، ومن سياق الحديث أنّ ذلك السبب هو الفخر، مما يعني أنه قد كان عبد المطلب أهلاً لافتخار

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢٧ ص ١٦٦.

(٢) سنن أبي داود - ابن الأشتع السجستاني - ج ٢ - ص ٣١٠.

(٣) سنن أبي داود - ابن الأشتع السجستاني - ج ٢ - ص ٣١٠.

(٤) سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد القزويني - ج ٢ - ص ١٣٦٨.

النبي ﷺ بالانتساب إليه؟ وهل يصح أن يفتخر بكافرٍ قد مات على غير دين الله ﷻ كما يدعون؟!!

الإمام المهدي ﷺ في كلمات المعاصرين من مدرسة الخلفاء:

ورد ذكره ﷺ في كلمات بعض العلماء المعاصرين، نقتصر بالذكر على اثنين فقط:

١/ مقالة الشيخ ناصر الدين الالباني.

للشيخ الألباني مقالة بعنوان (حول المهدي)، نُشرت في مجلة التمدن الإسلامي، قال في المقدمة ما نصه: «أما مسألة المهدي فليُعلم أنّ في خروجه أحاديث كثيرةً صحيحةً، قسمٌ كبيرٌ منها له أسانيد صحيحة».

٢/ الشيخ محمود الغرباوي.

وهو المفتش بوزارة الأوقاف في مديرية أوقاف الجيزة، قال في مقدمة كتابه (بشرى البشر في حقيقة المهدي المنتظر) ما نصه: «فقد وردت الأحاديث بلا نزاعٍ مؤكدةً ظهور المهدي المنتظر منها الصحيح ومنها الحسن ومنها ما يُقوّي بعضها بعضاً»^(١).

كما ذكر في الفصل الأول من نفس الكتاب في (ص ١١) ما نصه: «روى أحاديث المهدي أكثر المحدثين منهم: الإمام أحمد بن حنبل، والإمام الترمذي، والإمام أبو داود، والإمام ابن ماجه، والطبراني، والبزاز، والحاكم، وأبو يعلى، وغيرهم من أئمة الحديث والمعجم والأسانيد».

مما تقدّم يتبين بكلّ وضوح أنّ أصل قضية خروج المنقذ أو المُخلص أو المهدي أمرٌ مفروغٌ عنه عند الإنسانية جمعاء.

(١) بشرى البشر في حقيقة المهدي المنتظر - الشيخ محمود الغرباوي - ص ٥ / دار الكتاب العربي -

وينتج عن هذا الأمر عدة نتائج:

١/ إن القضية متينة، وهذا يمثل مصدرًا من مصادر القضية؛ كونها موجودة عند جميع البشرية.

٢/ وهذا سيرسم لنا طريقًا واضحًا إلى النصر المهدوي.

ثانيًا: شبهة عدم ذكر البخاري ومسلم لأحاديث المهدي.

تقدّم أن الاعتقاد بالقضية المهدوية ليس خاصًا بالشيعة، بل يمتد ليشمل المسلمين أيضًا. ولكن رغم ذلك، فقد أشكل بعض أهل العناد قائلًا: لو كان الاعتقاد بالمهدي من المعتقدات الإسلامية، والنبي ﷺ قد بشر به لأخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، والحال أنّهما لم يذكراه، إذاً لا صحة له.

وإنّ الذي نظّر لهذه الفكرة هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون صاحب المقدمة المتوفي سنة ٨٠٨ هجرية، فحاول الاستدلال بعدم تخريج البخاري ومسلم لأحاديث المهدي على بطلان الاعتقاد به. وافقه في ذلك أحمد أمين المصري، بقوله: ومما يشهد بالفخار للبخاري والمسلم أنّهما لم تتسرب إليهما من هذه الأحاديث وإنّ تسربت إلى غيرهما من الكتب.

ومن المعلوم أنّ ابن خلدون مؤرّخ، وعليه فليس له الحق في أن يدسّ أنفه في علم الرجال والحديث، وهذا فضولٌ منه لا مبرر له. ولكن مع ذلك نرد هذه الشبهة، ومن المناسب قبل الولوج في ذلك ذكر مقدمة.

تعريف موجز للبخاري ومسلم:

البخاري هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة بن بردزيه البخاري، وبردزيه مجوسي ومات على المجوسية، وأما المغيرة فقد أسلم على يدي البيان الجعفي والي بخارى.

يُذكر أن قول البخاري بخلق القرآن في المحنة المعروفة بـ(محنة خلق القرآن) تسبب في نقمة الناس عليه وطرده من بلدهم.

ومحنة خلق القرآن: مسألة كلامية فكرية ولكن عظم الخلاف فيها حتى بلغ مبلغ سفك الدماء، موضوعها أن كلام الله ﷺ حادث أم قديم، وقد كانت السلطات الحاكمة تبدل رأيها في المسألة مع تبدل الخليفة، فمن وافقه عاش في سلام، ليكون الظلم والتشريد وربما القتل من نصيب من يخالفها في ذلك. وكانت السلطة آنذاك تقول بقدوم القرآن فأصدرت الأوامر بطرده من البلاد وبمقاطعته.

ويذكر أن شيخ البخاري (محمد بن يحيى الذهلي) قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، ولا يجالس، ولا يكلم، ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل فاتهموه، فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه.^(١) فانقطع عنه الناس بعد هذه الحادثة سوى مسلم بن الحجاج صاحب صحيح مسلم، وأحمد بن سلمة.

وأما مسلم، فهو مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، وكان يحضر مجلس كل من البخاري وشيخه، حتى قال محمد بن يحيى في أحد مجالسه: «ألا من قال باللفظ (أي أن القرآن مخلوق) فلا يجلُّ له أن يحضر مجلسنا»، فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته وقام على رؤوس الناس وخرج من المجلس.^(٢)

وبعد هذه المقدمة، نشرع في الجواب عن الشبهة بعدة وجوه:

الوجه الأول: عدم وجود قاعدة عند العامة تقضي بأن ما لم يوجد في البخاري ومسلم ووجد في غيرهما من المصادر فهو باطل، إذ إنها لم يجمعها بين دفتي كتابيهما كل

(١) انظر: التاريخ الصغير للبخاري ج ١ ص ١٦ (المقدمة).

(٢) انظر: التاريخ الصغير للبخاري ج ١ ص ١٦ (المقدمة).

ما في الدين الإسلامي.

وعليه فلا يصح أن نستدل على بطلان عقيدة ما بعدم ذكر أحاديثها في البخاري ومسلم؛ لأنَّ لازم الاستدلال على بطلان أحاديث المهدي بعدم ورودها في البخاري ومسلم، هو أن البخاري ومسلم قد ذكرا كل الدين أصولاً وفقهاً وسلوكاً وسياسةً في أحاديثهم، ولم يقل أحدٌ بهذا اللازم فضلاً عن القول بصحته.

بل إنَّ نفس البخاري ومسلم صرَّحا بأنَّهما لم يذكرَا كلَّ حديثٍ صحيح، بل اختارا أحاديث صحيحةً سطرهما في صحيحيهما. من ذلك قول البخاري: «لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحًا وما تركتُ من الصحيح أكثر»^(١).

و في عبارةٍ أخرى يقول: ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحيح؛ حتى لا يطول.^(٢)

كما أنَّ مسلم القشيري كذلك لم يذكر كل الأحاديث الصحيحة، كما نقل ابن الصلاح عنه قوله: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هنا - يعني في كتابه (الصحيح) - إنما وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه.^(٣)

وفي أخرى يقول: إنما أخرجت هذا الكتاب وقلت هو صحاح، ولم أقل إن ما لم أخرج من الحديث في هذا الكتاب فهو ضعيف.^(٤)

فهما يصرحان بأنَّ كل ما أخرجاه هو صحيح، وهذا لا يعني بأنَّ كل ما لم يخرجاه ليس بصحيح وضعيف، بل وقد صرَّحا بذلك كما تقدَّم. وعليه، فإنَّ الاستدلال على

(١) مقدمة فتح الباري على شرح صحيح البخاري لابن حجر/ ج ١/ ص ٥.

(٢) مقدمة فتح الباري على شرح صحيح البخاري لابن حجر/ ج ١/ ص ٥.

(٣) صحيح ابن حبان ج ١ ص ٦ مقدمة التحقيق.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ٢٦.

بطلان عقيدةٍ أو أيِّ أمرٍ؛ لعدم ذكره في كتابيها غير صحيح.

الوجه الثاني: يبدو أنَّ تصحيح كلِّ ما في صحيح مسلم والبخاري حكمٌ عام؛ لذا عرِّف عن مدرسة الخلفاء أنَّها تعدُّهما دينها الذي تدين به، قال النووي: «ثم ما كان في صحيحي البخاري ومسلم أو في أحدهما اقتصر على إضافته إليهما لحصول الغرض وهو صحته، فإن جميع ما فيها صحيح»^(١).

بيد أنَّ الأمر خلاف الواقع؛ فقد وجد بعض العلماء في البخاري ومسلم من الأحاديث ما لا يمكن الحكم بصحته، بل ووجدوا ما يلزم منه أمور فاسدة كثيرة مما لا يسكت عنه أيضاً، مما حدا بهم -أو ببعضهم على الأقل- إلى التنازل عن الحكم بصحة كلِّ ما فيها.

ومن أولئك: الألباني حيث نقل عنه في السلسلة الصحيحة/ج٦/ ص ٩٣ في تعليقه على أحد الأحاديث، ما نصه: «هذا الشذوذ في هذا الحديث مثلاً من عشرات الأمثلة التي تدلُّ على جهل بعض الناشئين الذين يتعصبون لصحيح البخاري وكذا لصحيح مسلم تعصباً أعمى، ويقطعون بأنَّ كلَّ ما فيها صحيح».

وقال ابن حجر: «أخرج البخاري عن مسروق عن أم رومان... وهي أم عائشة طرفاً من حديث الإفك، وهو وهمٌ، لم يسمع مسروق من أم رومان... لأنها توفيت في عهد النبي ﷺ وكان مسروق حين توفيت ست سنين قال وخفيت هذه العلة على البخاري، وأظن مسلماً فطن لهذه العلة فلم يخرج له...»^(٢).

بل إنه نقل أن البخاري ومسلم ما كانا يتعاملان مع كتب بعضها على أن كلا ما فيها صحيح، فقد قال الباجي المالكي: «وقد أخرج البخاري أحاديث اعتقد صحتها

(١) الأذكار النووية- النووي- ص ١٤.

(٢) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٣٧١.

تركها مسلم لما اعتقد فيها غير ذلك وأخرج مسلم أحاديث اعتقد صحتها تركها البخاري لما اعتقد فيها غير معتقده وهو يدل على أن الامر طريقه الاجتهاد لمن كان من أهل العلم بهذا الشأن وقليل ما هم»^(١).

وهذا يعني أنه كما اشتبه البخاري ومسلم وأوردا في صحيحيهما أحاديث قالوا إنها صحيحة وتبين بأنّها ضعيفة، فيُحتمل أنّها تركا أحاديث صحيحة ولم يخرجها في صحيحيهما اشتباهاً منها وظناً أنّها ضعيفة وموضوعة. (هذا إذا أردنا أن نحسن الظن طبعاً).

ومن ثم فلا يُستدلُّ على بطلان كلّ ما لم يخرجاه من أحاديث، ومنها أحاديث المهدي عليه السلام ..

الوجه الثالث: إنّ ما تقدّم يبتني على أنّ البخاري ومسلم فعلاً لم يخرجوا أيّ حديث يتعلق بالمهدي عليه السلام لا صراحةً ولا بالإشارة، وهذا الأمر فيه نقاش؛ وذلك لأننا عندما نتابع صحيحيهما نجدُ فيهما أحاديث مضامينها متعلقة ومتصلة بالمهدي، وإن لم يُصرحاً باسمه، تدلُّنا عليها أحاديث صحيحة وبنفس المضامين وردت في غيرهما مُصرحةً باسم المهدي، فتكون بذلك مُفسرة لما أجمع من تلك الأحاديث في صحيحي البخاري ومسلم. وأما سبب عدم ذكر البخاري ومسلم اسم المهدي فيها، فلربما لتعمد الإبهام منها، فإن أردنا أن نحسن الظن بهما فقد يكون بسبب خطأ من قبل النساخ.

وعلى هذا لا يمكن لنا القول: إنّ البخاري ومسلم لم يخرجوا أحاديث عن الإمام المهدي عليه السلام في كتابيهما، وبذا تنتفي دعوى ابن خلدون من رأس.

(١) الجرح والتعديل لسليمان بن خلف بن سعد، ابن أيوب الباجي المالكي ج ١ ص ٢٨٦.

نماذج عن تلك الأحاديث:

النموذج الأول: روى مسلم بسنده عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله لهذه الأمة»^(١).

والإبهام في كلمة أميرهم: «فيقول أميرهم: تعال صل بنا»، والتي وردت في حديث آخر عن رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أميرٌ بعض تكرمه الله لهذه الأمة»^(٢).

النموذج الثاني: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم»^(٣).

والكلمة المبهمة في الرواية (إمامكم)، وهي التي تفسرها الرواية التي أخرجها المروزي في الفتن والمقدسي في عقد الدرر عن عبد الله بن عمر قال: «المهدي الذي ينزل عليه عيسى بن مريم ويصلي خلفه عيسى»^(٤).

النموذج الثالث: روى مسلم بسنده عن أبي سعيد وعن جابر بن عبد الله قالا: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده»^(٥).

والإبهام كما هو واضح في كلمة (خليفة)، وقد فسرتها رواية أحمد عن أبي سعيد

(١) صحيح مسلم (ج ١ ص ٩٥).

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى للقدوزي ج ٣ ص ٣٤٣ ب ٨٥ والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٦٤.

(٣) صحيح البخاري (ج ٤ ص ١٤٣)، وفي صحيح مسلم (ج ١ ص ١٩٤).

(٤) الفتن لنعيم بن حمد المروزي ص ٢٣٠، وعقد الدرر للمقدسي ص ٢٣٠.

(٥) صحيح مسلم (ج ٨ ص ١٨٥).

الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحاً. فقال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: بالسوية بين الناس. قال: ويملاً الله قلوب أمة محمد ﷺ غنىً، ويسعهم عدله، حتى يأمر منادياً فينادى فيقول: من له في مال حاجة، فما يقوم من الناس إلا رجل، فيقول: ائت السدان، يعني الخازن، فقل له: إن المهدي بأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احث، حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم، فيقول: كنت أجشع أمة محمد نفساً أو عجز عني ما وسعهم.

قال: فإيرده، فلا يقبل منه، فيقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطينا، فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين، ثم لا خير في العيش بعده. أو قال: ثم لا خير في الحياة بعده»^(١).

وقال عنه الهيثمي: قلت رواه الترمذي وغيره باختصار كثير، رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير ورجالها ثقات^(٢).

الوجه الرابع: تواتر أحاديث المهدي ﷺ.

إنَّ شبهة ضعف أحاديث المهدي ﷺ إنما تصحُّ لو كانت قليلة، ولم يصل الحدُّ فيها إلى التواتر. والتواتر: من الدرجات العليا لتوثيق الحديث، والحال أن الأحاديث فيه ﷺ متواترة؛ فلا تصحُّ هذه الشبهة.

وقد صرَّح جملة من العلماء والحفاظ والمحدثين العامة بتواتر أحاديث المهدي ﷺ. ومن أولئك العلماء:

١/ قال أبو الحسن الأبري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواها [أي

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٣٧.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٧ ص ٣١٤.

أحاديث المهدي] عن المصطفى بخروجه [أي المهدي]، وأنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى (على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام) فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه. (١)

٢ / محمد بن رسول الحسيني البرزنجي، توفي ١١٠٣ هـ، فقد قال في كتابه الإشاعة في أشراف الساعة: الباب الثالث في الاشراف العظام والامارات القريبة التي تعقبها الساعة وهي أيضا كثيرة فمنها المهدي وهو أولها، واعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر. (٢)

وقال أيضاً: قد علمت أن أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنه من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة بلغت حد التواتر المعنوي فلا معنى لإنكارها. (٣)

وقال أيضاً: وغاية ما ثبت بالأخبار الصحيحة الكثيرة الشهيرة التي بلغت حد التواتر المعنوي وجود الآيات العظام التي منها بل أولها خروج المهدي وأنه يأتي في آخر الزمان من ولد فاطمة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً. (٤)

والتواتر منه لفظي: كتواتر حديث «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» الذي ذُكر بهذه الألفاظ من جماعة عن جماعة وهكذا إلى أن يصل إلى رسول الله ﷺ، ومن دون أي تغيير فيها. ومنه المعنوي، أي التواتر بالمعنى، ولكن مع اختلاف اللفظ، بأن تكون كل الألفاظ تشير إلى معنى واحد، وقد ثبت إسنادها جميعاً إلى رسول الله ﷺ.

٣ / وقال السفاريني في عقيدته المسماة (بالدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية):

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص ١٦٧.

(٢) الإشاعة في أشراف الساعة (٨٧).

(٣) الإشاعة في أشراف الساعة (١١٢).

(٤) الإشاعة في أشراف الساعة (١٨٩).

وما أتى في النص من أشراط فكله حق بلا شطاط
منها الإمام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح
وقال أيضا في شرحها: كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى،
والصواب الذي عليه أهل الحق: إن المهدي غير عيسى، وإنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام،
وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء
السنة حتى عد من معتقداتهم^(١).

المطلب الرابع: ادعاء المهدوية دليل على صحة قضيتها.

قال الشيخ رحمته الله: «ولولا ثبوت فكرة المهدي عن النبي صلوات الله عليه وآله على وجه عرفها جميع
المسلمين وتشبعت في نفوسهم واعتقدوها، لما كان يتمكن مدعو المهدوية في القرون
الأولى كالكيسانية والعباسيين وجملة من العلويين وغيرهم من خدعة الناس واستغلال
هذه العقيدة فيهم طلباً للملك والسلطان، فجعلوا ادعاءهم للمهدوية الكاذبة طريقاً
للتأثير على العامة وبسط نفوذهم عليهم».

تقدّم الاستدلال بروايات مدرسة الخلفاء على أن القضية المهدوية ذات صبغة
إسلامية، وكنا قد ذكرنا أن هناك ما يؤيد صحة هذه القضية أيضاً وهو ادعاء المهدوية،
وهو ما ذكره الشيخ رحمته الله في هذا المقطع.

وعليه، فإن فكرة الإمام المهدي عليه السلام هي فكرة حقة على الأقل على المستوى
الإسلامي، ولا يمكن لمسلم على الأقل أن ينكر هذه العقيدة أو يقول بطلان أصل
فكرتها.

ويمكن طرح خلاصة ما يريد إثباته الشيخ رحمته الله في هذا المقطع ليكون مؤيداً لفكرة
المهدي، على شكل مقدمات متسلسلة ونتيجة:

(١) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ج ٣٣ ص ٩٢١، والإمام المهدي عند أهل السنة (ج ٢ ص ٢٠).

المقدمة الأولى: إنَّ هناك مدعين للمهدوية في القرون الأولى، أي القرون القريبة من زمن النص، حيث كان المعصومون موجودين، وحيث كان بعض الصحابة أو التابعين موجودين.

المقدمة الثانية: انقسم الناس على إثر ذلك إلى قسمين: فمنهم من صدَّق هذه الدعاوى، واتبع من كان يزعم أنه المهدي، ومنهم اعترض ولم يؤمن به.

المقدمة الثالثة: لم يكن اعتراض القسم الثاني من الناس على نفس فكرة المهدي، فهو يُسلَّم بها ويُدَعن لها، إلا أنَّ اعتراضه كان لعدم انطباق مواصفات المهدي على مدعي المهدوية آنذاك.

النتيجة: هذا يعني أنَّ الناس في ذلك الوقت مؤمنون بأصل فكرة المهدي، بل هي من المسلمات عندهم؛ لذا لم يعترضوا على أصل الفكرة، وإنَّما اعترضوا على التطبيق. هذا من جانب.

ومن جانبٍ آخر فإنَّ المدعي لأي منصبٍ من المناصب خصوصاً المناصب الدينية، عادةً ما يحاول أن يدَّعي منصباً معترفاً به من المسلمين؛ ليستطيع أن يحكمهم بذلك المنصب، كادِّعاء الأمويين والعباسيين أمَّهم خلفاء رسول الله ﷺ؛ ولذا حكموا الناس باسم الإسلام رغم أنَّ كلَّ أفعالهم كانت ضد الإسلام، وعليه فهذا الذي يدَّعي المهدوية لم يدَّعها إلا بعد علمه برسوخها بين الناس، ليحاول من خلالها حكم الناس. وقد ادَّعها الكثير، فهي إذن من القضايا الراسخة بين الناس والمتسالم عليها عندهم.

بيان: في الدعاوى المهدوية الباطلة والنقاش فيها:

ولتوضيح الدعاوى المهدوية، لا بُدَّ من التعرف على أسبابها أولاً، وأقسامها ثانياً،

والخطوط العامة لها ثالثاً، فإذا تمَّ ذلك كان لا بُدَّ من التعرض إلى كيفية مواجهتها، وإتماماً للفائدة نذكر طرق النقاش في القضية المهدوية بشكلٍ عام، فهذه مطالبُ خمسةٍ سنتناولها تباعاً:

أولاً: أسباب الدعاوى المهدوية

ثانياً: أقسام الدعاوى المهدوية

ثالثاً: الخطوط العامة للدعاوى المهدوية

رابعاً: كيف نواجه مدعو المهدوية؟

خامساً: طرق النقاش في القضايا المهدوية

أولاً: أسباب الدعاوى المهدوية:

حيث إنَّ الفكرة المهدوية كانت ثابتة وراسخة في أذهان الناس، وحيث إنَّها منصب قيادي يُلزم الغير بالاتباع، بل ذلك المنصب يعطي لصاحبه أولوية في التصرف بالأموال بل وبالنفوس؛ لذلك كثرت الدعاوى المهدوية.

والنفس الإنسانية عادة تُحِبُّ التسلط، وأن تكون مسموعة الكلمة، وحيث إنَّ المنصب المهدوي عظيمٌ جداً، ويلزم منه أن يكون هذا الشخص هو الأمر والنهي والمتصرف في أموال بل ونفوس الناس، لذا تجد أن بعض أصحاب النفوس المريضة حالوا خداع بسطاء من الناس، وقد اتخذوا من ادعاء المهدوية سبيلاً للوصول إلى مآربهم.

فالنفس المريضة، وعظم المنصب، وحب التملك، من أهم أسباب أدعاء المهدوية.

ثانياً: أقسام الدعاوى المهدوية:

بمتابعة الظروف التي نشأت فيها الدعاوى المهدوية يمكن أن نقسم أصل الدعاوى

إلى ثلاثة أقسام^(١):

الأول: من نسبت إليه المهدوية وهو لم يدعها، وهو بريء منها.
 الثاني: من ادّعاها بدافع حب الرئاسة والجاه، وربما خُدع فيها.
 الثالث: من ادّعى المهدوية بخطة من الاستعمار وإيعاز منهم.
 وهذه الأقسام تقريباً هي الأقسام العامة لادعاء المهدوية، وسنذكر لكل قسم منها نماذج:

نماذج من القسم الأول: من نسبت إليه المهدوية وهو منها بريء:

الفرقة الأولى: الكيسانية:

وهذه الفرقة كان اتباعها يدعون أنّ المهدي هو محمد بن أمير المؤمنين عليه السلام المعروف بابن الحنفية، وسُميت بـ(الكيسانية) نسبةً إلى كيسان.

أما من هو كيسان؟ فقد اختلف العلماء على أقوال، هي:

١/ محمد بن الحنفية، وكان يسمى بكيسان.

٢/ مولى لأمير المؤمنين عليه السلام، أو لمحمد بن الحنفية نفسه. وقيل: كان هو المنظر لهذه الفرقة.

٣/ المختار بن عبيدة الثقفي، حيث إنّ البعض اتهم المختار بأنه يدّعي أنّ ابن الحنفية هو المهدي.

٤/ صاحب شرطة المختار الذي كان يكنى بـ(أبي عمرة). وقيل كان هو المنظر لهذه الفرقة.

ومن الواضح جداً أنّ محمداً بن الحنفية أجّل من أن يدّعي مثل هذه الدعوى وهو

(١) انظر: ادّعاء المهدوية - أحمد الفرج الله - مركز الدراسات الاستراتيجية.

منها بريء؟ بل «أن محمدا رضي الله عنه لم يدع قط الإمامة لنفسه، ولا دعا أحدا إلى اعتقاد ذلك فيه»^(١).

وقد روي أن أبا خالد الكابلي كان يخدم محمد بن الحنفية دهرا، وما كان يشك أنه إمام، حتى أتاه يوما فقال: إن لي حرمة، فأسألك برسول الله وبأمر المؤمنين إلا أخبرتني: أنت الامام الذي فرض الله طاعته؟

فقال: علي، وعليك، وعلى كل مسلم الإمام علي بن الحسين.

فجاء أبو خالد إلى علي بن الحسين عليه السلام، فلما سلم عليه قال له: مرحبا بك يا كنكر، ما كنت لنا بزوار! ما بدا لك فينا؟

فخر أبو خالد ساجداً لله تعالى لما سمعه منه، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفت إمامي.

قال: كيف عرفت؟

قال: إنك دعوتني باسمي الذي سميتني به أمي، ولقد كنت في عماء من أمري، ولقد خدمت محمد بن الحنفية عمرا، فناشدته اليوم: أنت إمام؟ فأرشدني إليك فقال: هو الإمام علي، وعليك، وعلى الخلق كلهم، فلما دنوت منك سميتني باسمي الذي سميتني به أمي، فعلمت أنك الامام الذي فرض الله علي وعلى كل مسلم طاعته.^(٢)

من أهم عقائد الكيسانية:

١/ إن المهدي هو ابن الحنفية، وهو وصي أمير المؤمنين عليه السلام؛ لذا فليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه، أو يخرج عن إمامته، أو حتى أن يُشهر السيف -أي يقوم بثورة- إلا بإذنه. وبعضهم ذهب إلى إمامته بعد أخويه الحسنين عليهما السلام، وبعضهم إلى إمامته بعد

(١) الفصول المختارة للشيخ المفيد ص ٣٠٠ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٥.

(٢) الخرائج والجررائح لقطب الدين الراوندي ج ١ ص ٢٦١.

أبيه أمير المؤمنين عليه السلام،^(١) وهذا يعني أنّ كلاً من خروج الإمام الحسن عليه السلام للحرب على معاوية، وصلحه أيضاً، وخروج الإمام الحسين عليه السلام كان بإذن من ابن الحنفية، بل قالوا: إنّ الحسن والحسين (سلام الله عليهما) لو خرجا من دون إذنه لضلاً، والعياذ بالله.

٢/ إنّ من خالف محمداً بن الحنفية فهو كافر ومشرك.

٣/ إنّ خروج المختار للطلب بئار الإمام الحسين عليه السلام كان بإذن ابن الحنفية.

وأما المبرر لدعوى مهدوية ابن الحنفية، فالظاهر - والله العالم - استنادهم إلى ما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «نَّ المهدي اسمه اسمي»، فطبّقوا الحديث على ابن الحنفية، ولكنهم تناسوا أنّ الأحاديث التي قالت: إنّ اسم المهدي كاسم النبي صلى الله عليه وآله قالت أيضاً: «إنَّه من ولد فاطمة عليها السلام»، وأنَّ ابن الحنفية ليس من ولدها عليها السلام.

وبعد أن مات ابن الحنفية ادعت الكيسانية عدم موته، وأنَّه حيٌّ مقيم في جبل رضوى من جبال تهامة، وأنَّه يجلس بين أسدٍ ونمر يحفظانه، وأنَّ عنده عينين تجريان بعسلٍ وماءٍ، وأنَّه غاب وسيعود بعد غيبته ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً. وهذه الفرقة منقرضة ليس لها أي وجود اليوم.

الفرقة الثانية: الفرقة الباقرية:

وهم من ادعوا أنّ الإمام محمد الباقر عليه السلام بأنَّه هو المهدي.

الفرقة الثالثة: الناوسية:

«وهم الذين قالوا: إنّ جعفر بن محمد عليه السلام حي لم يموت ولا يموت حتى يظهر وبلي أمور الناس، وأنَّه هو المهدي عليه السلام وزعموا أنهم رووا عنه أنه قال: «إن رأيتم رأسي قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه، فإني أنا صاحبكم» وأنه قال لهم: «إن جاءكم

(١) لاحظ: كليات في علم الرجال للشيخ السبحاني ص ٤٠٦.

من يخبركم عني أنه غسلني وكفنتني فلا تصدقوه، فإني صاحبكم صاحب السيف». وهذه الفرقة تسمى الناوسية، وسميت بذلك لرئيس لهم من أهل البصرة يقال له فلان بن فلان الناووس. [وقيل إن اسمه (عبد الله بن ناووس)]. وقال عبد القاهر: وهم أتباع رجل من أهل البصرة كان ينتسب إلى (ناووس) بها وهم يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق بنص الباقر عليه وأنه المهدي المنتظر. وقال الشهرستاني قريبا منه؛ غير أنه قال: هم أتباع رجل يقال له ناووس.^(١) ومن أهم عقائدهم بالإضافة إلى ادعائهم أن المهدي هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنهم قالوا بإمامة ستة أئمة عليهم السلام: الإمام علي، والإمام الحسن، والإمام الحسين، والإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين). وهذه الفرقة ليس لها وجود اليوم.

الفرقة الرابعة: المباركية:

نشأت بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام، وزعموا أن الإمامة بعد الإمام الصادق عليه السلام كانت لمحمد بن إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام؛ لاعتقادهم أن أمر الإمامة كان لإسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام، ولكنه توفي في حياة الإمام الصادق عليه السلام، فانتقلت الإمامة بعد استشهاد الإمام الصادق إلى (محمد) وهو ابن إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام. وسميت الفرقة بـ(المباركية)؛ نسبةً إلى رئيسهم: مبارك الذي كان عبداً لإسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام.

الفرقة الخامسة: الإسماعيلية:

وهي من الفرق الباطنية التي انتسبت إلى إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام، ولها

(١) انظر: كليات في علم الرجال للشيخ السبحاني ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

امتداداً إلى هذا اليوم، ولها فرقٌ عديدة.

قال النوبختي: فرقة زعمت أن الامام بعد جعفر بن محمد، ابنه إسماعيل بن جعفر وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه، وقالوا: كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس، لأنه خاف فغيبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمر الناس، وأنه هو القائم لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده، وقلدهم ذلك له وأخبرهم أنه صاحبه، والإمام لا يقول إلا الحق، فلما ظهر موته علمنا أنه قد صدق وأنه القائم وأنه لم يمت وهذه الفرقة هي الإسماعيلية الخالصة.^(١)

كما ادعى البعض أن زيداً بن علي الشهيد هو المهدي، ولكن عقائد الزيدية اليوم لا تقول بهذا، ونستبعده؛ وذلك لأن اسمه ليس بمحمد، وأن أغلبية من نسبت المهديوية إليهم كانوا يحملون اسم محمد.

القسم الثاني: من ادعى المهديوية بدافع حب الرئاسة والجاه والمنصب، ومنها:

الشخصية الأولى: محمد المحض^(٢).

وهو محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن المجتبي المعروف

(١) كليات في علم الرجال للسبحاني ص ٤١٠ نقلاً عن فرق الشيعة: الصفحة ٨٩..
(٢) ترجم له السيد الخوئي رحمته في معجم رجاله (ج ١٧ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ رقم ١١١١٠) بما نصه: محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن: ابن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو عبد الله المدني: ذكر ابن داود (١٣٩١) من القسم الأول والسيد التفرشي (٤٨١) والميرزا في رجاله، والمولى القهبائي: عد الشيخ إياه في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام، وأنه قتل سنة (١٤٥) بالمدينة، وزاد ابن داود قوله: «الملقب بالنفس الزكية». والنسخة المطبوعة خالية عن ذكره.

ثم إن محمداً هذا ادعى الخلافة، دعا الصادق جعفر بن محمد عليه السلام إلى بيعته، وتكلم معه بكلام غليظ حتى بلغ الأمر إلى أنه أمر بحبسه سلام الله عليه، وكان الصادق عليه السلام يعظه ويصرفه عما أراد، ويخبره بأن الأمر لا يتم له، ولكنه لم يصغ إلى ذلك، وأصر على ما أراد حتى انتهى الأمر إلى قتله، راجع الكافي: الجزء ١، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة (٨١)، الحديث ١٧.

بـ(المحض)، وقد ثار قبيل ظهور الدولة العباسية، وكان المنصور الدوانيقي من أنصاره؛ ليسقط الدولة الأموية.

وقد ابتدعوا حديثاً عن النبي ﷺ مضمونه: «المهدي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» تبريراً لهذه الدعوى. ومن بايعه على أنه المهدي: أبوه عبد الله بن محمد، والمنصور الدوانيقي.

وتذكر الروايات أن الإمام الصادق عليه السلام أخبرهم بأنه ليس صاحب هذا الأمر، وأنه سيقتل، ولكنهم لم يصدقوه، بل البعض رماه بالحسد!

وقيل: إنه تاب، والأمر موكولٌ إلى البحث والتحقيق؛ لأننا في مقام بيان مطلب تاريخي ليس إلا، وكانت نهاية أمره كما تنبأ الإمام الصادق عليه السلام، حيث قُتل.

الشخصية الثانية: الخليفة العباسي الملقب بالمهدي.

وهو محمد بن عبد الله المنصور الدوانيقي الخليفة العباسي الملقب بالمهدي، وقد اتخذ من كون اسمه (محمد بن عبد الله) مبرراً لادعائه المهدوية بالاستناد إلى نفس الحديث المتدع عن الرسول الأكرم ﷺ المذكور آنفاً. ومن بايعه أبوه المنصور الدوانيقي، بل

وروى الصفار بأسناده، عن المعلى بن خنيس، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ أقبل محمد بن عبد الله بن الحسن فسلم، ثم ذهب، ورق له أبو عبد الله عليه السلام ودمعت عينه، فقلت له: لقد رأيتك صنعت به ما لم تكن تصنع، قال: «رقت له، لأنه ينسب في أمر ليس له، لم أجده في كتاب علي في خلفاء هذه الأمة، ولا ملوكها».

وروى عن عبد الله بن جعفر، عن محمد بن عيسى، عن صفوان، عن العيص بن القاسم، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «ما من نبي ولا وصي ولا ملك إلا في كتاب عندي، والله ما لمحمد بن عبد الله فيه اسم». بصائر الدرجات: الجزء ٤، باب ٢، في الأئمة عندهم الكتب التي فيها أسماء الملوك، الحديث ٦.

أقول: الروايات في أن محمداً هذا ادعى الخلافة ولم ينته بنهي الصادق عليه السلام، حتى انتهى أمره إلى القتل متعددة...

وكان يدعو إلى مبايعته على أنه هو المهدي.

وكان السبب الرئيسي وراء ادعاء هاتين الشخصيتين المهديّة هو الوصول إلى مآربها في الجاه والرئاسة. علمًا أنّ البعض أحصى عدد مدعي المهديّة فكانوا خمسين شخصيّة، دفع أغلبيتهم إلى هذا الادعاء الجاه والرئاسة أيضًا.

القسم الثالث: من كانت للاستعمار يد في ادعائه المهديّة، ويبرز في هذا المجال:

علي بن محمد الملقب بالباب:

ذكروا أن جاسوساً روسياً جاء إلى إيران، وأقام فيها فترة ثم جاء إلى العراق، مرتدياً الزي الديني، ومدعيًا أنّ اسمه الشيخ (عيسى لنكراني)، على حين أنّ اسمه الحقيقي كان (كنياز دالكوركي)!

ويقال إنّه حضر درس السيد كاظم الرشتي، وتعرّف على رجل يشرب الحشيشة اسمه علي محمد، وكان هذا الجاسوس يستغل الفترة التي كان يفقد بها علي محمد عقله، ويخاطبه بلقب صاحب الزمان.

في بادئ الأمر أنكر علي محمد عليه هذا الأمر، حتى أقنعه بذلك في يومٍ من الأيام وبدأ يوحى إليه، فشرع بادعاء أنّه الباب، أي الباب إلى الإمام المهدي ﷺ، وظهرت دعوته أولاً في كربلاء ولاقت رفضاً ثم ذهب إلى إيران، فانتشرت دعوته على أنّه الباب، ثم تطور أمره وأصبح يدّعي أنّه هو الإمام المهدي ﷺ وأسس الفرقة البهائية.

وتذكر بعض الروايات أنّ نقاشاً دار فيما بينه وبين بعض العلماء، وترك دعواه، ولكن الحاكم الجديد أمر بإعدامه، فأعدم. وبقطع النظر عمّا إذا تاب أو لا، فإنّ ادعاءه المهديّة ما جاء إلا بيد من الاستعمار؛ لتشق الوحدة الإسلامية، ومن ثم الوصول إلى مآربها.

واليوم نجد العديد من المدعين للمهدوية، الذين نجعل الأيدي الخفية التي تحركهم، والتي تمولهم بأموال طائلة، مما يرجح احتمال كونهم مناصبين من قبل دول لها مصالح في نشر مثل هذه الدعاوى، سواء كانت ترتدي زي الإسلام أو غيره، بل ويمكن الاطمئنان بذلك أيضًا.

ثالثاً: الخطوط العامة لدعاوى السفارة والمهدوية:

على الرغم من اختلاف دوافع دعاوى السفارة والمهدوية واختلاف أقسامها، إلا أنها تشترك بخطوط عامة يمكن أن نلاحظها فيمن يدعي السفارة أو المهدوية، وهي:

الخط الأول: إلغاء مسألة التقليد.

وهو أول عمل يقوم به مدعو المهدوية أو السفارة؛ لأنه ينتج نتيجتين مهمتين كلتاهما تصب في صالحهم، وهما:

الأولى: ضمان رجوع الناس إليهم، وهذا مما يؤدي إلى فصل المجتمع عن المرجعية، فيبقى المجتمع كغنم بلا راع يدخل فيها الذئب يصنع ما يشاء.

الثانية: أن الحقوق الشرعية ستؤول إليهم.

الخط الثاني: لا وجود للدليل ملموس على حقانية الدعوى.

فإن جميع أدلتهم تستند إلى الرؤى والاستفتاح بالقرآن وما شاكل ذلك، وأما الأدلة التي دعا إليها الشرع لإثبات مثل هكذا دعاوى من قبيل المعجزات أو الدليل القطعي، فهم عاجزون عنها.

وهذا من أهم سبل فضحهم وكشف بطلان دعواهم، كما حكي أن أحد هؤلاء المدعين ذهب إلى أحد العلماء، فلم يناقشه الأخير في شيء سوى أنه طلب منه إزاء إيمانه به أن يعيد إلى لحيته البيضاء سوادها. وهي الطريقة التي كان اعتمدها الحسين بن

روح عليه السلام في رد بعض المدّعين^(١)..

الخط الثالث: لا مجال للتريث في تصديق الدعوى.

فإما أن تؤمن أو تكفر.

الخط الرابع: كل من لا يؤمن بالدعوى فهو كذابٌ أشر.

وإذا كان كاذباً فلا يُسمع كلامه ولا يُصدّق في أية كلمةٍ يقولها أو ينقلها سواء كان عن المدعي أو غيره ولو كانت آيةً أو روايةً.

(١) ورد عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري، قال: لَمَّا أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويُظهر فضيحته ويُخزيه، وقع له أن أبا سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي عليه السلام ممن تجوز عليه خرقته وتتمّ عليه حيلته، فوجّه إليه استدعيه، وظنّ أن أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله، وقدر أن يستجرّه إليه فيتمخرق (به) ويتسوف بانقياده على غيره، فيستتبّ له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة، لقدّر أبي سهل في أنفس الناس ومحلّه من العلم والأدب أيضاً عندهم، ويقول له في مراسلته إيّاه: إنّي وكيل صاحب الزمان عليه السلام - وبهذا أولاً كان يستجرّ الجهال ثمّ يعلو منه إلى غيره -، وقد أمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصر لك لتقوي نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر. فأرسل إليه أبو سهل عليه السلام يقول له: إنّي أسألك أمراً يسيراً يخفّ مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أنّي رجل أحبّ الجوّاري وأصبو إليهنّ، ولي منهنّ عدّة أتحظّهنّ، والشيب يُبعدي عنهنّ [وَيُبِعْضُنِي إِلَيْهِنَّ]، وأحتاج أن أخضبه في كلّ جمعة، وأتحمّل منه مشقّة شديدة لأستر عنهنّ ذلك، وإلّا انكشف أمرى عندهنّ، فصار القرب بعداً والوصال هجرًا، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيتي سوداء، فإنّي طوع يديك، وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع ما لي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة. فلمّا سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنّه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً، ولم يُرسل إليه رسولاً، وصيّره أبو سهل عليه السلام أحدوثة وضحكة ويطنز (طنز يطنز طنزًا: كلّمه باستهزاء. (هامش المصدر).) به عند كلّ أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه. [الغيبة لطوسي: ٤٠١ و ٤٠٢ / ح

رابعاً: كيف نواجه مدعي السفارة أو المهدوية؟

لم يُشر الشيخ رحمه الله في كتابه إلى كيفية مواجهة مدعي السفارة أو المهدوية، ولكننا نذكرها استطراداً، لا سيما إننا في زمنٍ كثرت فيه مثل هذه الدعاوى، فنكون بأمس الحاجة إليها. فنذكر بعض الأمور العملية:

الأمر الأول: متابعة الظروف التي أحاطت بالمدعي.

قبل كل شيء لا بد أن نتابع الظروف التي أحاطت بالمدعي، نحو: مسيرته في الحياة، أساتذته في العلم، أصحابه، أخلاقه في بيته، مكسبه أي من أين يكسب الأموال. وهذا لمن يدعي السفارة، أما بالنسبة لمن يدعي المهدوية فيكفي تتبع نسبه ليكشف عن كذبه.

الأمر الثاني: التريث في تصديق الدعوى.

إن أمر أهل البيت عليهم السلام هو أوضح من الشمس وأبين من الأمس، ومع وجود غموض في دعوة ما، فإنه يحق لأي إنسان أن يتريث ويبحث حتى يصل إلى اليقين، لا سيما في الأصول الاعتقادية التي يُطلب فيها اليقين، واليقين عادة ما يحتاج إلى وقتٍ وفكرٍ ونظرٍ وتأملٍ، وربما مراجعة حتى يصل المرء إلى اليقين، وهذا ما أشار إليه ما روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «كأني بقوم قد خرجوا بالمشرك يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا ولا يدفونها إلا إلى صاحبكم قتلاهم شهداء أما إنني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»^(١).

أي إنه حتى مع ثبوت حقانية تلك الحركة، فإنني أفضل انتظار صاحب الأمر،

(١) الغيبة للنعماني ص ٢٨٢ و ٢٨٣ باب ١٤ ح ٥٠.

وأبقي نفسي له.

يجرنا ما تقدم إلى سؤال ربما يتبادر إلى الأذهان:

هل يجب الالتحاق باليماني حال خروجه؟

لعله يُقال: بعدم وجود رواية تدلُّ على لزوم اتباع اليماني ووجوب اللحاق به، وإنما الوارد هو حرمة الالتواء عليه، وهناك فرق بين حرمة الالتواء ووجوب الاتباع، فلا يجوز الاعتراض عليه وتثبيط الناس عنه، ولكن في نفس الوقت ليس هناك ما يدل على لزوم الالتحاق به.

وأما حال ظهور الإمام فلا بُدَّ من الالتحاق به كما هو واضح، فقد روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام في حديثه مع أبي الجارود قال: «يا أبا الجارود، إذا دارت الفلك، وقال الناس: مات القائم أو هلك، بأي واد سلك، وقال الطالب: أنى يكون ذلك وقد بليت عظامه فعند ذلك فارجوه، فإذا سمعتم به فأتوه ولو حبواً على الثلج»^(١).

الأمر الثالث: النظر في مدى مطابقة دعوى مدّعي السفارة أو المهديية لضرورات

الدين أو المذهب.

والضرورات: هي الأحكام الشرعية والأصول الاعتقادية التي اتفق جميع المسلمين على ثبوتها وعلى صدقها؛ لوجود نص قرآني أو نص شرعي متواتر صحيح وما شابه هذا الأمر، كوجوب أصل الصلاة.

فلو ادعى شخص عدم وجوب الصلاة أو عدم وجوب الحجاب، أو ادعى موت الإمام المهدي عليه السلام وأنه هو من يجب اتباعه؛ لأنه ابنه أو خليفته، فلمخالفتها لضرورة من ضرورات الدين يحكم بزيفها من دون تردد.

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٣٢٦ باب ٣٢ ح ٥.

الأمر الرابع: المطالبة بإقامة الكرامة.

ربما لم تُجدِ أيًا من الأمور السابقة في الكشف عن حقانية مدّعي السفارة أو المهدوية من عدمها، فحينئذٍ لا بُدَّ من المطالبة بدليل قطعي. ولا دليل قطعيًّا أدلُّ على حقانية الدعاوى المرتبطة بالسَّاء من الكرامات، والكرامة كالمعجزة لا تختلف عنها إلا في خلوها من ادعاء النبوة، فيجوز ادعاء سواها من المناصب الغيبية المتصلة بالسَّاء كالإمامة والسفارة وغيرها؛ لذا فما من نبي دعا قومه إلا وطُلب بمعجزةٍ دليلاً على صدق دعواه.

وعليه، فلا يجوز للمدعي أن يتنصل من إثبات حقانية دعواه بالطريق الإعجازي، أو يُنكر هذا الأمر على من يطالبه به؛ لأنه علاوةً على كونه عرفاً عامًّا في التعامل مع الدعاوى الغيبية، فهو عرفٌ خاص في خصوص التعامل مع الدعاوى المهدوية؛ للروايات الواضحة في هذا المجال، ومنها ما عن المفضَّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: يرجع في أحدهما إلى أهله، والأخرى يُقال: هلك، في أيِّ وادٍ سلك؟»، قلت: كيف نصنع إذا كان ذلك؟ قال: «إن ادَّعى مدعٍ فاسألوه عن تلك العظائم التي يجيب فيها مثله»^(١).

والعظائم التي يجيب فيها مثله هي الأمور الغيبية، أو حلٌّ معضلةٍ علميةٍ عجز العلماء عن حلها.

وقد ورد في بعض الروايات أنَّ الإمام المهدي عليه السلام نفسه يستجيب لمن يطلب منه الكرامة، ولا ينكر عليه ذلك، ففي رواية أخرى: «ويلحقه الحسن في اثني عشر ألفاً، فيقول له: أنا أحقُّ منك بهذا الأمر، فيقول له: هات علامة، هات دلالة، فيومئ إلى الطير فيسقط على كتفه، ويغرس القضيب الذي بيده فيخضّر ويعشوشب، فيسلم إليه

(١) الغيبة للنعماني: ١٧٨ / باب ١٠ / فصل ٤ / ح ٩.

الحسني الجيش، ويكون الحسني على مقدمته...»^(١).

خامساً: طرق النقاش في القضايا المهدوية^(٢).

إتماماً للفائدة، من المناسب أن نتعرض إلى كيفية المناقشة في القضايا المهدوية لكشف المزيفة منها. وهناك عدة طرق للنقاش مع أصحاب الدعاوى المزيفة لكشف زيفهم، وهذه الطرق مختلفة باختلاف المستوى العلمي للمدعين، وباختلاف الظروف الموضوعية التي قد تصل إلى حد التباين، وهي كالتالي:

الطريق الأول: الطريق الفكري.

إنَّ لكلِّ علم من العلوم وكلِّ جانب من جوانب المعرفة أصولاً موضوعية تؤخذ فيه على أنَّها أصول ثابتة لا تنازل عنها، أي إنَّ الداخل في جانب من جوانب المعرفة سيجد فيه أساسات ومركزات يبتني عليها هذا الجانب المعرفي، وبالتالي على من يريد النقاش والحوار في هذا الجانب أن يلتزم أصوله الموضوعية.

هكذا تقضي الأصول العلمية المتعارفة في الأوساط المعرفية.

ومن هنا، فإنَّ الحوار في القضية المهدوية له أساساته وأصوله الموضوعية، وخلاصتها التالي:

أولاً: إنَّ مفردات القضية المهدوية هي من نوع الروايات التاريخية أو الملاحم المستقبلية، وعليه فالروايات تُمثِّل أساساً لا يُتنازل عنه فيها، فلا موضع للتخمينات ولا للظنِّيات...

ثانياً: إنَّ هذا الأمر يخضع للعلوم المتعلِّقة بالروايات، كالفقه وأصوله وقواعدهما،

(١) الملاحم والفتن لابن طووس: ٢٩٥ و٢٩٦.

(٢) نشر هذا البحث في مجلة الموعود العدد ٣/ جمادى الآخرة / ١٤٣٨ هـ الصادرة عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي ﷺ مع تفاصيل أكثر.

وقواعد التعارض والتراجيح، وعلم الرجال والتراجم، وعلم الدراية...

ثالثاً: إن هذا يعني ضرورة الرجوع إلى المتخصّص في هذه العلوم، ولا يُسمَح لغير المتخصّص فيها أن يتطفّل عليها.

فإذا تحقّقت هذه العناصر أمكن أن يكون النقاش مثمراً، وصار إثبات الرأي الصائب قريباً جداً من حيّز الوقوع.

أمثلة مواجهة المدعين بالطريق الفكري

المثال الأول: دعوى سفارة أحمد بن إسماعيل.

ادّعى جماعة أحمد إسماعيل كاطع أنه وليّ مفترض الطاعة، وأنه يجب على كلّ شيعي أن يبايعه، استناداً إلى رواية أسموها برواية الوصيّة، وهي رواية رواها الشيخ الطوسي في غيبته، وقد ورد في ذيلها:

«... ثم يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، (فإذا حضرته الوفاة) فليُسلمها إلى ابنه أوّل المقرّبين، له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي، واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أوّل المؤمنين»^(١)

فادّعى ابن كاطع - وصفّق له جماعته - بأنّه هو المقصود بأوّل المقرّبين وأوّل المؤمنين، وبالتالي يجب على الشيعة أن يبايعوه...

ووفق هذا الطريق الفكري يكون الردّ على هذه الدعوى بمنتهى العلمية والمهنية وفي نفس الوقت بمنتهى السهولة، ذلك لأنّ هذه الرواية ضعيفة السند جداً، فلا تصلح للاستدلال الفقهي فضلاً عن العقائدي.

فإنّ الشيخ رواها بالسند التالي:

(١) الغيبة للطوسي: ١٥١ / ح ١١١.

«أخبرنا جماعة، عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن سفيان البزوفري، عن علي بن سنان الموصلي العدل، عن علي بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن الخليل، عن جعفر بن أحمد المصري، عن عمّه الحسن بن علي، عن أبيه، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثنات سيّد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله...».

وهذا السند غاية في الضعف، لاشتغاله على عدّة مجاهيل وضعفاء، فإنّ (علي بن سنان الموصلي العدل)، وكذلك (أحمد بن محمد بن الخليل)، و(جعفر بن أحمد المصري)، و(عمّه الحسن بن علي، عن أبيه) كلّهم مجاهيل، فلا تصلح رواية وردوا في طريقها للاستدلال.^(١)

المثال الثاني: خروج اليماني من البصرة لا من اليمن.

ومثال آخر على هذا الطريق، هو ما قد يدّعيه البعض - ومنهم أحمد الكاطع - أنّ اليماني من العراق من البصرة بالخصوص، وأنّ اليماني المقصود منه النسبة إلى اليمن. ويكون ردّ هذه الدعوى وفق هذا الطريق بالرجوع أولاً إلى الروايات، لنرى ما يُستفاد منها، وبالرجوع إلى أهل اللغة العربية لنرى ماذا يستفيدون من كلمة (اليماني). وبالرجوع لهذين العلمين نجد أنّ الروايات يُستفاد منها أنّ اليماني من اليمن بالخصوص، فإنّه قد ورد عن هشام، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «لما خرج طالب الحقّ قيل لأبي عبد الله عليه السلام: نرجو أن يكون هذا اليماني؟ فقال: «لا، اليماني يوالي علياً وهذا يبرأ»^(٢).

(١) للتفاصيل راجع كتاب: الردّ القاصم لدعوة المفتري على الإمام القائم للشيخ علي آل محسن:

٢٨ - ٣٤ / تقديم مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام.

(٢) أمالي الصدوق: ٦٦١ / ح (١٩/١٣٧٥).

فتجد أن الإمام الصادق عليه السلام لم ينفِ البيانية عن هذا المسمى (الطالب للحق) من جهة أنه خرج من اليمن لا من العراق، بل نفاها من جهة عدم موالاته لأمر المؤمنين عليهم السلام، ولو كان ثمة جهة أخرى لكان مناسباً للإمام عليه السلام أن يُبينها.

فيظهر من هذا أن كون البياني من اليمن هو من الواضحات في الذهنية الشيعية عموماً آنذاك، أي في عصر الإمام عليه السلام، وسكوت الإمام عليه السلام عن ذلك إقرار منه بصحة هذا الفهم في الذهنية العامة.

وهكذا لو رجعنا لأهل اللغة، لرأينا أنهم يفهمون من (البياني) النسبة إلى اليمن، كما يفهمون من (الحبرة البيانية) انتسابها إلى اليمن، ومن الركن البياني الجهة المقابلة من الكعبة لليمن، وأن النسبة المأخوذة من (اليمن) هي (ميمون) لا (بياني)، بل إن المتبادر من (البياني) هو النسبة إلى اليمن، والتبادر علامة الحقيقة، ولا ينصرف إلى غير هذا المعنى إلا بقريئة صارفة، وهي مفقودة في المقام.

الطريق الثاني: الطريق الخطابى.

من أهم الأساليب الإقناعية وأقدمها وأكثرها تأثيراً في الجمهور هو أسلوب الخطابة، ذلك الأسلوب الذي يكون القصد المباشر منه إقناع الجمهور والطرف الآخر، سواء كانت القضايا المستعملة فيه علمية أو مشهورة أو من نوع المسلمات وما شابه، فليس المقصود فيها أكثر من إقناع الطرف الآخر، بغض النظر عن نوع القضية المستعملة في الإقناع.

ولا نريد الخوض في أجزاء الخطابة وقوامها، فإن الكلام فيه طويل الذيل.

المهم أن نعرف أن هذا الأسلوب نافع في الكثير من الأحيان، خصوصاً إذا كان الحوار يدور على مرأى ومسمع من جمهور متوسط الثقافة أو قليلها.

وعندما نرجع إلى أساليب أهل البيت عليهم السلام في الحوار نجد أنهم عليهم السلام قد يستعملون الأسلوب والطريق الفكري العلمي، وقد يستعملون الأسلوب والطريق الخطابي، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يلاحظون الظروف الموضوعية المحيطة بالحالة، فيتخيرون المناسب من طرق الإقناع.

وكتطبيق عملي لهذه الفكرة، نجد في الروايات الشريفة سؤالاً واحداً توجه إلى اثنين من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد أجابا عنه بجوابين مختلفين، وما ذاك إلا لاختلاف حال السائل معهما، حيث ورد أن الديصاني - وهو أحد أقطاب الزنادقة الذين كانوا يُشكِّكون بوجود الله تعالى - قال لهشام بن الحكم: ألك رب؟ قال: بلى. قال: أقادر؟ قال: بلى. قال: أيقدر أن يدخل الدنيا كلها في البيضة، لا يكبر البيضة ولا يصغر الدنيا؟ فجاء هشام إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: قال لي الديصاني كذا وكذا. فقال عليه السلام له: «كم حواسك؟»، قال: خمس. قال عليه السلام: «أيها أصغر؟»، قال: الناظر. قال عليه السلام: «كم قدر الناظر؟»، قال: مثل العدسة أو أقل. قال عليه السلام: «فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى». قال: أرى سماءً وأرضاً ودوراً وقصوراً وجبالاً وأنهاراً. فقال عليه السلام: «إن الذي قدر على أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضة، لا يصغر الدنيا ولا يكبر البيضة»^(١).

ونفس هذا السؤال أجاب عنه أمير المؤمنين عليه السلام بجواب آخر، فعن عمر بن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغر الدنيا أو يكبر البيضة؟ قال: «إن الله تبارك وتعالى لا يُنسب إلى العجز، والذي سألتني لا يكون»^(٢).

(١) التوحيد للصدوق: ١٢٢.

(٢) التوحيد للصدوق: ١٢٩ و ١٣٠.

فلاحظ أن جواب الإمام الصادق عليه السلام كان جواباً خطاياً اسكاتياً، وأمّا جواب أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان جواباً علمياً برهانياً، مفاده أن ما يقوله السائل يستلزم محالاً عقلياً، فإن قدرة الله تعالى تتعلّق بالأمر الممكن، وأمّا الأمر الممتنع ذاتاً فإن القدرة لا تتعلّق به، لأنّه ممتنع بالذات، وإدخال الدنيا في البيضة مخالف لقانون عقلي متسلم عليه، وهو عدم إمكان أن يكون الصغير ظرفاً للكبير، لأنّ قانون الظرفية العقلي يقتضي أن يكون الكبير ظرفاً للصغير.

فهنا امتناع إدخال الدنيا في البيضة لنقص في البيضة لا لنقص في قدرة الله تعالى، تماماً كما إذا كان هناك رسّام ماهر يجيد كلّ أنواع الرسم، فيأتيه شخص ويقول له: أتستطيع أن ترسم لي لوحة على الماء أو الهواء؟! فهل عدم استطاعة الرسّام لذلك يعني أن الرسّام ليس ماهراً أم أن نفس الرسم على الماء والهواء مستحيل؟! حكّم عقلك واخرج بنتيجة.

تطبيق في القضية المهدوية:

إنّ جماعة أحمد الكاطع وحتىّ يتملّصوا من الرّدّ العلمي على رواية الوصيّة، أنكروا (علم الرجال) ونتائجه، فلا يكفي القول بضعف سندها لرّدّها، ونحن لو تنزّلنا عن هذا الأمر، فإنّه يمكن أن نجيبهم بجواب خطابي لا يمكنهم أن يتملّصوا منه، وخلاصته التالي:

إنّ رواية الوصيّة نصّت على أن (ابن المهدي) و(أول المقرّبين) سيتولّى مهام قيادة الدولة المهدوية بعد وفاة أبيه، إذ أنّها قالت ما نصّه: «... ثمّ يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، (فإذا حضرته الوفاة) فليسلّمها إلى ابنه أول المقرّبين، له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي، واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أول المؤمنين»^(١).
وهنا نقول: لو سلّمنا أن رواية الوصيّة صحيحة السند، وأنّ (أحمد إسما عيل كاطع)

(١) الغيبة للطوسي: ١٥١ / ح ١١١.

هو ابن الإمام، ولكن لا يجب علينا أن نابعه ونتبعه إلا بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام وحكمه الأرض ووفاته، لأن هذا هو ما نصّت عليه الرواية، وبالتالي فلا دليل على لزوم أتباعه اليوم إلا أن يخالف الوجدان ويدّعي ظهور الإمام وموته!

الطريق الثالث: طلب الكرامة أو المعجزة.

الاتّصال بالغيب، ليس له أدوات حسّية للإثبات في الأعمّ الأغلب، لذا أيد الله تعالى رسله وأنبياءه بالمعجزات الكثيرة، حتّى يتمكّنوا من إثبات اتّصالهم بالسماء. ذلك لأنّ المعجزة حيث إنّها «أمر خارق للعادة، مقرون بالتحديّ، مع عدم المعارضة»^(١).

وهذا الأمر لا يحصل لأيّ مدّع، فإنّ جريان المعجزة إنّما يكون بإذن الله تعالى، وهو ما صرّح به القرآن الكريم على لسان النبيّ عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبَيِّنُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٢)

فجريانها إنّما يكون بإذن الله تعالى، فلو جرت على يدي مدّع كاذب، كان هذا إغراءً من الله تعالى بالمعصية، وهو بحكم العقل قبيح، والله تعالى منزّه فعله عن أيّ قبيح. فالحكمة الإلهية واللفظ الإلهي يمنع من إجراء المعجزة إلا على يدي الصادق، ومن له علاقة بالسماء.

ومن هنا حكم العقل بصدق من تجري المعجزة على يديه، بل وضرورة طاعته.

ومن يدّع الاتّصال بالإمام المهدي عليه السلام - وهو نوع من أنواع الاتّصال بالغيب، إذ

(١) محاضرات في الإلهيات للسبحاني: ٢٥٨.

(٢) آل عمران: ٤٩.

ليس له أدوات إثبات حسية - فإن عليه أن يثبت ذلك بنفس الكيفية، إذ ما من طريق يقيني يورث الاطمئنان بذلك إلا أن يأتي المدّعي بما يكشف عن صدق دعواه، وذلك بأن يأتي بشيءٍ خارق للعادة، من دون سابق إنذار، ومن دون تعليم مسبق، لا كما يفعل المشعوذون والسحرة.

وهذا الأمر له شواهد عديدة، نذكر منها التالي:

أولاً: عن المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبتين: يرجع في أحدهما إلى أهله، والأخرى يقال: هلك، في أيٍّ وادٍ سلك؟»، قلت: كيف نضنع إذا كان ذلك؟ قال: «إن ادّعى مدّعٍ فاسأله عن تلك العظام التي يجب فيها مثله»^(١).

فالإمام الصادق عليه السلام يدلنا على أن من يدّعي مقاماً غيبياً كالمهدوية، أو حتى الاتصال بالمهدي والسفارة عنه، فعليه أن يجب من يسأله عن أمور عظام، لا يجب عليها إلا الإمام أو من يرسله الإمام ويعطيه المؤيّدات على ذلك، ومن تلك العظام بل وعلى رأسها المعجزة.

ثانياً: ما ورد عن الحسين بن عليّ بن محمّد المعروف بأبي عليّ البغدادي، قال: رأيت في تلك السنة بمدينة السلام امرأة، تسأل عن وكيل مولانا عليه السلام من هو؟ فأخبرها بعض القميين أنه أبو القاسم الحسين بن روح، وأشار لها إليه وأنا عنده. فقالت له: أيها الشيخ أيّ شيء معي؟ فقال: ما معك اذهبي فألقيه في دجلة، ثم ائتيني حتى أخبرك. قال: فذهبت المرأة، وحملت ما كان معها، فألقته في دجلة، ثم رجعت، ودخلت إلى أبي القاسم الروحي، وأنا عنده. فقال أبو القاسم لمملوكته: أخرجني إلى الحقّة فأخرجت إليه الحقّة، فقال للمرأة: هذه الحقّة التي كانت معك، ورميت بها في دجلة، أخبرك بما فيها أم

(١) الغيبة للنعماني: ١٧٨.

تخبريني؟ قالت: بل تخبرني أنت. قال: في هذه الحقّة زوج سوار ذهب، وحلقة كبيرة فيها جواهر وخاتمان أحدهما فيروزج، والآخر عقيق. وكان الأمر كما ذكر لم يغادر منه شيئاً. ثمّ فتح الحقّة، فعرض عليّ ما فيها، ونظرت المرأة إليه فقالت: هذه التي حملتها بعينها، ورميت بها في دجلة. فغشي عليّ وعلى المرأة لما شاهدناه من صدق الدلالة والعلامة. (١).

ثالثاً: ما ورد عن محمد بن الحسن الصيرفي الدورقي المقيم بأرض بلخ يقول: أردت الخروج إلى الحجّ، وكان معي مال بعضه ذهب وبعضه فضّة، فجعلت ما كان معي من الذهب سبائك وما كان معي من الفضة نقراً، وكان قد دُفِعَ ذلك المال إليّ لأسلمه من (إلى) الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح تتدّ، قال: فلمّا نزلت سرخس ضربت خيمتي على موضع فيه رمل، فجعلت أُميّزُ تلك السبائك والنقر، فسقطت سبيكة من تلك السبائك منّي وغازت في الرمل وأنا لا أعلم، قال: فلمّا دخلت همدان ميّزت تلك السبائك والنقر مرّة أخرى اهتماماً منّي بحفظها، ففقدت منها سبيكة وزنها مائة مثقال وثلاثة مثاقيل - أو قال: ثلاثة وتسعون مثقالاً -، قال: فسبكت مكانها من مالي بوزنها سبيكة وجعلتها بين السبائك، فلمّا وردت مدينة السلام قصدت الشيخ أبا القاسم الحسين بن روح (قدّس الله روحه)، وسلّمت إليه ما كان معي من السبائك والنقر، فمدّ يده من بين [تلك] السبائك إلى السبيكة التي كنت سبكتها من مالي بدلاً ممّا ضاع منّي، فرمى بها إليّ، وقال لي: ليست هذه السبيكة لنا، وسبيكتنا ضيّعتها بسرخس حيث ضربت خيمتك في الرمل، فارجع إلى مكانك وانزل حيث نزلت واطلب السبيكة هناك تحت الرمل فإنّك ستجدها، وستعود إلى هاهنا فلا تراني. قال: فرجعت إلى سرخس ونزلت حيث كنت نزلت، فوجدت السبيكة تحت الرمل وقد نبت عليها الحشيش، فأخذت السبيكة وانصرفت إلى بلدي، فلمّا كان بعد ذلك حججت ومعني السبيكة

(١) الخرائج والجرائح للراوندي ٣: ١١٢٥ و١١٢٦.

فدخلت مدينة السلام وقد كان الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح رحمته الله مضى، ولقيت أبا الحسن علي بن محمد السمري رحمته الله، فسَلَّمْتُ السبيكة إليه ^(١).

ومن هذه الإشارات نفهم:

أولاً: ضرورة التروّي في أتباع أيّ مدّعٍ لدعاوى الارتباط بالغيب، وعدم الاستعجال والدخول معه من دون بصيرة.

ثانياً: يجوز لنا أن نطالب مدّعي الأتصال بالغيب بأية تُثبت صدق دعواه، فإذا رفض كان ذلك علامة كذبه.

الطريق الرابع: الإهمال.

هل من الصحيح أن نواجه علناً كلّ من ادّعى دعوى غيبية؟

وهل من الصحيح أن نجالس كلّ من طالبنا بالنقاش والمحااجة؟

وهل طاولة النقاش مفتوحة لكلّ من هبّ ودبّ؟

الجواب:

إنّ التفكير المنطقي الموزون يقضي بضرورة الجلوس والنقاش مع البعض، وفي نفس الوقت يحكم بضرورة اتّخاذ إجراء (الإهمال المتعمّد) مع بعض آخر، فإنّه يكون أبلغ جواب له هو إهماله، إذ لعلّ مناقشته ترفع من شأنه وهو وضيع، وقد تُلفت الأنظار إليه فينخدع به من لا بصيرة له، فيكون التصرف الحكيم معه هو إهماله، والاجتناب عن الجلوس معه، ليعرف الجميع ضعته وزيفه، وأنّه لا يصل إلى منزلة يستحقّ معها إنفاق بعض الوقت والجهد لأجله.

وهذا الأسلوب قد استعمله بعض الأئمّة الأطهار مع بعض الخصوم والمدّعين،

(١) كمال الدين للصدوق: ٥١٦ و ٥١٧.

فقد ورد أنّ أبا سَلَمَةَ الخلال، وهو أحد نقباء الدولة العباسية، والعضو الفعّال في قيادة الثورة العباسية، بعث كتاباً إلى الإمام الصادق عليه السلام يُعلن فيه استعداده للدعوة إليه والتخلّي عن بني العباس، فكان جواب الإمام: «ما أنا وأبو سَلَمَةَ، وأبو سَلَمَةَ شيعة لغيري»، فقال رسول أبي سَلَمَةَ: إنّي رسول، فتقرأ كتابه وتجيئه. فدعا الإمام الصادق عليه السلام بسراج ثم أخذ كتاب أبي سَلَمَةَ فوضعه على السراج حتّى احترق، وقال للرسول: «عرّف صاحبك بما رأيت»^(١).

فالإهمال في بعض الأحيان جواب كافٍ ووافٍ لمن يدّعي ما ليس فيه.

وهذا ما فعله السفير الثالث الشيخ الحسين بن روح مع الشلمغاني، فقد ورد أنّه أنفذ محمّد بن عليّ الشلمغاني العزاقرى إلى الشيخ الحسين بن روح يسأله أن يباهله، وقال: أنا صاحب الرجل وقد أمرت بإظهار العلم، وقد أظهرته باطناً وظاهراً، فباهلني، فأنفذ إليه الشيخ عليه السلام في جواب ذلك: أيّنا تقدّم صاحبه فهو المخصوم، فتقدّم العزاقرى فقتل وصُلب...^(٢).

وكذلك ما فعله السفير الأوّل عثمان بن سعيد العمري الأسدي مع محمّد بن نصير النميري الذي ادّعى أنّه رسول نبيّ، وكان يقول بربوبية عليّ عليه السلام، ويقول بإباحة المحارم وتحليل نكاح الرجال...، فقد ورد أنّه لمّا ظهر محمّد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر عليه السلام وتبرّأ منه، فبلغه ذلك، فقصد أبا جعفر عليه السلام ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه، فلم يأذن له وحجبه وردّه خائباً.^(٣)

(١) أنظر: مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٥٣.

(٢) الغيبة للطوسي: ٣٠٧/ ح ٢٥٨.

(٣) الغيبة لطوسي: ٣٩٨/ ح ٣٧٠.

الطريق الخامس: الاستهزاء.

نحن نعرف أن الإسلام دين الاحترام وتقييم الآخر، فليس فيه دعوة أو حث على الاستهزاء بالآخرين، ومعه فما معنى أن يكون الاستهزاء طريقاً للنقاش والحوار وإثبات الرأي؟

إن المقصود هنا هو عدم إعطاء المدّعي - إذا ما ثبت تعمّده الكذب واختلاق مقام ليس هو من أهله - أيّ فرصة لإثبات نفسه أو شخصيته، وعدم السماح له بالنسب بينت شفة، وإظهار أمره لخطورة دعواه الباطلة، فإنّ ذلك في الوقت الذي قد يؤثّر إيجاباً على نفسية المدّعي، بأن يرتدع عن الخوض في الباطل، أو على الأقلّ أن يُخفّف من التبشير بدعواه خوفاً من الفضيحة والاستهزاء، كذلك فإنّه يقف حاجزاً دون السماح للآخرين بالتبّاع المبطل، فإنّ الناس إذا رأوا حقارة ذلك المدّعي وعدم هيئته، فإنّهم سيحاولون الحفاظ على كرامتهم بالابتعاد عنه، وبالتالي نكون قد حصلنا على نتيجتين في آنٍ واحد: ردع المدّعي بالباطل، ومنع الناس من اتّباعه.

وهذا التصرف يحتاج إلى حنكة اجتماعية وذكاء وجداني يستطيع من خلاله الإنسان أن يعرف التصرف المناسب مع المدّعي، كما فعله الشيخ ابن بابويه والد الشيخ الصدوق رحمه الله مع الحلاج، فقد ورد أنّ ابن الحلاج صار إلى قمّ، وكاتب قرابة أبي الحسن - وهو والد الشيخ الصدوق - يستدعيه ويستدعي أبا الحسن أيضاً ويقول: أنا رسول الإمام ووكيله.

قال الصدوق: فلما وقعت المكاتبة في يد أبي عليه السلام خرقتها، وقال لموصلها إليه: ما أفرغك للجّهالات؟ فقال له الرجل: ... فإنّ الرجل قد استدعانا فلمْ خرقت مكاتبته؟! وضحكوا منه وهزّوا به. ثمّ نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وغلّمانه. قال: فلما دخل إلى الدار التي كان فيها دكانه نهض له من كان هناك جالساً غير رجل رآه

جالساً في الموضوع فلم ينهض له ولم يعرفه أبي، فلما جلس وأخرج حسابه ودواته كما يكون التجار أقبل على بعض من كان حاضراً، فسأله عنه، فأخبره، فسمعه الرجل يسأل عنه، فأقبل عليه وقال له: تسأل عني وأنا حاضر؟ فقال له أبي: أكبرتك أيها الرجل وأعظمت قدرك أن أسألك. فقال له: تحرق رقعتي وأنا أشاهدك تحرقها؟ فقال له أبي: فأنت الرجل إذاً.

ثم قال: يا غلام برجله وبقفاه، فخرج من الدار العدو لله ولرسوله، ثم قال له: أتدعي المعجزات عليك لعنة الله؟ أو كما قال، فأخرج بقفاه، فما رأيناه بعدها بقم.^(١)

ومنه ما ورد عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري، قال: لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويُظهر فضيحته ويُجزيه، وقع له أن أبا سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي عليه السلام ممن تجوز عليه مخرقته وتتم عليه حيلته، فوجه إليه يستدعيه، وظن أن أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله، وقدر أن يستجره إليه فيتمخرق (به) ويتسوف بانقياده على غيره، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة، لقدّر أبي سهل في أنفس الناس ومحله من العلم والأدب أيضاً عندهم، ويقول له في مراسلته إياه: إني وكيل صاحب الزمان عليه السلام - وهذا أولاً كان يستجر الجهال ثم يعلو منه إلى غيره -، وقد أمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوي نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر. فأرسل إليه أبو سهل رضي الله عنه يقول له: إني أسألك أمراً يسيراً يخف مثله عليك في جنب ما ظهر على يدك من الدلائل والبراهين، وهو أنني رجل أحب الجوّاري وأصبو إليهنّ، ولي منهنّ عدّة أمحظهنّ، والشيب يُعدني عنهنّ [ويُغضني إليهنّ]، وأحتاج أن أخضبه في كلّ جمعة، وأحمّل منه مشقة شديدة لأستر عنهنّ ذلك، وإلا انكشف أمري عندهنّ، فصار

(١) الغيبة للطوسي: ٤٠٢ و ٤٠٣ / ح ٣٧٧.

القرب بعداً والوصال هجرأً، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيتي سوداء، فأني طوع يديك، وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع ما لي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة. فلمّا سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنّه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً، ولم يُرسل إليه رسولاً، وصيّره أبو سهل رضي الله عنه أحدوثة وضحكة ويطنز^(١) به عند كلّ أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه.^(٢)

(١) طنز يطنز طنزأً: كَلَّمَه باستهزاء. (هامش المصدر).

(٢) الغيبة لطوسي: ٤٠١ و ٤٠٢ / ح ٣٧٦.

المبحث الثاني:

ضرورة القضية المهدوية

قال الشيخ رحمته الله:

«... ونحن مع إيماننا بصحة الدين الاسلامي وأنه خاتمة الأديان الإلهية ولا نترقب ديناً آخر لإصلاح البشر، ومع ما نشاهد من انتشار الظلم واستشراء الفساد في العالم على وجه لا تجد للعدل والصلاح موضع قدم في الممالك المعمورة، ومع ما نرى من انكفاء المسلمين أنفسهم عن دينهم وتعطيل أحكامه وقوانينه في جميع الممالك الإسلامية، وعدم التزامهم بواحد من الألف من أحكام الإسلام - نحن مع كل ذلك لا بد أن ننتظر الفرج بعودة الدين الاسلامي إلى قوته وتمكينه من إصلاح هذا العالم المنغمس بغطرسة الظلم والفساد...»

يُشير الشيخ في هذا المقطع، إلى ضرورة ولزوم وجود يوم الظهور، أي ضرورة أن يأتي ذلك اليوم الذي يُزال فيه الظلم ويحلُّ محله العدل والقسط.

لسنا بحاجةٍ إلى الحديث عن ضرورة القضية المهدوية فضلاً عن إثباتها لمن يعتقد بالمدرسة الإمامية؛ لتسليمه المطلق بها حدَّ البدهة، وإنَّما الحديث عن ذلك لمن هو خارج هذه المدرسة اعتقاداً من عامة المسلمين، فضلاً عمَّن هو خارج دائرة الدين الإسلامي من معتنقي سائر الأديان السابوية الأخرى.

أولاً: إثبات ضرورة القضية المهدوية للعامة من المسلمين.

ويمكن إثبات ضرورتها بعدة طرق [غير ما تقدم من الاتفاق عليها وورود

النصوص المتواترة فيها] ولكننا سنتصر على ما ذكره الشيخ رحمته:

الدليل العقلي: دليل نقض الغرض.

ونقتصر فيه على المقدمات التي ذكرها الشيخ رحمته:

المقدمة الأولى: إنَّ آخر الأديان هو الإسلام، وأنَّه الدين الأصحَّ للبشرية.

وهذه المقدمة مسلَّمةٌ عند جميع المسلمين، ومن ينكرها يخرج عن الإسلام؛ لأنَّ القرآن الكريم صرَّح وبوضوح أنَّ النبي الأكرم صلَّى الله عليه وآله هو خاتم النبيين، والقول بأنَّ الإسلام ليس بآخر الأديان يستلزم القول بعدم خاتمية النبي الأعظم صلَّى الله عليه وآله، ومن ثم تكذيب القرآن، ومن يُكذِّب القرآن والنبي صلَّى الله عليه وآله فإنه يخرج عن الإسلام.

المقدمة الثانية: إنَّ أحد أهم أهداف الخلقة هو الوصول بالجن والإنس إلى العبادة

المطلقة لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

وهو ما لم يتحقق حتى الآن وجداناً.

المقدمة الثالثة: إنَّ الأرض كانت ولا زالت تتنُّ من الظلم وترضخ تحت الجور، وإنَّ الظلم والجور مستمران وباشتداد، وإنَّ الأرض لم تعيش يوماً من أيامها في عدلٍ ورخاء وسعادة وهناء بشكل مطلق، ولا غرو في ذلك؛ إذ لم يحكم جميع أرجائها الدينُ الحقُّ قط.

وعليه، فإنَّ استمرار الحياة على هذه الوتيرة من انعدام العدل وانتشار الظلم إلى الأبد، يؤدي إلى نقض الغرض من خلقها، أي إنَّ ذلك الغرض والهدف من خلقها والذي تقدَّم - الوصول بالجن والإنس إلى العبادة - لم يتحقق، وهذا يعني نقض الغرض من الخلقة.

(١) الذاريات ٥٦.

إشكالٌ وجواب: ربما يُشكل على دليلنا أحدٌ بالقول: ما الضير في انتقاض هذا الغرض أو الهدف؟

والجواب: إنَّ نقض الغرض يستلزم العبث، وإنَّ الله ﷻ حيث إنه حكيمٌ فهو منزّه عن العبث.

كما أنه يستلزم الكذب؛ لأنَّ الله ﷻ صرَّح بأنَّه لم يخلق الجن والإنس إلا ليعبدون، وهو (جلٌ وعلا) منزّهٌ عن الكذب أيضًا.

وعودٌ إلهية...

ومن الجدير بالذكر أنَّ الله ﷻ قد وعد بأمورٍ أخرى تتحقق في الحياة الدنيا غير وصول الثقلين من الجن والإنس إلى العبادة، ومنها:

١/ استخلاف الذين آمنوا في الأرض، قال ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

٢/ وراثة الأئمة الذين استضعفوا الأرض، قال ﷻ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢).

٣/ ظهور الدين الإسلامي على الدين كله، قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٣).
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُنِيرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

(١) النور ٥٥.

(٢) القصص ٥.

(٣) الصف ٩.

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾ .
 وفي آيةٍ أخرى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ
 وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾. (٢)

ومن المعلوم وجداناً عدم تحقق أيٍّ من هذه الأمور فيما مضى، كما لا يمكن الادعاء بتحقيق خصوص الظهور على الدين كله ولو في زمن النبي الأكرم ﷺ كما ذهب إلى ذلك البعض؛ لإطلاق ظهور الدين في الآية المباركة، مما يعني ظهوره على الدين كله في جميع أرجاء المعمورة.

وهذا ما لا يمكن أن يتحقق إلا بالظهور المهدي، وبما أن عدم تحققها خلفاً للوعد الإلهي، وخلف الوعد قبيح عليه (جل شأنه)، فتثبت بذلك ضرورة القضية المهديوية أيضاً.
 والنتيجة إذاً:

لابد أن يأتي يومٌ ينتشر فيه الإسلام في ربوع الأرض تحقيقاً للغرض الإلهي، ويصل الناس كل الناس إلى مرحلة (ليعبدون)، وهذا هو ما نسميه بيوم الظهور.
 وبه يتضح أن البشرية تسير تلقائياً باتجاه نحو يوم الظهور.

وأن هذا اليوم الذي سيحقق فيه الهدف الإلهي لا يمكن أن يتحقق إلا على يدي رجل إلهي ومصلح عظيم بعيد عن الخطأ وصاحب حنكة وحكمة وذو علم عظيم، يستطيع به ردّ الشبهات وكشف الواقع، وهو عبارة عن العصمة، إذ لو لم يكن كذلك فإن احتمال خطئه وانحراف مسيرته واردٌ جداً، وبالتالي لا يتحقق ذلك الهدف على يديه، وهذه النتيجة هي ما يمكن أن يكون ترجمة لما روى عن الامام الباقر عليه السلام من قوله: دولتنا

(١) التوبة ٣٢ و ٣٣.

(٢) الفتح ٢٨.

آخر الدول، ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله ﷻ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).^(٢)

إذاً لا بد أن يتحقق هذا الغرض في يوم من الأيام، وهذا اليوم هو الذي نسميه اليوم الموعود وهذا هو ما ذكرته الروايات الشريفة عن عمار بن موسى السباطي عن الإمام الصادق ﷺ قال عمار: سمعته وهو يقول ﷻ: «لم تخل الأرض منذ كانت من حجه عالماً يُحيي فيها ما يُميتون من الحق ثم تلا هذه الآية: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾»^(٣).

وفي رواية أخرى عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله الصادق ﷻ في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم ﷻ فإذا خرج القائم ﷻ لم يبق كافرٌ بالله العظيم ولا مشركٌ بالأمام إلا كره خروجه»^(٤).

المقصود من الإظهار في الآية:

ذكرت الآيات المتقدّمة أنّ الغاية من إرسال النبي ﷺ هو إظهار الإسلام على كل الأديان، بمعنى غلبته، ولكن ما هو المقصود من هذا الإظهار وهذه الغلبة؟ يمكن أن يُذكر هنا ثلاثة معانٍ نعرضها لنعرف المناسب منها:

الأول: الإظهار والغلبة المنطقية.

مما لا شك فيه لو دار نقاش بين الإسلام وبين بقية الأديان لرجحت كفة الإسلام

(١) القصص ٨٣.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي ص ٤٧٢ ح ٤٩٣.

(٣) كمال الدين، ص ٢٢١، باب ٢٢، حديث رقم ٤.

(٤) كمال الدين، ص ٦٧٠، باب ٥٨، حديث، ١٦.

على غيره؛ لما فيه من قوانين منطقية ثابتة وقواعد واقعية بالإضافة إلى خلوه من الخرافات والتحريفات التي ابتليت بها بقية الأديان بعد التحريف.

وهذا المعنى صحيح، لكن ليس هو المراد من الإظهار في هذه الآية؛ لأنه موجودٌ وثابتٌ منذ الصدر الأول للإسلام، والآية في صدد الحديث عن أمر مستقبلي، وقد مرَّ ذكر الرواية التي قالت: ما نزل تأويلها بعد.

الثاني: إظهار الإسلام وغلبته على الأديان ولو على بعض الأرض.

وهذا المعنى تحقق في الأزمنة الماضية في الحجاز والعراق وبلاد فارس وغيرها. ولكنه ليس المقصود من الآية؛ لأن الآية تتحدث عن إظهاره على الدين كله، وليس على بعض الدين.

الثالث: إظهار الإسلام وغلبته على سائر الأديان وعلى كل الأرض.

وهذا هو المناسب مع الآية الكريمة، وهو المعنى الذي صرّحت به الروايات الشريفة، منها ما روي عن عباية بن ربعي: «أنَّه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول في تفسير الآية وكأنَّه يتساءل مع بعض أصحابه: أ ظهر ذلك بعد؟ قالوا: نعم، فقال عليه السلام: كلا والذي نفسي بيده حتى لا يبقى قرية إلا ونودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عليه السلام رسول الله بكرةً وعشياً»^(١).

وفي روايةٍ أخرى عن ابن عباس في نفس الآية قال: «لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملة إلا دخل في الإسلام... وذلك قوله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ وذلك يكون عند قيام القائم»^(٢).

(١) تأويل الآيات الظاهرة/ ج ٢/ ص ٦٨٩/ ح ٨.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة/ ج ٢/ ص ٦٨٩/ ح ٩.

ثانياً: إثبات ضرورة القضية المهدوية لمعتنقي سائر الديانات الإلهية الأخرى.

لم يذكر الشيخ رحمته كيفية إثبات ضرورة القضية المهدوية لمعتنقي سائر الديانات الأخرى؛ لأنه لم يكتب هذا الكتاب المبارك لإثبات عقائدنا في مقابل الأديان الأخرى، بل لإثباتها في مقابل العامة.

ولكن إتماماً للفائدة نقول:

بإمكاننا أن نستدل لغير المسلم عليها بطريقتين هما:

الأول: بالدليل العقلي المتقدم.

ولكن ينبغي قبل ذلك أن نثبت خاتمة نبوة النبي الأكرم عليه السلام، وكذا خاتمة الدين الإسلامي.

الثاني: بالأدلة النقلية الواردة في الكتب المسيحية أو اليهودية أو غيرها.

المبحث الثالث:

شخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بين المدرستين

المطلب الأول: أهم الفروق بين المدرستين في شخصيته عليه السلام.

قال الشيخ عليه السلام:

«غير أنَّ الفرق بين الإمامية وغيرها هو أنَّ الإمامية تعتقد أنَّ هذا المصلح المهدي هو شخصٌ معينٌ معروفٌ، ولد سنة ٢٥٦ هـ ولا يزال حيًّا^(١)، هو ابن الحسن العسكري، واسمه محمد، وذلك بما ثبت عن النبي وآل البيت عليهم السلام من الوعد به، وما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه...».

بعد أن أشار الشيخ عليه السلام إلى أنَّ القضية المهدوية من المسائل التي اتفقت عليها كلمة المسلمين بصورة عامة، أشار في هذا المقطع إلى أنَّ هناك اختلافًا بينهم في تفاصيل هذه القضية، كما في بقية المسائل الأخرى كالصلاة مثلاً، فإنه وإن كان الاتفاق بين المدرستين حاصلًا على وجوبها، وعددها، وعدد ركعاتها، إلا أنَّهما اختلفتا في بعض تفاصيلها، ككون البسملة جزءًا من السورة أو لا؟ وهل تُقرأ جهرًا أو إخفًا؟ وهل الواجب في الصلاة هو التكتف أو إسبال اليدين؟ وهل يجوز الجمع بين صلاتي الظهرين أو العشاءين في غير السفر أو لا؟ وما إلى ذلك

والقضية المهدوية هي الأخرى وإن تمَّ الاتفاق عليها بشكل عام، إذ يعتقد الجميع بلا بُدِّية وجوده في آخر الزمان ليملاً الأرض قسطًا وعدلاً بعد أن مُلأت ظلماً وجورًا،

(١) إلا أن المشهور هو أنه ولد سنة (٢٥٥) للهجرة.

لكن الاختلاف موجودٌ أيضًا في التفاصيل ومن عدة جهات، من قبيل: علامات الظهور، وما هو الواجب على الإنسان في التمهيد لعملية الظهور، والاختلاف في شخص المهدي.

ولأهمية الاختلاف الأخير، فقد اختاره الشيخ عليه السلام لتسليط الضوء عليه، حيث ذكر عدة فروقٍ في شخص الإمام المهدي فيما يعتقدُه العامة وما يعتقدُه الخاصة، وروماً للإيجاز سنقتصر على ذكرها وهي:

الفرق الأول: أن المهدي عند الشيعة هو من ولد الإمام الحسين عليه السلام، وأمّا عند العامة فهو من ولد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

الفرق الثاني: أن المهدي عند الشيعة اسمه (محمد بن الحسن)، وأمّا عند العامة فاسمه (محمد بن عبد الله).

الفرق الثالث: أن المهدي عند الشيعة كان قد وُلِدَ سنة (٢٥٥ أو ٢٥٦) للهجرة، وما زال حيّاً إلى أن يُظهِرَه اللهُ (تعالى) في الوقت الذي لا يعلمه إلا هو عليه السلام، وأمّا عند العامة فإنّه يُولَدُ في آخر الزمان.

الفرق الرابع: أن المهدي حيٌّ منذ ولادته وحتى وفاته بعد ظهوره المبارك وملئه الأرض قسطاً وعدلاً، ومن ثم فهو الآن حيٌّ بالقطع واليقين عند الشيعة، على حين لا تقول العامة بحياته الآن؛ لأنهم لم يؤمنوا بولادته، فضلاً عن طول عمره. وعليه، فلربما كان حيّاً عندهم فيما إذا قرب الظهور، وربما لا يكون كذلك فيما إذا كان الظهور بعيداً.

الفرق الخامس: أن المهدي عند الشيعة ينصره الله (تعالى) بالملائكة^(١)، وبالأولياء الذين سُرِّجِعَهُم اللهُ (تعالى) بإذنه^(٢)، وأمّا المهدي عند العامة فلم أجد أنهم يذكرون له

(١) الغيبة للنعماني: ٢٣٩ و٢٤٠ / باب ١٣ / ح ٢٢.

(٢) الإرشاد للمفيد ٢: ٣٨٦.

هذه النصره، خصوصاً وأتهم لا يؤمنون بالرجعة أصلاً.

الفرق السادس: أن مهدي الشيعة معصومٌ، كما هو الحال في النبي الأعظم ﷺ، أما مهدي السنة فليس بالضرورة أن يكون معصوماً.

الفرق السابع: أن المهدي عند الشيعة يقوم بتجهيزه بعد موته الإمام الحسين ﷺ، وأما عند العامة فليس كذلك؛ لأنهم لا يؤمنون بالرجعة كما أسلفنا.

وهذه هي أوضح الفروق بين المدرستين فيما يخص شخص الإمام المهدي ﷺ.

المطلب الثاني: من أدلة ولادة الإمام المهدي ﷺ.

قال الشيخ رحمه الله: «وهذا ما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه».

أولاً: العامة وولادة الإمام المهدي ﷺ

بادئ ذي بدء لا بُدَّ من الإشارة إلى أن الأصل في الإنسان هو عدم الولادة، فإن ادَّعيَ خلاف ذلك طُلب الدليل، وعليه فلا غرو في مطالبة العامة إيانا بالدليل، لكن فيما لو عدموا الأدلة على ولادته في كتبهم ورواياتهم.

بيد أن الأمر على خلاف ذلك؛ لسببين:

الأول: إثبات العديد من علمائهم ولادته ﷺ سنة ٢٥٥ هجرية، فقد اعترفوا بوجود ولدٍ للإمام العسكري ﷺ، ولم يذكروا أنه توفي البتة، مما يعني أنه لازال على قيد الحياة. وهم علماءٌ كثرٌ، أحصاهم بعض الباحثين فكانوا أكثر من تسعة وخمسين عالماً، ومنهم -على سبيل المثال لا الحصر-

١/ ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة في ترجمة الإمام العسكري ﷺ: قال: «ولم يُخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن

آتاه الله فيها الحكمة، ويسمى القائم المنتظر»^(١).

٢/ ابن خلكان في وفيات الأعيان: قال في ترجمة الإمام العسكري عليه السلام ما نصّه: «أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن الرضا بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، وهو والد المنتظر صاحب السرداب ويعرف بالعسكري، وأبوه علي يعرف أيضاً بهذه النسبة»^(٢).

٣/ ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، قال: وروى ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت يرفعه بسنده إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: الخلف الصالح من ولد أبي محمد الحسن بن عليّ العسكري، وهو صاحب الزمان القائم وهو المهدي... ولد أبو القاسم محمد بن الحجة بن الحسن الخالص بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة، وأمّا نسبه أباً وأمّاً فهو: أبو القاسم محمد بن الحجة بن الحسن الخالص ابن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم أجمعين).

وأما أمّه فأُمّ ولد يقال لها نرجس خير أمة، وقيل اسمها غير ذلك. وأما كنيته فأبو القاسم، وأمّا لقبه فالحجة والمهدي والخلف الصالح والقائم المنتظر وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي^(٣).

الثاني: إن ما ورد من روايات في كتبهم حول المهدي، عبرت عنه بما يتلاءم مع كونه مولوداً غائباً ويظهر عند الوقت المعلوم عند الله تعالى، وذلك لمجيئها بلفظ (يظهر

(١) الصواعق المحرقة لأحمد بن حجر الهيتمي المكي ص ٢٠٨.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج ٢ ص ٩٤.

(٣) الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي ص ١١٠٢ - ١١٠٤.

في آخر الزمان)، ولا توجد ولو رواية واحدة تعبر بأنه (يولد في آخر الزمان)، ومن الواضح أن (يظهر) تتناسب مع كونه قد ولد سابقاً وغاب ثم ظهر. وعليه، فلا يصح منهم الادعاء بما يخالف هذين الأمرين إلا بعد دحضهما، ولما لم يتمكن علماءهم من ذلك، فلا يحقُّ لهم ادعاء عدم ولادته، فإن ادعوا - وإنهم لفاعلون - فقد خالفوا أصول الاستدلال وقواعده، وحينئذٍ لا قيمة لدعواهم في الميزان العلمي.

ثانياً: من أدلة الإمامية على ولادة الإمام المهدي عليه السلام.

الدليل الأول: حديث الثقلين:

وهو من الأحاديث المتواترة والتي لا يستطيع أحدٌ أن ينكر صدوره عن الرسول ﷺ؛ فقد رواه الترمذي في صحيحه بإسناده عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(١).

فقد صرح الرسول ﷺ فيه بامتناع افتراق العترة عن القرآن بقوله: «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، أي إلى يوم القيامة.

وهذا يعني دوام وجود عترة الرسول الأكرم ﷺ ما دام القرآن موجوداً، والمراد من العترة في الحديث ليس هو عموم ذرية النبي ﷺ، بل خصوص الأئمة المعصومين عليهم السلام الذين هم أمانٌ لأهل الأرض كما أن النجوم أمانٌ لأهل السماء.

وعليه، فإن قلنا بعدم وجود أحدٍ من عترة النبي ﷺ، فهذا يعني أن القرآن الكريم غير موجود، والتالي باطلٌ؛ لوجود القرآن، فالمقدم معه في البطلان.

(١) سنن الترمذي/ج ٥/ص ٦٦٣/ رقم ٣٧٨٨.

وإن قلنا بوجود القرآن دون العترة، فهو تكذيب للنبي ﷺ، وهذا هو والكفر سواء. إذن لا بد من وجود أحد من عترة النبي ﷺ مع القرآن الكريم، وهذا هو المطلوب. ولحديث الثقلين دلالات أخرى، منها الدلالة على عصمة الأئمة لأن القرآن معصوم، وغيرها، ولكن أعرضنا عنها؛ فلتطلب في مظاتها.

والخلاصة: أن الحديث يصرح بوجود قرين للقرآن الكريم يكون مع القرآن حبلاً لنجاة المسلمين، من يتمسك به يرفعه عن مستنقع الظلام والضلالة، ومن يعرض عنه فإنه يهوي فيهما، وذلك الرجل في زماننا الحاضر هو الإمام المهدي ﷺ.

الدليل الثاني: روايات عدم خلو الأرض من حجة.

تُفيد مجموعة كبيرة من الروايات -المتفق عليها- معنى واحداً، وهو: عدم خلو الأرض من حجة، فإن خلت ساخت وماجت بأهلها، ومنها:

ما روي عن مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: «قُلْتُ لَهُ: أَتَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: فَإِنَّا نُرَوِّى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهَا لَا تَبْقَى بِغَيْرِ إِمَامٍ إِلَّا أَنْ يَسْخَطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ أَوْ عَلَى الْعِبَادِ؟ فَقَالَ: لَا، لَا تَبْقَى، إِذَا لَسَاخَتْ»^(١).

كما جاء في بعض الروايات بأن الله ﷻ في آخر الزمان يرفع الحجة من الأرض وبعد أربعين يوماً تنتهي الدنيا وتقوم القيامة.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما زالت الأرض والله فيها حجة يعرف الحلال والحرام، ويدعو إلى سبيل الله، ولا ينقطع الحجة من الأرض إلا أربعين يوماً قبل يوم القيامة، فإذا رفعت الحجة أغلق باب التوبة ولم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجة

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ١٧٩ بَابُ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تُخْلُو مِنْ حُجَّةٍ - ح ١١ ..

وأولئك شرار من خلق الله، وهم الذين يقوم عليهم القيامة»^(١).

وبما أن الأرض لم تسخ ولم تثج بأهلها بعد، فهذا يدل ذلك على وجود حجة على الأرض هو صمام الأمان لها ولأهلها. والمقصود من الحجة هو من له علاقة خاصة بالسماء، أي من جعله الله تعالى حجة على الأرض، وكان معصوماً، والمتمثل بالإمام المهدي المنتظر في زماننا الحاضر.

الدليل الثالث: روايات: من مات أو بات ولم يعرف إمام زمانه فميتته جاهلية.

وهي متواترة بين العامة والخاصة تواتراً معنوياً، بمعنى وحدة المعنى وإن تعددت واختلفت الألفاظ، ولربما تواتر بعضها تواتراً لفظياً أيضاً.

وبناءً على ادعاء العامة، لو كان إمام الزمان غير مولود بعد، لكانت ميتة الناس كلهم ميتة جاهلية. وهو خلاف اللطف الإلهي والصفات الكمالية لوجوده (جلّ وعلا)، وخلف تلك الروايات.

ومن تلك الروايات هي التالي:

عن أبان بن تغلب، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من عرف الأئمة ولم يعرف الإمام الذي في زمانه مؤمن هو؟ قال: لا، قلت: أمسلم هو؟ قال: نعم»^(٢).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية»^(٣).

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «من مات لا يعرف إمامه، مات ميتة جاهلية كفر ونفاق وضلال»^(٤).

(١) المحاسن للبرقي ج ١ ص ٢٣٦ باب ٢٢ باب حجج الله على خلقه ح ٢٠٢.

(٢) كمال الدين للصدوق: ٤١٠ / باب ٣٩ / ح ٣.

(٣) كمال الدين للصدوق: ٤١٣ و ٤١٤ / باب ٣٩ / ح ١٥.

(٤) الإمامة والتبصرة لابن بابويه: ٨٢ / ح ٦٩.

الدليل الرابع: روايات الاثني عشر إماماً أو وصياً كلهم من قريش.

وهي من الروايات الموجودة في صحاح العامة^(١)، ولا خلاف فيها. فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر بن سمرة أنّ النبي ﷺ قال: «يكون اثني عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنه قال: كلهم من قريش»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ حديث الأئمة الاثني عشر بشأنية طرق وبألفاظ مختلفة؛ غير أنّها متفقة جميعاً في «اثني عشر» و «كلهم من قريش»؛ منها: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً... كلهم من قريش»^(٣).

ولو بحثنا عن مصداق لها في كل من ادعوا الخلافة من بني أمية وبني العباس وسواهم فلن نجد إلا تيهًا عندهم وضياعاً في تحديد الاثني عشر خليفة. ولا غرو في ذلك، فمهما شرّقوا أو غربوا فلن يجدوا من تنطبق عليه سوى أئمة أهل البيت الاثني عشر المعصومين عليهم السلام، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم الإمام المهدي عليه السلام. ولو لم يكن مولوداً لاستلزم ذلك اشتباه النبي الأعظم عليه السلام، وحيث إنه معصومٌ -ولو في نطاق التبليغ كما ذهب إليه العامة-، فلا بد من ولادة ولدٍ للإمام الحسن العسكري عليه السلام.

روي عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خلفائي وأوصيائي، وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر: أولهم أخي وآخرهم ولدي، قيل: يا رسول الله ومن أخوك؟ قال: علي بن أبي طالب، قيل: فمن ولدك؟ قال: المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق نبياً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي

(١) للتفاصيل انظر: الكلام الإسلامي المعاصر ج ٣ ص ٢٠٦ - ٢٠٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، حديث ١١٤٨؛ سنن الترمذي، ج ٤، ح

٢٢٢٣؛ مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ٧١٥، ح ٦٥٨٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ١.

خلفه، وتشرق الأرض بنوره ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»^(١).

المطلب الثالث: طول عمر الإمام عليه السلام.

قال عليه السلام: «ولا يخلو من أن تكون حياته وبقاؤه هذه المدة الطويلة معجزةً جعلها الله ﷻ له، وهي ليست بأعظم من معجزة أن يكون إمامًا للخلق وهو ابن خمس سنين يوم رحل والده إلى الرفيق الأعلى، ولا هي بأعظم من معجزة عيسى إذ كلم الناس في المهدي صبيًا وبعث في الناس نبيًا. وطول الحياة أكثر من العمر الطبيعي -أو الذي يُتخيّل أنه العمر الطبيعي- لا يمنع منها فن الطب ولا يحيلها، غير أن الطب لم يتوصل إلى ما يُمكنه من تعمير حياة الإنسان، وإذا عجز عنه الطب فإن الله ﷻ قادرٌ على كلِّ شيءٍ وقد وقع فعلاً تعمير نوح وبقاء عيسى عليه السلام كما أخبر عنهما القرآن الكريم، ولو شكّ الشاك فيما أخبر عنهما القرآن فعلى الإسلام السلام. ومن العجب أن يتساءل المسلم عن إمكان ذلك وهو يدّعي الإيمان بالكتاب العزيز»

تقدّم إثبات أن الإمام المهدي عليه السلام قد ولد سنة ٢٥٥ هـ، ولم تثبت وفاته، بل لم يُقل بها أحدٌ، وهذا يلزم منه القول إنّه ما زال حيًّا، وقد تجاوز عمره الشريف ١٢٨٠ سنة^(٢). وهو عمرٌ لا يعسر على المؤمن بقدره الله ﷻ حقًا التصديق به، فضلًا عن أدلةٍ أخرى ستعرض لها لاحقًا، ولكن مخالفي المدرسة الإمامية جعلوه من المستحيلات، مثيرين بشأنها شبهةً من الشبهات؛ ليجعلوا من عقيدة شيعة أهل البيت عليهم السلام عقيدة خرافية لا حقيقة لها.

وللرد على هذه الشبهة لا بُدَّ من التطرق إلى أسئلةٍ مهمة والجواب عنها، وهي:

ما الضابط في كون أمرٍ ما مستحيلًا؟

(١) كمال الدين للشيخ الصدوق ص ٢٨٠ باب ٢٤ ح ٢٧.

(٢) في فترة طرح هذه الدروس.

وهل يمكن للإنسان أن يُعمّر عمراً يتجاوز ١٢٨٠ سنة أم أن ذلك مستحيل؟

وما الأدلة على إمكانه فيما لو كان ممكناً؟

أولاً: متى نحكم على أن شيئاً ما مستحيل؟

الجواب: نحكم على أن شيئاً ما مستحيل وغير ممكن في حالتين لا ثالث لهما:

الأولى: عند مخالفته قانوناً عقلياً، نحو: مخالفته قانون اجتماع النقيضين، أو مخالفته

لقانون أن الكل أعظم من الجزء، أو مخالفة ضرورة كون الطرف أكبر من المظروف.

الثانية: عند مخالفته ضرورة شرعية أو حكماً ثابتاً شرعياً، نحو: كون الصلاة واجبةً،

وكون الخمر حراماً.

وطول عمر الإنسان ليس فيها أية مخالفة للقانون العقلي ولا للضرورة الشرعية،

فليس من المستحيل أن يعمر إنسان ما لآلاف السنين.

ثانياً: هل يمكن للإنسان أن يُعمّر عمراً يتجاوز ١٢٨٠ سنة؟

الجواب: من الممكن ذلك للتالي:

١/ الدليل الشرعي:

من المعلوم أن من لم يؤمن بوجود شجرة فمن البديهي أن يُنكر وجود ثمرتها.

وعليه، ففي خصوص إثبات إمكانية طول عمر الإمام المهدي عليه السلام فإننا لا نناقش ملحدًا

لا يقر بوجود الله تعالى، ولا نناقش من لا يعتقد بالكمال المطلق لله تعالى والقدرة المطلقة له،

فلا موضوعية للكلام معهما في طول عمر الإمام عليه السلام.

وإنما كلامنا يقع في دائرة المعتقدين به عليه السلام والمؤمنين بقدرته إيماناً مطلقاً، فنقول: ما

المانع الذي يمنع من طول عمر الإمام عليه السلام إذا كان الله تعالى هو من أراد ذلك؟ وحينئذٍ لا

يخلو الجواب من أحد الأمرين:

إما أن يُجيب بسؤالٍ مفاده: وما هي خصوصية الإمام المهدي عليه السلام؛ ليطيل الله عمره؟
والجواب: إنَّ له خصوصيةً، وهو أنه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما
ملئت ظلماً وجوراً، الأمر الذي يقتضي توفر الظروف وفق العلم والحكمة الإلهية، وقد
يستلزم إطالة العمر، كما هو الواقع في اعتقادنا.

أو يتمسك بأنَّ طول العمر بهذا الحد خلاف المعتاد.

والجواب: طالما تعلقت به قدرة الله تعالى، فليكن من خلاف المعتاد، إذ ما المانع من
الإعجاز الإلهي نفسه؟!

٢ / الدليل الطبي:

إنَّ الطبَّ لم ينفِ إمكانية طول عمر الإنسان، ولم يقل باستحالته، بل نسمع اليوم
عن محاولاتٍ طبيةٍ علميةٍ لإطالة عمر الإنسان، ولو كانت أمراً مستحيلاً لما سعى إليها
الطب، ولما هدر العلماء وقتهم وجهدهم. فقد نُقل عن الدكتور الأمريكي كي لورد
أنَّه قال: إنَّ علم الطب في هذا اليوم بمعونة علم التغذية رفع الموانع والحدود التي تمنع
البشر من أن يُعمروا، ونحن اليوم على خلافٍ ما كان عليه أجدادنا وآباؤنا نأمل أن
نعيش أعماراً طويلة.

كما نُقل أن الدكتور جورج رئيس الجامعات في المانيا قام بالتحقيق على نباتٍ طفيلي
(سابرولينا مسكتا) وهذا النبات يعيش على ظهر الذباب الأزرق وعمره لا يتجاوز
الأسبوعين، ولكن عندما زرعه في ظروفٍ خاصة، عاش لست سنواتٍ، بمعنى أنَّه
ضاعف عمره ١٠٩٢٠ مرةً، أي ما يُقارب أحد عشر ألف مرة!

وعليه فلو ضاعفنا عمر الإنسان الطبيعي إلى عشرة آلاف مرة، لكان خمسين ألف

سنة - كمعدل -، فما المانع من أن الله تعالى يضاعف عمر الإمام المهدي عليه السلام؟!

٣ / الدليل التاريخي:

فقد ثبت تاريخياً أنَّ هناك معمرين عاشوا أكثر من الأعمار الطبيعية للإنسان، مثل الخضر عليه السلام، الذي عاصر النبي موسى عليه السلام، وقد ذكر لنا القرآن الكريم قصته المعروفة معه، ولا زال حياً حتى الآن.

والنبي عيسى عليه السلام فإنه طبقاً لعقيدتنا تمَّ رفعه إلى السماء وحتى الآن ما زال حياً. والنبي نوح عليه السلام الذي قال عنه القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾^(١) وهذه مدة دعوته إلى الله تعالى فقط.

كما أنَّ النبي آدم عليه السلام كان عمره ٩٣٠ سنة.

والنبي سليمان عليه السلام في رواية كان عمره ١٠٠ سنة، وفي رواية أخرى ١٧١٢ سنة.

ونبي الله شيث عليه السلام كان عمره ٩٢٠ سنة.

ونبي الله هود عليه السلام ٦٧٠ سنة.

بل ولم يقتصر طول العمر على الصالحين فقط، فقد قيل: إنَّ شداد بن عاد عاش ٩٠٠ سنة، وعمر بن عامر عاش ٨٠٠ سنة.^(٢)

فإذا، فضلاً عن الإمكان العقلي والشرعي فإنَّ هناك شواهد من الواقع على وقوع طول العمر، ولا يرفض هذا الأمر إلا من يخالف وجدانه.

(١) العنكبوت ١٤

(٢) راجع التفاصيل: كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق، الباب الرابع والخمسون: ذكر المعمرين.

الانتظار المهدوي

المطلب الأول: فضل الانتظار^(١)

من عادة العاقل أنه لا يخطو خطوة إلا إذا حسب لها حسابها الخاص، وعرف ما سيجنيه منها، وهذه العادة عمّت حتى المقولات الدينية، ولذا نرى أن أصحاب كل حركة أو مذهب، أول ما يعلنون فإنهم يعلنون عمّا سيجنيه الفرد من فوائد وأرباح من أتباعه لهم..

وقد جرى الدين الحق في ذلك هذا المجرى، وخصّص جزءاً كبيراً من أديباته وتربوياته في آياته ورواياته لبيان الفوائد _ الدنيوية والأخروية _ المترتبة على دين الحق، وذكر الجنة وما فيها من نعم لا تُعدُّ ولا تُحصى تصبُّ في هذا المعنى..

وعلى نفس هذا السياق، جاءت الروايات الشريفة لتؤكد فضل الانتظار والمتظرين، وهي روايات كثيرة جداً، ويمكن استخلاص عدّة عناوين لذلك الفضل:

١ _ إن الانتظار من أفضل العبادات وأحبّها إلى الله تعالى:

فعن موسى بن بكر الواسطي، عن أبي الحسن، عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله ﷻ»^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأربعمائة: «انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح

(١) شذرات مهدوية- الشيخ حسين الأسدي ص ١٣١ - ١٣٤.

(٢) كمال الدين: ٦٤٤ / باب ٥٥ / ح ٣.

الله، فإنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله ﷻ انتظار الفرج ما دام عليه العبد المؤمن...»^(١).

ومن هنا فقد رُتبت الروايات الكثير من الآثار العظيمة على عبادة الانتظار، فعن العلاء بن سيابة، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: «من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان في فسطاط القائم ﷺ»^(٢).

وعن أبي بصير ومحمد بن مسلم، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين ﷺ، قال: «المنتظر لأمرنا كالمشحط بدمه في سبيل الله»^(٣).

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «الآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس، والمنتظر لأمرنا كالمشحط بدمه في سبيل الله»^(٤).

وعن عمرو بن ثابت، قال: قال سيّد العابدين ﷺ: «من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله ﷻ أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأُحد»^(٥).

وعن جابر الجعفي، عن أبي جعفر الباقر ﷺ أنه قال: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إن أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم البارئ ﷻ فيقول: عبادي وإمائي! آمتتم بسرّي وصدّقتم بغيبّي، فأبشروا بحسن الثواب منّي، فأنتم عبادي وإمائي حقاً، منكم أتقبل، وعنكم أعفو، ولكم أغفر، وبكم أسقي عبادي الغيث، وأدفع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي»، قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله، فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك

(١) الخصال: ٦١٦.

(٢) كمال الدين: ٦٤٤ / باب ٥٥ / ح ١.

(٣) كمال الدين: ٦٤٥ / باب ٥٥ / ح ٦.

(٤) الخصال: ٦٢٥ / حديث الأربعائة.

(٥) كمال الدين: ٣٢٣ / باب ٣١ / ح ٧.

الزمان؟ قال: «حفظ اللسان، ولزوم البيت»^(١).

٢_ إنَّ الانتظار هو الأمل الذي تُحْيِي به النفوس، وهو ما عبَّرت عنه الروايات بأنَّ انتظار الفرج هو الفرج بعينه:

فعن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «سألته عن شيء من الفرج، فقال: أوليس تعلم أنَّ انتظار الفرج من الفرج؟ إنَّ الله يقول: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾^(٢)»^(٣).

وعن الحسن بن الجهم، قال: «سألت أبا الحسن عليه السلام عن شيء من الفرج، فقال: أولست تعلم أنَّ انتظار الفرج من الفرج؟، قلت: لا أدري إلا أن تُعلمني، فقال: نعم، انتظار الفرج من الفرج»^(٤).

٣_ إنَّ الانتظار سبب القرب الإلهي:

فعن المفصل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أقرب ما يكون العباد من الله جلَّ ذكره، وأرضى ما يكون عنهم، إذا افتقدوا حجة الله ﷻ ولم يظهر لهم ولم يعلموا مكانه، وهم في ذلك يعلمون أنَّه لم تبطل حجة الله جلَّ ذكره ولا ميثاقه، فعندها فتوقَّعوا الفرج صاحباً ومساءً، فإنَّ أشدَّ ما يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حجته ولم يظهر لهم، وقد علم أنَّ أوليائه لا يرتابون، ولو علم أنَّهم يرتابون ما غيَّب حجته عنهم طرفه عين، ولا يكون ذلك إلا على رأس شرار الناس»^(٥).

(١) كمال الدين: ٣٣٠ / باب ٣٢ / ح ١٥.

(٢) الأعراف: ٧١

(٣) تفسير العياشي ٢: ١٣٨ / ح ٥٠.

(٤) الغيبة للطوسي: ٤٥٩ / ح ٤٧١.

(٥) الكافي ١: ٣٣٣ / باب نادر في حال الغيبة / ح ١.

٤_ إنَّ الانتظار سبب لتكامل العقول والمعرفة:

فعن أبي خالد الكابلي، عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «... ثمَّ تمتدُّ الغيبة بوليِّ الله صلى الله عليه وآله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده. يا أبا خالد، إنَّ أهل زمان غيبته، القائلين بإمامته، والمتظرين لظهوره أفضل من أهل كلِّ زمان، لأنَّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله صلى الله عليه وآله سرّاً وجهرّاً...»^(١).

٥_ إنَّ الانتظار مخرج من المهلكات، وباب رزق _ معنوي ومادّي _ من الله تعالى، وهو موجب لرحمة الله تعالى:

عن عبد الحميد الواسطي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام، قال: قلت له: أصلحك الله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر، فقال عليه السلام: «يا عبد الحميد، أترى من حبس نفسه على الله صلى الله عليه وآله لا يجعل الله له مخرجاً؟ بلِ والله ليجعلنَّ الله له مخرجاً، رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا»، قال: قلت: فإن متُّ قبل أن أدرك القائم؟ قال: «القائل منكم أن لو أدركت قائم آل محمد نصرته، كان كالمقارع بين يديه بسيفه، لا بل كالشهيد معه»^(٢).

المطلب الثاني: الفوائد التربوية للانتظار.^(٣)

لانتظار وجهتان: وجهة فردية، وأخرى اجتماعية.

والانتظار في وجهته يُمثل حالة من الصراع النفسي، وعملاً باستمرار وجهد

(١) كمال الدين: ٣٢٠ / باب ٣١ / ح ٢.

(٢) كمال الدين: ٦٤٤ / باب ٥٥ / ح ٢.

(٣) شذرات مهدوية- الشيخ حسين الأسدي- ص ١٣٨ - ١٤٠.

ونصب إلى أن يسيطر المؤمن على شهواته، ويجعل قيادة وجوده بيد عقله الواعي، فإذا عرفنا أن الانتظار هو عبادة من العبادات، بل هو من أفضلها _ كما تقدّم قبل قليل _ حينئذٍ أمكننا الجزم بفائدة الانتظار على المستوى الفردي، ويمكن تلخيص ذلك بـ:

١ _ إن الانتظار يُمثّل عملاً عبادياً مهمّاً، فإذا اقترن بالنية الخالصة ترتّب عليه الثواب العظيم، وما يستتبعه من لطف إلهي خفي وظاهر، ومن توفيق للعمل وفق فطرة الدين.

٢ _ والانتظار _ حاله في ذلك حال بقیة العبادات _ يصبُّ في عملية بناء الفرد بناءً متكاملًا، وليس الفرد فقط بل والمجتمع، فإن الدين عموماً جاء من أجل هذه الغاية، خصوصاً عندما يُتعرّف على المعنى الصحيح للانتظار..

٣ _ والانتظار _ بمعناه الصحيح _ يُمثّل شعلة أمل تبثُّ إلى النفس قوّة العمل، ووهج نور ينير الطريق بالاتّجاه الصحيح، ذلك أن المؤمن المنتظر لا بدّ وأن يتعايش مع المجتمع المنحرف، ذلك المجتمع الذي يكون المؤمن فيه (كالقابض على جمرة بيده)، وأنت تعرف حالة القابض على جمرة! خصوصاً إذا علمنا أنّه لا يمكنه الاستغناء عن تلك الجمرة، إذ أنّه لا يرى وجوده وكيانه إلّا بالقبض عليها^(١)!

وإنسان بهذه الصفة يعيش حالة من الاضطراب والألم، وصراعاً نفسياً عظيماً،

(١) عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: اللهم لقني إخواني مرّتين، فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال: لا إنكم أصحابي، وإخواني قوم من آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يُخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدهم أشدّ بقیة على دينه من خراط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمرة الغضا، أولئك مصابيح الدجى، ينجيهم الله من كلّ فتنة غبراء مظلمة». (بصائر الدرجات: ١٠٤ / باب في رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه عرف ما رأى في الأظلمة والذرّ وغيره/

بين اتّجاهين في وجوده: اتّجاه يناديه: ألق ما في يدك، وعش بحريّة مع الناس، وفق مبدأ (حشر مع الناس عيد)، واتّجاه يناجيه: اثبت على مبدئك، ولا تحشّ الناس، إنّ الله معك.

في صراع كهذا، يأتي الانتظار ليلقي بالصبر والأمل في قلب المؤمن، ليجعله ليس فقط يتحمّل أذى الجمرة، وإنّما ليجعله يعيش حالة من اللذة والفرح بقبضه عليها، ذلك عندما يرى كثرة الساقطين في الطريق، وهو يرى نفسه ثابتاً في خطواته على طريق الحقّ. إنّ من الآثار المهمّة للاعتقاد بوجود الإمام المهدي عليه السلام هو شحن طاقات الأمة وبعث روح الأمل فيها..، ففرق بين من يسير وليس له هدف مرجو ومحدّد، وبين من يسير ويجدوه الأمل الكبير..، ومن هنا تأكّد الأمر بانتظار الفرج، وأنّه أفضل الأعمال، ومن الواضح أنّ المراد بانتظار الفرج هو تهيئة الأسباب لقدوم من نتظر فرجه..، وذلك يكون في كلّ شخص بحسب قدراته العقلية والجسدية.

المطلب الثالث: معنى الانتظار.

قال الشيخ عليه السلام: ومما يجدر أن نذكره في هذا الصدد ونذكر أنفسنا به أنّه ليس معنى انتظار هذا المصلح المهدي أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود من الحق إلى دينهم...

نذكر هنا أموراً:

الأمر الأول: ما معنى الانتظار؟ ولماذا كان أفضل الأعمال؟

المراد بانتظار الفرج هو تهيئة الأسباب لقدوم من نتظر فرجه..، وذلك يكون في كلّ شخص بحسب قدراته العقلية والجسدية.

والتفصيل أنّ مفهوم الانتظار مفهوم مركب من أربعة عناصر ضرورية يجب أن

تتوفر كلها ليتحقق معنى الانتظار التام:

العنصر الأول: العنصر الاعتقادي.

فالاعتقاد في كل عملٍ هو الأساس فيه، وما من عملٍ لاسيما - إن كان دينياً - يؤتي أكله ما لم يؤسس على أساس عقائدي، ومن هنا كان الانتظار قائماً على أساس الإيمان بالله ﷻ وبصفاته الكمالية والجلالية، وبنبوة النبي الأكرم ﷺ وبكل ما أمر به ونهى عنه، والإيمان بأئمة الهدى ﷺ، والإيمان باليوم الآخر..

فانتظار الإمام المهدي ﷺ إنّما هو انتظار لأحد الأئمة ﷺ، فلا بُدَّ من الإيمان بإمامتهم، وهم خلفاء الرسول الأعظم ﷺ، فلا بُدَّ من الإيمان به، والرسول الأكرم ﷺ إنّما هو رسول الله ﷻ فلا بُدَّ من الإيمان به وبصفاته، وأنه عادلٌ حكيمٌ ما خلق الخلق في الدنيا لهواً ولا عبثاً، وإنما خلقهم ليعيدهم في يوم يُثيب فيه المطيعين ويعاقب العصيين، وهو يوم المعاد، فلا بُدَّ من الإيمان بالعدل والمعاد.

وبذا فقد اختزل الانتظار الإيمان بأصول الدين كافة فضلاً عن معرفتها، وهذا يعني: أن كل شخصٍ ينتظر الإمام المهدي ﷺ عليه أن يبحث عن عقائده الحقّة ويثبتها بالدليل القطعي، عن سدير، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: «قال رسول الله ﷺ: طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتد به قبل قيامه، يأتّم به وبأئمة الهدى من قبله، ويبرء إلى الله ﷻ من عدوّهم، أولئك رفقائي وأكرم أمتي عليّ»^(١).

العنصر الثاني: العنصر الفقهي.

ويعني الالتزام العملي بالتكاليف الشرعية، أي: فعل الواجبات وترك المحرّمات، وهذا هو المُستفاد مما روي عن بيان التّمار، قال: كنّا عند أبي عبد الله ﷺ جلوساً فقال لنا:

(١) كمال الدين: ٢٨٦ و ٢٨٧ / باب ٢٥ / ح ٣.

«إِنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة، المتمسك فيها بدينه كاخراط للقتاد _ ثم قال هكذا بيده _، فأَيْكُمْ يُمَسِّكُ شوك القتاد بيده؟»، ثم أطرق ملياً، ثم قال: «إِنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة، فليَتَّقِ الله عبد وليتمسك بدينه»^(١).

والتقوى عنوان لأمر مركب من عنصرين، هما: الورع والاجتهاد، أي الورع عن محارم الله ﷻ والاجتهاد في عبادته، ويشمل اجتناب الظلم والكذب والسرقة وشرب الخمر وكل المحرمات، وأداء الصلاة والصوم والخمس والحج وكل الواجبات.

العنصر الثالث: العنصر السلوكي.

وهو أشمل من العنصر الفقهي، ويتضمن -علاوة على أداء الواجبات والانتهاز عن المحرمات- القيام بالمستحبات وترك المكروهات، لا على المستوى الفردي وحسب، بل وعلى المستوى الاجتماعي أيضاً، فلا بُدَّ من الالتزام بأداب العشرة (حقوق الأهل والجيران والأصدقاء وما يُذكر في كتب الأخلاق).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال ذات يوم: «ألا أُخبركم بما لا يقبل الله ﷻ من العباد عملاً إلاَّ به؟»، فقلت: بلى، فقال: «شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا _ يعني الأئمة خاصة _، والتسليم لهم، والورع والاجتهاد، والطمأنينة، والانتظار للقائم ﷺ»، ثم قال: «إِنَّ لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء»، ثم قال: «من سرَّه أن يكون من أصحاب القائم فليتنظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا، هنيئاً لكم آئتها العصابة المرحومة»^(٢).

(١) الكافي ١: ٣٣٥ و ٣٣٦ / باب في الغيبة / ح ١.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٠٧ / باب ١١ / ح ١٦.

العنصر الرابع: الاستعداد العملي.

وهو مستبطن في العناصر الثلاثة المتقدمة، ولكن لأهميته ولأن أثره الفعّال في التمهيّد المهدوي؛ فقد تم إفراده كعنصرٍ مستقل.

فمن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ليعدنَّ أحدكم لخروج القائم ولو سهماً، فإنَّ الله تعالى إذا علم ذلك من نيته رجوت لأن ينسى في عمره حتّى يُدرِكه، فيكون من أعوانه وأنصاره»^(١).

يُنقل أنَّ بعض العلماء كان ينام وسيفه تحت وسادته؛ ليكون متهيئاً لظهور الإمام عليه السلام، وفي هذا المضمار لا يبعد أن يكون التدريب على السباحة أو كمال الأجسام بنية التهيئة لظهور الإمام عليه السلام ولنصرته من مفردات انتظاره عليه السلام.

والخلاصة: الانتظار هو الإسلام.

الانتظار أفضل الأعمال.

عن موسى بن بكر الواسطي، عن أبي الحسن، عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله صلى الله عليه وآله»^(٢).

ولا غرو في ذلك؛ لما تقدّم من أن الانتظار الصحيح يتضمن عناصر متعددة هي بمجموعها تمثل الإسلام بجميع مفاصله، من اعتقادٍ صحيحٍ راسخ، وأداء الواجبات بشقيها العبادية والأخلاقية والانتهاة عن المحرمات بجميع أشكالها، بل والتحلي بمكارم الأخلاق ومحاسنها من المروءة والكرم وطلاقة الوجه، وطيب الكلام وما شابهها من سلوكيات..

ومنه نعرف أنه وإن كانت الصلاة عمود الدين، ومعراج المؤمن، إن قُبِلت قُبِل ما

(١) الغيبة للنعماني: ٣٣٥/ باب ٢١/ ح ١٠.

(٢) كمال الدين: ٦٤٤/ باب ٥٥/ ح ٣.

سواها، وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها، إلا أنها على عظم أهميتها، لا تعدو أن تكون مفردةً من عنصرٍ من عناصر الانتظار الأربعة.

الأمر الثاني: بيان المراد من روايات لزوم البيت.

كيف نوفق بين ما تقدم من: ضرورة التهيئة العملية لظهور الإمام عليه السلام، وبين الروايات الآمرة بعدم التحرك وبلزوم البيت، ومنها: «كونوا أحلاس بيوتكم وألبدوا ما ألبدنا»، و«كونوا أحلاس بيوتكم فإنَّ الغبرة على من أثارها»، و«كفُّوا ألسنتكم وألزموا بيوتكم»؟

تدلُّ ظواهر هذه الروايات على لزوم الابتعاد عن ساحة الصراع في الحياة، وكأنتها تقول: قفوا على التل، ولا تذهبوا يميناً ولا شمالاً، أي كن متفرجاً فقط.

ولكن إذا قسنا هذه الروايات إلى العنصر الرابع من الانتظار - وهو التهيؤ العملي ولو بتحضير سهمٍ للظهور المبارك - نجد أن هناك تنافراً وتعانداً بين الأمرين، فكيف نوفق بينهما؟

والجواب^(١):

أولاً: أن هذا الكلام دعوة صريحة لإلغاء أهمِّ مبدأ من مبادئ الإسلام، ذلك المبدأ الذي به كانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وهو المبدأ الذي كان مقدّمة مهمّة، بل أهمِّ مقدّمات الإيمان، ألا وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾^(٢)، ويكفينا جواباً عن هذا الإشكال دعوته إلى ذلك.

وثانياً: إنَّ من الأساليب الملتوية للمغرضين هو أنّهم يستندون إلى جزء رواية

(١) انظر: شذرات مهدوية - الشيخ الحسين الأسدي ص ١٤ - ١٤٤.

(٢) آل عمران: ١١٠

ويقطعونه عن بقية الرواية، أو ينظرون إلى الروايات بنظرة تجزيئية لا ربط لها بالروايات الأخرى..

وهذا ما لا يمكن القبول به، فإن الدين كل واحد، يُفسر بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ونظرة كهذه من شأنها أن تحلّ أمثال هذه الإشكالات، وعليه فنقول في الجواب: إنَّ تتبّعاً بسيطاً لأجواء صدور مثل تلك الروايات يكشف عن أن أهل البيت عليهم السلام أطلقوها في أجواء ومناسبات خاصّة، كانت فيها السلطات تتحيّن الفرص باتباع أهل البيت عليهم السلام من جانب، وكانت بعض الصيحات اللامسؤولة تتعالى بالثورات والقتال من جانب آخر..

وبين هذين الجانبين، كان أهل البيت عليهم السلام يلاحظون الظروف الموضوعية لمثل تلك الحركات، وكانوا يعلمون أنّها ستنتهي بالفشل الذريع، وأنّها لا يُجنى منها إلا القتل والتشريد، لأنّها ستُعطي الظالمين العذر المشروع لتتبع أنصارها والقضاء عليهم..

وفي ظروف كهذه صدرت بعض الروايات الآمرة بعدم الخروج والانطواء تحت رايات تلك الحركات^(١)، بمعنى أنّهم عليهم السلام أمروا أتباعهم بالعودة عن تأجيج الفتن وعن الانغماس فيها، ولكن في نفس الوقت هناك روايات كثيرة تدعو إلى أنّه متى ما ظهر الإمام المهدي عليه السلام فلا بدّ من الخروج معه ولو حبواً، ويلزم من هذا ضرورة التهيؤ لخروجه والعمل على توفير الظروف المناسبة للظهور، وهو معنى الانتظار الصحيح - كما ستعرف قريباً إن شاء الله تعالى -.

وعلى كلّ حال، فالروايات تلك بعضها جاء على نحو القضية الخارجية المحدودة

(١) ولا يعني هذا أنّ تلك الحركات كانت باطلة ومحرمّة بأجمعها، وإنّما كانت تنتهي بالفشل رغم حقانية بعضها، وما كان الشيعة رخيصي الثمن عند أهل البيت عليهم السلام ليسمحوا لهم بالانخراط في معركة خاسرة، فمثل حركة زيد بن علي؛ انتهت بالفشل، ولكن الإمام الصادق عليه السلام ترخّم على عمّه زيد كثيراً، وكان يبكي عليه كلما تذكره.

بحدودها، ومن تلك الروايات ما ورد: عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «كفّوا ألسنتكم، والزمو بيوتكم، فإنه لا يصيبكم أمر تخصّصون به أبداً، ويصيب العامة، ولا تزال الزيدية وقاء لكم أبداً»^(١).

فهذه الرواية يظهر منها أنّها صدرت في زمن تحركّ الزيدية، والإمام الصادق عليه السلام أمر أتباعه بعدم الانخراط في تلك الحركة، لأنّ تلك الحركة ستلهي السلطات عن متابعة الشيعة، بمعنى أنّ تلك الحركة ستكون بمثابة الغطاء الذي يُخفي الشيعة^(٢).
وبعض تلك الروايات جاءت على نحو القضية الحقيقية التي تنطبق على أيّ مورد مشابه لمورد الرواية، ومن تلك الروايات التالي:

١ _ عن أبي بكر الحضرمي، قال: دخلت أنا وأبان على أبي عبد الله عليه السلام وذلك حين ظهرت الرايات السود بخراسان، فقلنا: ما ترى؟ فقال: «اجلسوا في بيوتكم، فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدّوا إلينا بالسلاح»^(٣).

وهذه الرواية ظاهرة المعنى في أمر أهل البيت عليهم السلام أتباعهم بعدم الانخراط في أيّ حركة ليس لهم فيها دور، فإذا كان لهم عليهم السلام فيها دور فيجب التحركّ إليها بالسلاح وبسرعة.

٢ _ عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «اسكنوا ما سكنت السماوات والأرض، أي لا تخرجوا على أحد فإنّ أمركم ليس به خفاء، ألا إنّها آية من

(١) الغيبة للنعماني: ٢٠٣ و ٢٠٤ / باب ١١ / ح ٧.

(٢) وربّما يكون هذا من أهداف حركة زيد بن علي، فلعلّه رأى توجّه السلطات إلى الإمام الصادق عليه السلام وأتباعه الذين سيقومون بدور نشر المذهب والتعريف به، فقام بثورته ليُبعد أنظار السلطات عنهم، خصوصاً وإنّ السلطات كانت ترى القضاء على المعارضة المسلّحة أهمّ من القضاء على المعارضة الفكرية.

(٣) الغيبة للنعماني: ٢٠٣ / باب ١١ / ح ٦.

الله ﷻ ليست من الناس، ألا إنها أضوء من الشمس لا تخفى على بر ولا فاجر، أتعرفون الصبح؟ فإنها كالصبح ليس به خفاء»^(١).

وكم هي واضحة هذه الرواية في اتباع الحق إذا ظهر، والابتعاد عن الشبهات، لأنها ربما تهلك المؤمن من حيث لا يشعر.

وخلاصة القول في الجواب هو أن أهل البيت عليهم السلام دعوا إلى:

أ) عدم الانخراط في الحركات المنحرفة.

ب) الصبر إلى حين تحرّكهم عليهم السلام.

ج) الإسراع بالالتحاق بحركة يقومون بها هم عليهم السلام.

ووفق هذه المعاني يكون تأويل الروايات الواردة بلزوم البيت وحفظ اللسان وما شابه.

ولذلك، فإن آية حركة تقوم، ويكون منهجها منهج أهل البيت عليهم السلام، فإنه يمكن للمنتظر أن ينخرط فيها، ويكون من دعائها، لأنها حركة تمثل أهل البيت عليهم السلام، وفي المقابل فإن آية حركة لا تكون في طول خط أهل البيت عليهم السلام ولا تقوم وفق منهجهم صلوات الله عليهم تكون مشمولة للنهي الوارد في تلك الروايات.

ولذلك نجد علماءنا أفتوا بالجهاد وبالقيام إذا اقتضت الظروف الموضوعية ذلك، كما حصل في ثورة العشرين وفتوى الشيخ محمد تقي الشيرازي (رضوان الله عليه) بالجهاد، وكما عشناه من فتوى السيد علي السيستاني (دام ظلّه) بالجهاد ضد أعداء أهل البيت عليهم السلام في العراق.

(١) الغيبة للنعماني: ٢٠٧ و٢٠٨ / باب ١١ / ح ١٧.

الأمر الثالث: مفاهيم مغلوبة للانتظار.

تقدّم أنّ الانتظار يتضمن عناصر تجعل منه مبدأً فعالاً حركياً مؤثراً منتجاً. بيد أنّ البعض انقلب على ما تسالم عليه العلماء وعموم الشيعة، بل وانقلب على ما نصت عليه الروايات بشكلٍ واضحٍ وصريح، فنظر لنظرياتٍ مغلوبة عن الانتظار أفرزت حركات منحرفة ودعاوى مُضلة، أطلق عليها بعض الباحثين مصطلح (الانتظار السلبي).

بدايةً نتساءل: هل هناك انتظار سلبي وانتظار إيجابي؟

في الحقيقة أن الانتظار هو ما تقدم معناه، وهو بذاك المعنى انتظار إيجابي حركي تفاعلي، وأما ما يُسمى بالانتظار السلبي، فإنه من باب السالبة بانتفاء الموضوع، فهو ليس انتظاراً أصلاً، إلا أن بعض الباحثين جرى على هذا الاصطلاح لبيان المفاهيم المغلوبة للانتظار؛ والتي تخلو من مقوماته، فلا تكون انتظاراً.

ولتقريب المعنى نقول: لو كان للنبي عيسى ﷺ أبٌ، لأمكن حينئذٍ السؤال عن خصائصه من عمر وعمل وغيرها، وأما لو لم يكن له أبٌ، لما صحَّ السؤال من رأس، لعدم وجود موضوع نحمل عليه الجواب. وهذا معنى سالبة بانتفاء الموضوع، فلا يمكن تثبيت حكمٍ لما هو بالأساس غير ثابتٍ أو موجود، وكما يُقال (العرش ثم النقش) أي ثبت العرش ومن ثم النقش، أي ثبت الموضوع ثم الصفات.

إذاً ليس هناك سوى انتظارٍ بمعنى العمل والتمهيد، وأما (الانتظار السلبي) فهو ما اصطلحه بعض الباحثين قاصداً به بيان بعض المفاهيم المغلوبة من الانتظار.

ومن تلك المفاهيم المغلوبة للانتظار:

الأول: الانتظار يعني السكون.

حاول البعض تصوير أن الانتظار يستلزم السكون والهدوء وكف الألسن، وعدم تقديم قدمٍ ولا تأخير أخرى، وكأنَّ المنتظر جالسٌ بانتظار دوره عند الطبيب، يلتزم الهدوء ويترقب دوره دون أن ينبس ببنت شفة أو يقوم بأيِّ عمل. ولسان حاله يقول:

هي النفسُ نفسي يذهبُ الكلُّ عندها إذا سلّمت، فليذهبُ الكونُ عاطبًا
فإذا حان الظهور المقدسُ فإنَّه سوف يتنعم بدولة العدل الإلهي.

ويظهر أن هذه النظرية استند أصحابها إلى نصوص مقتطعة من الروايات يظهر منها الأمر بلزوم السكون وعدم التحرك، والتي تقدّمت مناقشتها.

الثاني: الانتظار بنشر الفساد لأجل تعجيل الفرج.

لم تتوقف هذه النظرية -أو على الأصح: الحركة- عند المستوى النظري، بل أفرزت حركات أخذت على عاتقها الترويج إلى مثل هذه الأفكار، وحجتهم في ذلك: أن الروايات صرّحت بأن الإمام المهدي عليه السلام لا يظهر إلا إذا امتلأت الأرض ظلماً وجوراً، وهذه المقدمة الأولى وهي صحيحة وقد استندت إلى الروايات التي تصرّح بهذه الحقيقة: (... يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملأت ظلماً وجوراً).

وحيث إننا مطالبون للعمل بتعجيل الفرج والظهور... وهذه صحيحة أيضاً. فالنتيجة: إذا أردنا أن نعجل الظهور، فعلينا أن نحقق سببه، وهو: أن تمتلأ الأرض ظلماً وجوراً، فعلينا أن ننشر الظلم والفساد والانحراف، ونمارسه أيضاً؛ فالمرأة تلقي حجابها وتترك العفة، والرجل يرتكب المحرمات، وسيكونا في عبادةٍ، حيث إنَّه يقومان بخطوةٍ في تعجيل الظهور!

والجواب^(١):

في البداية لا بدّ أن نضع نُصب أعيننا أن أيّ مقولة إذا أردنا أن نعرف صحّتها من سقمها، فعلينا أن نزنها بميزان القرآن الكريم وسُنّة النبي الأكرم وأهل البيت الطاهرين عليهم السلام، إذ هما المرجع في مثل هذه الأمور.

ووفق هذا المقياس الواضح، نجد التالي:

أولاً: أن القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢)

ثانياً: أن الإمام الصادق عليه السلام في ضمن كلام له عن زمن الغيبة الكبرى يقول: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة فليتق الله عبد وليتمسك بدينه»^(٣).

ثالثاً: من الواضح جداً أنه «لا يُطاع الله من حيث يُعصى»، إذ العقل يحكم بأن طاعة المولى تكون كما يُحبُّ هو، لا كما يحلو للعبد ولو كان الفعل مبعوضاً للمولى.

ومن هنا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في رواية: «... قال الله تبارك وتعالى للملائكة: اسجدوا لآدم، فسجدوا له، فأخرج إبليس ما كان في قلبه من الحسد، فأبى أن يسجد، فقال الله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٤)»، قال الصادق عليه السلام: «فأول من قاس إبليس واستكبر، والاستكبار هو أول معصية عُصي الله بها»، قال: «فقال إبليس: يا ربّ، اعفني من السجود لآدم، وأنا أعبدك عبادةً لم يعبدكها ملك مقرب ولا نبي مرسل، فقال الله: لا حاجة لي إلى عبادتك، إنّما أريد أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد، فأبى أن

(١) على ضفاف الانتظار - الشيخ حسين الأسدي ص ١٠٤ و ١٠٥.

(٢) المائة: ٢٧

(٣) كمال الدين للصدوق: ٣٤٣/ باب ٣٣/ ح ٢٥.

(٤) الأعراف: ١٢

يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١) ^(٢).

ووفق هذه المعطيات، ينكشف بسهولة زيغ وزيف تلك المقولة، وأنَّ هناك أيدٍ خفيةً تعمل من وراء الكواليس هدفها تمييع القضية المهدوية وتحويلها إلى سبب للفساد والدمار الشامل.

فعلى المؤمن أن ينتبه لخدع أبالسة الجنِّ والإنس، ولا يُدخِل يده في جُحر أفعى، فإنَّ اللدغة مميتة.

(١) الحجر: ٣٤ و٣٥

(٢) تفسير القمّي ١: ٤١ و٤٢.

الغيبية المهدوية

بعد أن أثبت الشيخ عليه السلام ولادة الإمام المهدي عليه السلام، وأن لا غرابة في مسألة طول عمره الشريف، تعرّض إلى مفهوم الانتظار وما يتعلق به من تفرّعات تشعب الأساسيات في هذا المطلب.

ولفهم موضوع الغيبة لأبّد من التعرّف على معناها، وعللها، والفوائد المترتبة على كلّ منها ومن الإمام الغائب عليه السلام. وهذا ما سنتناوله، مفردين لكل جانبٍ منها مطلباً خاصاً، مقدمين مطلب العلل على معنى الغيبة؛ لترتب توضيح معنى الغيبة وترجيح أحد معنييه على بعض ما نوره في مطلب العلل.

المطلب الأول: علل الغيبة والحكمة منها.^(١)

لابد أن نسلم أولاً وهذا هو المفروض على كلّ مسلمٍ بضميمة ما تقدم من أبحاث في الإلهيات من إثبات حكمة الله عليه السلام أن ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى لأبّد أن يكون هو الأصلح للبشر، وحيث إنّه عليه السلام أراد للإمام المهدي عليه السلام أن يغيب، إذاً الغيبة هي الأصلح للبشر.

وقد تقدّم في بحث (عقيدتنا في الأحكام الشرعية) أن العلل الواقعية للأحكام -ملاكات الأحكام- ليست مُتاحةً لنا، وبالتالي فنحن لسنا مكلفين بمعرفتها وإن كُنّا مكلفين بالامتثال للأحكام.

بيد أن القول بمجهولية علل وملاكات أمرٍ ما، لا يعني خلوّه من المصالح والحكم،

(١) يُنظر: شذرات مهدوية- الشيخ حسين الأسدي- ص ١٠٦ - ١٠٩.

وهو ما نريد التأكيد عليه في مسألة معرفة العلة الحقيقية لغيبه الإمام المهدي عليه السلام، حسب ما أثبتته بعض الروايات الشريفة، منها ما روي عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفرًا بن محمد عليه السلام يقول: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبةً لا بد منها يرتاب فيهل كلُّ مُبطل، فقلت: ولمْ جُعِلْتُ فداك؟ فقال الإمام عليه السلام: لأمرٍ لم يؤذن لنا في كشفه لكم. قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال الإمام عليه السلام: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبيات من تقدّمه من حُججِ الله عليه السلام ذكره. إنَّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلا وقت افتراقهما. إنَّ هذا الأمر أمرٌ من أمرِ الله عليه السلام وسرٌّ من سرِّ الله وغيبٌ من غيبِ الله، ومتى علمنا أنه عليه السلام حكيمٌ صدّقنا بأنَّ أفعاله كُلُّها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف»^(١).

فالعلة أو الملاك في أمر الغيبة منكشفٌ بالنسبة للإمام عليه السلام لكن لم يؤذن له في كشفه لنا.

ونفس الكلام يُقال في علمه عليه السلام بساعة الظهور المبارك (ساعة الصفر بالتعبير الحديث) وهو التوقيت الذي تُهيننا عنه؛ لأنَّ عدم علم المعصوم بذلك خلاف العصمة وما تقتضيه من العلم اللدني.

ثم إنَّ إسدال ستار الغيب على بعض الأمور الغيبية أمام سائر الناس إنّما لعلِّ ما هي منتفيةٌ تمامًا في المعصومين عليهم السلام؛ ولذا فلا مانع من رفع هذا الستار أمامهم، كعلمهم بزمان ومكان وكيفية موتهم دون سائر البشر.

وعليه فلا مشكلة من معرفة الإمام عليه السلام بساعة الصفر أي ساعة الظهور، وبملاكات الأمور والأحكام، ومنها الغيبة، وإن لم يؤذن له أن يكشف لنا ذلك.

(١) كمال الدين ص ٤٨١، ٤٨٢ باب ٤٥ ح ١١.

وعلى كل حال، فإن من الحكم التي ذكرتها الروايات من غيبته ﷺ هي:

(أ) الخوف من القتل:

عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: «إنَّ للغلام غيبة قبل أن يقوم، وهو المطلوب تراثه»، قلت: ولم ذلك؟ قال: «يخافُ - وأوماً بيده إلى بطنه، يعني القتل -»^(١). ذلك الخوف الذي فُسر بأنه ﷺ يخاف على نفسه من أعدائه، والخوف على النفس ليس معناه الجبن، بل هو الخوف على دين الله وشريعة جدّه سيّد المرسلين ٩.

(ب) التمييز والتمحيص:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله ﷺ أنّه قال: «مع القائم ﷺ من العرب شيء يسير»، فقيل له: إنَّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير، قال: «لا بدّ للناس من أن يُمحصّوا ويُميّزوا ويُغربلوا، وسيخرج من الغربال خلق كثير»^(٢).

وفي حديث أمير المؤمنين ﷺ السابق: «وليبعثنَّ الله رجلاً من ولدي في آخر الزمان يطالب بدمائنا، وليغيبنَّ عنهم تمييزاً لأهل الضلالة حتّى يقول الجاهل: ما لله في آل محمّد من حاجة»^(٣).

(ج) حتّى لا يبايع ظالماً:

ورد في جواب الإمام المهدي ﷺ لمسائل إسحاق بن يعقوب: «وأما علّة ما وقع من الغيبة فإنَّ الله ﷻ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ﴾^(٤)، إنّه لم يكن أحد من آبائي ﷺ إلّا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج

(١) الغيبة للنعماني: ١٨٢ و ١٨٣ / باب ١٠ / فصل ٤ / ح ٢٠.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢١٢ / باب ١٢ / ح ٦.

(٣) الغيبة للنعماني: ١٤٣ / باب ١٠ / ح ١.

(٤) المائدة: ١٠١

حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي...»^(١).

وطبعاً هذا يعتبر واحداً من خصائصه التي تميّز بها عن آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم.

(د) السنن التاريخية:

عن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إِنَّ لِلْقَائِمِ مَنَّا غِيبةً يَطولُ أمدُها»، فقلت له: يا ابن رسول الله، ولمَ ذلك؟ قال: «لأنَّ الله تعالى أبقى أباي إلا أن تجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيبتهم، وإنَّه لا بدَّ له يا سدير من استيفاء مدد غيبتهم»، قال الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾^(٢)، أي سنن من كان قبلكم^(٣).

(هـ) أن لا تضيع ودائع الله تعالى:

أي المؤمنين الذين يظهرون من أصلاب الكافرين، فعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث ابن أبي عمير، عمّن ذكره، قال: قلت له _ يعني أبا عبد الله عليه السلام _: ما بال أمير المؤمنين لم يقاتل مخالفه في الأوّل؟ قال: «لآية في كتاب الله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾^(٤)»، قال: قلت: وما يعني بتزاييلهم؟ قال: «ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، فكَذلك القائم عليه السلام لم يظهر أبداً، حتّى تخرج ودائع الله تعالى، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله تعالى فقتلهم»^(٥).

(و) قبائح أعمال العباد، وفضائح أفعالهم، ممّا يُسبّب قلة العدد المطلوب من

(١) كمال الدين: ٤٨٥ / باب ٤٥ / ح ٤.

(٢) الانشقاق: ١٩.

(٣) كمال الدين: ٤٨٠ و ٤٨١ / باب ٤٤ / ح ٦.

(٤) الفتح: ٢٥.

(٥) كمال الدين: ٦٤١ / باب ٥٤.

الأنصار:

فإنَّها المانعة عن ظهوره عليه السلام عقوبةً علينا كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «واعلموا أنَّ الأرض لا تخلو من حجةٍ لله عليه السلام، ولكنَّ الله سيُعْمي خلقه عنها، بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم...» الخبر^(١).

وفي توقيع الحجة عليه السلام إلى الشيخ المفيد: «ولو أنَّ أشياعنا وفقههم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخَّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعتجلت لهم السعادة بمشاهدتنا، على حقِّ المعرفة، وصدقها منهم بنا، فما يُحسِننا عنهم إلَّا ما يتَّصل بنا ممَّا نكرهه، ولا نُؤثِّره منهم، والله المستعان...»^(٢).

ولربما لا ينحصر الارتباط بين غيبة الإمام وقبائح الأعمال في العقوبة وحسب، إذ من البديهي أن يؤدي ارتكاب المعاصي لا سيما كثرتة إلى قلة العدد المطلوب من الأنصار كشرطٍ للظهور.

وسواء كان الأمر عقاباً أو تأخراً في تحقق الشرط (العدد المطلوب من الأنصار) فيتأخَّر المشروط (وهو الظهور)، فإن على كلِّ منا أن يدرك أنَّه قد ساهم في تأخير الظهور في حال ارتكابه للذنوب، وإن لم تكن مساهمته على نحو العلة التامة فهي من قبيل الجزء من العلة بلا شك. ومن ثم فإنَّ كلاً منَّا بكلِّ فعلٍ من أفعاله لا يخلو إما أن يعجل أو يؤخِّر بالظهور ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾.

(ز) إظهار عجز من يسعى للإصلاح الكامل من غير أهل البيت عليهم السلام وإن كان

محققاً:

عن أبي صادق، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «دولتنا آخر الدول، ولن يبقَ أهل بيت لهم

(١) الغيبة للنعماني: ١٤٤ / باب ١٠ / ح ٢.

(٢) الاحتجاج ٢: ٣٢٥.

دولة إلا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله ﷻ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١) «(٢)».

المطلب الثاني: معنى الغيبة^(٣).

اقتضت الحكمة الإلهية حفظ الإمام المهدي ﷺ من كيد الأعداء إلى اليوم الموعود للظهور المبارك، وتلك الحكمة استوجبت اتخاذ طريقة عملية مزدوجة، يتم فيها حفظ الإمام ﷺ من جانب، وضمان اطلاعه على الأوضاع الجارية ومتابعتها ومعايشتها عن كثب من جانب آخر..

تلك الطريقة كانت هي الغيبة..

ولكن ما هو معناها؟

هل معناها هو أن الإمام ﷺ وبمعجزة إلهية اختفى عن الأنظار، بحيث فقد جسمه أي لون أو أصبح مثاليًا أو شفافاً أو شيئاً من هذا القبيل؟
أو أن معناها هو أنه ﷺ لا زال يراه الناس، ولكنهم لا يعرفون انطباق عنوان المهدي عليه، وإنما قد يرونه لكن بشخصية شاب وقور عليه سيء الصالحين؟
الصحيح هو الثاني، ويمكن الاستدلال عليه:

١ _ عرفنا فيما سبق أن واحداً من أسباب الغيبة هو حفظ الإمام ﷺ من أعدائه، إذ هم يحاولون القضاء عليه، لأن وجوده يقلق مضاجعهم. وهذه الغاية من الغيبة يكفي فيها أن لا يعرفوه بشخصه وإن رأوه، ولا داعي للانتقال إلى إخفائه، لأن هذه الطريقة تعني جريان المعجزة، وقد قيل بأن المعجزة إنما تجري عادة فيما لو توقفت إثبات الحق

(١) الأعراف: ١٢٨.

(٢) الغيبة للطوسي: ٤٧٢ و ٤٧٣ / ح ٤٩٣.

(٣) انظر: شذرات مهدوية- الشيخ حسين الأسدي ص ١١٠ - ١١٣.

عليها، أمّا إذا كان لإثباته طريقة أُخرى من دون جريان المعجزة فلا تجري، وفي المقام حيث أمكن حفظ الإمام عليه السلام بإخفاء هويّته وشخصيته، فلا موجب لالتّخاذ الطريقة الأخرى.

٢_ وقد كان من أسباب الغيبة أيضاً هو جريان السنن التاريخية في الأنبياء السابقين عليه عليه السلام، وقد كانت غيبتهم بابتعادهم عن الناس من دون اختفاء الجسد، بل ما زالوا يمكن رؤيتهم بالعين المجردة. وبمقتضى وحدة تلك السنن الجارية، يثبت أنّ غيبة الإمام عليه السلام هي بنفس النحو..

عن سدير الصيرفي، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «إنّ في صاحب هذا الأمر لشبهاً من يوسف»، فقلت: فكأنّك تُحبرنا بغيبية أو حيرة؟! فقال: «ما ينكر هذا الخلق الملعون أشباه الخنازير من ذلك؟ إنّ إخوة يوسف كانوا عقلاء الباء أسباطاً أولاد أنبياء دخلوا عليه فكلموه وخاطبوه وتاجروه وراودوه وكانوا إخوته وهو أخوهم لم يعرفوه حتّى عرفهم نفسه، وقال لهم: أنا يوسف، فعرفوه حينئذٍ، فما تنكر هذه الأئمة المتحيّرة أن يكون الله تعالى يريد في وقت من الأوقات أن يستر حجّته عنهم، لقد كان يوسف النبيّ ملك مصر، وكان بينه وبين أبيه مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يُعلمه بمكانه لقد رعى ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيّام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأئمة أن يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف، وأن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقّه صاحب هذا الأمر يتردّد بينهم، ويمشي في أسواقهم، ويطأ فرشهم، ولا يعرفونه حتّى يأذن الله له أن يُعرفهم نفسه كما أذن ليوسف حين قال له إخوته: ﴿قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾^(١)»^(٢).

(١) يوسف: ٩٠

(٢) الغيبة للنعماني: ١٦٦ و ١٦٧ / باب ١٠ / فصل ٣ / ح ٤.

٣ _ الروايات التي تُصرِّح بإمكان رؤيته ﷺ لكن من دون معرفته بشخصيته الواقعية..

عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن محمد بن عثمان العمري ﷺ قال: سمعته يقول: «والله إنَّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلَّ سنة فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه»^(١).

وعنه، قال: سألت محمد بن عثمان العمري ﷺ فقلت له: أرايت صاحب هذا الأمر؟ فقال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني»^(٢).

وفي رواية: رأيت صلوات الله عليه متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: «اللهم انتقم لي من أعدائي»^(٣).

إشارة:

نحن وإن انتهينا إلى أنَّ معنى الغيبة هو ما تقدّم، لكن هذا لا يمنع من أن يتَّخذ الإمام المهدي ﷺ طريقة اختفاء الجسد (الشخص)، بمعنى أنَّ قدرته على ذلك ما زالت موجودة، والإمام ﷺ يمكنه أن يستعمل هذه الطريقة متى شاء أو اضطرَّته الظروف الموضوعية إلى ذلك.

وبهذا يتَّضح المغزى من بعض الروايات الشريفة التي صرَّحت باختفاء شخص الإمام صلوات الله عليه، ومنها التالي:

الرواية الأولى: عن عبيد بن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: «يفقد

(١) كمال الدين: ٤٤٠ / باب ٤٣ / ح ٨.

(٢) كمال الدين: ٤٤٠ / باب ٤٣ / ح ٩.

(٣) كمال الدين: ٤٤٠ / باب ٤٣ / ح ١٠.

الناس إمامهم، يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه»^(١).

الرواية الثانية: ما ورد عن يعقوب بن منقوش، قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وهو جالس على دكان في الدار، وعن يمينه بيت وعليه ستر مسبل، فقلت له: [يا] سيدي، من صاحب هذا الأمر؟ فقال: «ارفع الستر»، فرفعته فخرج إلينا غلام خماسي له عشر أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، دري المقلتين، شثن الكفين^(٢)، معطوف الركبتين^(٣)، في خده الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة، فجلس علي فخذ أبي محمد عليه السلام، ثم قال لي: «هذا صاحبكم»، ثم وثب فقال له: «يا بني، أدخل إلى الوقت المعلوم»، فدخل البيت وأنا أنظر إليه، ثم قال لي: «يا يعقوب، أنظر من في البيت؟»، فدخلت فما رأيت أحداً^(٤).

المطلب الثالث: فائدة الغائب والغيبية.^(٥)

من الأسئلة التي ترد كثيراً حول القضية المهدوية سؤالان:

السؤال الأول: ما الفائدة في إمام غائب عن قواعده وعن مباشرة ما أوكل إليه من

مهام؟

السؤال الثاني: وأصلاً، ما الفائدة من أصل ظاهرة الغيبة؟

أمّا جواب السؤال الأول فهو:

إنّ هذا السؤال يستبطن اعترافاً بوجود الإمام عليه السلام، حتّى لو كان هذا الاعتراف

(١) الكافي ١: ٣٣٧ و ٣٣٨ / باب في الغيبة / ح ٦.

(٢) أي خشن الكفين.

(٣) أي منحني الكتفين.

(٤) كمال الدين: ٤٠٧ / باب ٣٨ / ح ٢.

(٥) انظر: شذرات مهدوية - الشيخ حسين الأسدي ص ١١٣ - ١١٧.

تنزلياً، ومع تسليم وجود الإمام (عليه السلام) فالفوائد المترتبة عليه _ حتى وهو غائب _ كثيرة، منها:

أولاً: إنَّ الشعور بوجود إمام مفترض الطاعة، مطلق على الأعمال، وعلى ما يجري على أتباعه، يتألم لألمهم ويفرح لفرحهم، يُؤلِّد إحساساً بالطمأنينة، ودافعاً لتحمل المصاعب ما دامت بعين الإمام، وبصيص أمل للمستضعفين، بأنَّ ما يمرُّ عليهم من مصاعب مهما طال زمنها فإنَّها لا محالة منتهية وزائلة، وأنَّ العاقبة لهم، وأنَّ عاقبة أمرهم هي الراحة والسرور والطمأنينة، إنَّ في الدنيا لو أدركوا زمن ظهور إمامهم، وإنَّ في الآخرة بالنعيم الأبدي.

ثانياً: إنَّ من أدوار الإمام _ أيَّ إمام _ هو دور الرعاية الأبوية لأتباعه وشيعته، وهذا الدور يمكن تأديته _ وعلى وجه حسن _ حتى لو كان الراعي غائباً عن الأنظار.. ومعه نقول: إنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) له دور رعاية أتباعه وهو غائب عنهم ما دام لم يؤذن له بعد بالظهور..

في مكتبة الإمام المهدي (عليه السلام) للشيخ المفيد؛ يقول (عليه السلام): «... إنَّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء...»^(١).

ثالثاً: إنَّ للإمام _ أيَّ إمام _ ثلاثة أدوار _ غير دور الرعاية الأبوية _:

الدور الأول: دور المبيِّن للأحكام الشرعية، وهذا الدور يركز على العلم والورع، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبَيِّنْ لَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢).

عن يونس بن عبد الرحمن، عن أبي الصباح، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إنَّ الله

(١) الاحتجاج ٢: ٣٢٣.

(٢) آل عمران: ١٦٤.

تبارك وتعالى لم يدع الأرض إلا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان، فإذا زاد المؤمنون شيئاً ردّهم وإذا نقصوا شيئاً أكمله لهم، ولولا ذلك لالتبست على المؤمنين أمورهم»^(١).

وعن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنَّ الله ﷻ لم يدع الأرض بغير عالم، ولولا ذلك لما عُرِفَ الحقُّ من الباطل»^(٢).

وعن عبد الأعلى بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: «ما ترك الله الأرض بغير عالم يُنْقِص ما زادوا ويزيد ما نقصوا، ولولا ذلك لاختلطت على الناس أمورهم»^(٣).

الدور الثاني: دور الحاكم الأعلى للدولة، وهذا الدور مرتبط على العلم والأمانة، قال تعالى حكايةً عن النبي يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(٤).

الدور الثالث: دور الحجّة، والواسطة بين الله تعالى وبين جميع عالم الإمكان..، الحجّة الذي يجب أن يوجد على الأرض حتّى لو لم يبق على الأرض إلا شخصان لكان أحدهما الحجّة..، الحجّة الذي هو أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء..، الحجّة الذي لو رُفِعَ من الأرض طرفه عين لساخت الأرض ومن فيها..

عن عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: «لو بقيت الأرض يوماً بلا إمام منّا لساخت بأهلها، ولعدّ بهم الله بأشدّ عذابه، إنّ الله تبارك وتعالى جعلنا حجّةً في أرضه، وأماناً في الأرض لأهل الأرض، لم يزالوا في أمان من أن تسيخ بهم الأرض ما دمتنا بين أظهرهم، فإذا أراد الله أن يهلكهم ثمّ لا يمهلهم ولا ينظرهم ذهب بنا

(١) كمال الدين: ٢٠٣ / باب ٢١ / ح ١١.

(٢) كمال الدين: ٢٠٣ و ٢٠٤ / باب ٢١ / ح ١٢.

(٣) كمال الدين: ٢٠٤ و ٢٠٥ / باب ٢١ / ح ١٦.

(٤) يوسف: ٥٥

من بينهم ورفعنا إليه، ثم يفعل الله ما شاء وأحب»^(١).

هذه هي الأدوار الثلاثة للحجة على الأرض..

ولكن هل يجب أن يفعل الحجة هذه الأدوار الثلاثة كلها بنفسه أم يمكن أن يوكلها إلى غيره؟ وهل يمكن لأحد أن يسلبها منه بطريقة أو بأخرى أو لا يمكن ذلك؟

في هذا تفصيل:

أمّا الدور الأوّل (دور العلم)، فلا يمكن لأحد أن يسلبه منه، وهل يمكن لأحد أن يسلب علم غيره؟!

نعم، لظروف موضوعية تحيط بالحجة لعلّه لا يُظهر علمه، ولكن هذا لا يمنعه من إيكال هذه المهمة إلى غيره ممن أخذوا العلم عنه وحفظوه ووعوه.. ولذا فالإمام المهدي عليه السلام وإن ابتعد عن مباشرة دور التعليم، ولكنه أوكل هذه المهمة للفقهاء الذي يستقون علمهم من مناهل أهل البيت عليهم السلام ويُعلّمونه للشيعه..

وأمّا الدور الثاني (دور الحاكم الأعلى للبلاد)، فليس هو دوراً أساسياً للحجة، وإنّما هو دور كإلي أو تكميلي، فما دام هو العالم بأحكام الله تعالى والمبين لها، فمن المناسب أن يكون هو الحاكم السياسي الأعلى للدولة، ومعه فلو أخذ ظالم هذا المركز فهذا لا يؤثر في مقام الحجية شيئاً، بل تجد الظالمين رغم أخذهم الحق من أصحابه الشرعيين يعرفون في دخائل أنفسهم ويعترفون بأنّ الحق للحجة لا لهم.

فتلخص: أنّ الدورين الأوّل والثاني بحاجة إلى ظروف موضوعية مناسبة حتى يقوم الإمام والحجة نفسه بأدائها.

وأمّا الدور الثالث (دور الحجة)، فهذا الدور ذاتي للإمام، ولا يمكن لأحد أن

(١) كمال الدين: ٢٠٤ / باب ٢١ / ح ١٤.

يسلبه إياه أو يمنعه من أدائه كما هو واضح، ويمكن للإمام أن يؤديه سواء كان ظاهراً أو مغموراً، وهو ما عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «اللَّهُمَّ بَلِّ، لَا تَخْلُو الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لَكَ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجُجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ»^(١).

وهنا تظهر واحدة من فوائد وجود الإمام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة _ وإن كان غائباً _، فهو الحجّة على الأرض الذي به تُرزق، وهو الأمان على الأرض، وهو الذي لولاه لساخت الأرض وما فيها في طرفة عين..

الفائدة من أصل ظاهرة الغيبة.

وأماً جواب السؤال الثاني: أصلاً، ما الفائدة من أصل ظاهرة الغيبة؟ فتكمن الفائدة من أسلوب الغيبة الطويلة في عدّة أمور أيضاً، هذه بعضها باختصار:

١ _ إنَّ الغيبة أفضل أسلوب للتمحيص ولفرز المخلصين عن غيرهم، خصوصاً إذا طالت مدّة الاختبار، وهي سنّة إلهية تاريخية للتمحيص، كما في قضية النبيّ نوح عليه السلام.
٢ _ إنَّ الغيبة فرصة سانحة ومهمّة للتوبة والإنابة قبل الظهور وعدم التوفيق للتوبة، في مكاتبة الإمام المهدي عليه السلام للشيخ المفيد: «فليعمل كلّ امرء منكم بما يقرب به من محبّتنا، ويتجنّب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا، فإنّ أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة. والله يلهمكم الرشد، ويلطف لكم في التوفيق برحمته»^(٢).

٣ _ إنَّ فترة الغيبة أفضل فترة للمؤمن أن يُهيئ نفسه فيها للظهور المبارك ونصرة المهدي عليه السلام... وهو الذي عبّرت عنه الروايات الشريفة بلزوم الانتظار.

٤ _ إنَّ من أهمّ عناصر انتصار ثورة الإمام المهدي عليه السلام على أعدائه المهتئين له

(١) نهج البلاغة: ٤٩٧ / ح ١٤٧.

(٢) الاحتجاج ٢: ٣٢٣ و ٣٢٤.

على الدوام هو عنصر المباغته، وحتّى يكون عنصر المباغته تامّاً لا بدّ من تكتيك منظم يُنسي الظالمين لحظة الظهور، وليس هو أفضل من تكتيك الغيبة الطويلة.

المبحث السادس:

كيف لنا أن نُميّز المهدي الحق؟^(١)

مع غيبة الإمام عليه السلام، وعدم رؤيتنا له مباشرة، وعدم وجود صورة شخصية له، ومع كثرة المدّعين للمهدوية زمن الغيبة الكبرى، ما هي الطريقة التي يُمكننا من خلالها معرفة المهدي الحق من مدّعيها زوراً؟
الجواب: هناك نحوان من الطرق^(٢):

النحو الأوّل: طرق تشخيصية:

بمعنى أنّ من خلالها يمكن تشخيص المهدي عليه السلام وعدم اشتباهه بغيره أبداً، ونذكر طريقتين في هذا المجال:

الأوّل: سؤاله عمّا يعجز غيره عن الإجابة عنه: كسؤاله عن معضلة تاريخية أو مسألة علمية عجز عنها أهل الاختصاص كلّهم، وما شابه ممّا يعجز عنه الناس كلّهم، ولا يستطيع أن يجيب عنها إلا الإمام المفترض الطاعة من الله ﷻ، وعلى غرار قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني»^(٣).

عن المفصّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ لصاحب هذا الأمر

(١) انظر: شذرات مهدوية: الشذرة رقم (١٩)

(٢) يضاف إلى هذين النحويين ما تقدّم من صفاته الخاصّة به (في الشذرة الثانية)، وبعض مواريث الأنبياء التي تحمل صفة إعجازية (كما في الشذرة السادسة)، وكذلك بعض مختصّاته كخروجه شاباً لا يتغيّر بتناول السنين.

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٣٠ / ح ١٨٩.

غيبتين: يرجع في أحدهما إلى أهله، والأخرى يقال: هلك، في أيٍّ وادٍ سلك؟»، قلت: كيف نصنع إذا كان ذلك؟ قال: «إن ادَّعى مدعٍ فاسألوه عن تلك العظائم التي يجيب فيها مثله»^(١).

الثاني: سؤاله المعجزة: فإنَّ الله تعالى يؤيِّد رسله وحججه بالمعجزات الخارقة للعادة، والتي لا يستطيع أيُّ إنسان عادي أن يأتي بها، والإمام يمكنه القيام بذلك فيما إذا اقتضت الحكمة الإلهية ذلك، فإنَّ الإمام المهدي عليه السلام عنده القدرة على ذلك بلا شك، وأوضح ما ورد في ذلك ما جاء في إقامة الإمام المهدي عليه السلام المعجزة الواضحة للحسني عندما يطالبه بها لإثبات أنه الحقُّ^(٢).

النحو الثاني: طرق تقريبية:

بمعنى أنّها لا تُشخص المهدي بالضبط، وإنَّما تفيد في تقريب الصورة، ممَّا يساعد على التهيؤ النفسي لظهور الإمام عليه السلام، ونذكر هنا طريقتين أيضاً:

الأول: زيادة المعرفة المهدوية زمن الغيبة الكبرى، فإنَّ لها أثراً مهمّاً في التعرّف على الواقع المعاش وعلى قرب الظهور وعلى تمييز الحقِّ من الباطل، كما ورد ذلك عن أهل البيت عليهم السلام في عدّة روايات:

في كتاب الغيبة للنعماني^(٣) وردت الروايات التالية:

١ _ عن زرارة بن أعين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ينادي منادٍ من السماء: إنّ فلاناً هو الأمير، وينادي منادٍ: إنّ عليّاً وشيعته هم الفائزون»، قلت: فمن يقاتل المهدي بعد هذا؟ فقال: «إنَّ الشيطان ينادي: إنّ فلاناً وشيعته هم الفائزون

(١) الغيبة للنعماني: ١٧٨ / باب ١٠ / فصل ٤ / ح ٩.

(٢) راجع: الهداية الكبرى: ٤٠٤.

(٣) الغيبة للنعماني: ٢٧٢ - ٢٧٤ / باب ١٤ / ح ٢٨ و٣١ و٣٢.

— لرجل من بني أمية —، قلت: فمن يعرف الصادق من الكاذب؟ قال: «يعرفه الذين كانوا يروون حديثنا، ويقولون: إنه يكون، قبل أن يكون، ويعلمون أنهم هم المحقون الصادقون».

فالرواية واضحة في أن إبليس وأعوانه سيحاولون خداع الناس، وأن الناس في معرض الوقوع في تلك الخدع، ولكن الذين عندهم معرفة مسبقة بالحق، سوف ينجحون في هذا الاختبار ويتجاوزونه.

وربما يكون قول الإمام عليه السلام: «الذين كانوا يروون حديثنا» إشارة إلى ضرورة التفقه المعمق والفهم الدقيق لرواياتهم عليهم السلام.

ولعله إشارة إلى ضرورة استشارة الفقهاء المأمونين على الدين ممن ثبت كونه نائباً عاماً للمعصوم عليه السلام في زمن الغيبة الكبرى، فيكون الرجوع إليهم عاملاً مساعداً في كشف الفتنة.

٢ _ عن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «هما صيحتان: صيحة في أول الليل، وصيحة في آخر الليلة الثانية»، قال: فقلت: كيف ذلك؟ قال: فقال: «واحدة من السماء، وواحدة من إبليس»، فقلت: وكيف تُعرف هذه من هذه؟ فقال: «يعرفها من كان سمع بها قبل أن تكون».

٣ _ عن عبد الرحمن بن مسلمة الجريري، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يُؤبِّخونا ويقولون: من أين يُعرف المحق من المبطل إذا كانتا؟ فقال: «ما تردون عليهم؟»، قلت: فما نرد عليهم شيئاً، قال: فقال: «قولوا لهم: يُصدِّق بها إذا كانت من كان مؤمناً يؤمن بها قبل أن تكون»، قال: «إن الله عليه السلام يقول: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١)».

وهنا إشارة مهمّة جداً، وهي أنّه لا بدّ أن تكون المعرفة من الطريق الذي رسمه لنا أهل البيت عليهم السلام، وهو طريق العلماء الذين بذلوا أنفسهم لاستنباط الأحكام الشرعية، وتداول أحاديث أهل البيت عليهم السلام، فهم صمام الأمان للأمة الإسلامية لو اتبعناهم بصدق.

الثاني: علامات الظهور: إنّ أهل البيت عليهم السلام ذكروا علامات حتمية لظهور الإمام عليه السلام، وكونها علامات يعني أنّها أمور فارقة من خلالها يمكننا تمييز المهدي الحق، مع الالتفات إلى أنّ العلامات لها فائدة من جهتين:

الجهة الأولى: القطع بكذب وزيف مدّعي المهديّة قبل وقوعها، تطبيقاً للتوقيع الشريف الأخير الذي صدر للسفير الرابع: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمّد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله ﷻ، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شعيتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم»^(١).

الجهة الثانية: إنّ وقوعها مؤشّر مهمّ لقرب ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

وهذا لا يعني امتناع أن يدّعي أحد المهديّة بعد وقوع العلامات، فتكون فائدة العلامة آنذاك هو التريث والبحث عن صدق المدّعي بأحد الطريقتين المتقدّمين.

ولذا، توجّه البحث إلى معرفة أمر لطالما سأل عنه كثير من الناس، وهو معرفة علامات الظهور.

(١) كمال الدين: ٥١٦ / باب ٤٥ / ح ٤٤.

إشارة: في بعض الصفات المختصة بالإمام المهدي عليه السلام:

١/ عدم تغيير هيأته وقوّته بمرور الدهور والسنين، وخروجه يوم يخرج شاباً كأقوى ما يكون الإنسان، وإن كان عمره أكبر من عمر أيّ شيخ موجود:

فعن أبي الصلت الهروي، قال: قلت للرضا عليه السلام: ما علامات القائم منكم إذا خرج؟ قال: «علامته أن يكون شيخ السنّ، شابّ المنظر، حتّى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإنّ من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي حتّى يأتيه أجله»^(١).

٢/ تظليل غمامة على رأسه الشريف دائماً، وصوت من تلك الغمامة يسمعه الثقلان بأنّ هذا مهدي آل محمّد، وبعض الروايات قالت بأنّ المنادي بذلك الصوت هو ملك، ولا منافاة بين الروايتين كما هو واضح.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «... يظهر في آخر الزمان [و] على رأسه غمامة تظله من الشمس تدور معه حيثما دار تنادي بصوت فصيح هذا المهدي»^(٢).

وعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها منادٍ ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه»^(٣).

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي: ألا إنّ هذا المهدي فاتبعوه»^(٤).

٣/ يكون عليه درس رسول الله صلى الله عليه وآله بخاصيته التي ذكرتها الروايات الشريفة، فقد روي عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، إني أريد أن

(١) كمال الدين: ٦٥٢ / باب ٥٧ / ح ١٢.

(٢) كشف الغمّة ٣: ٢٧٥.

(٣) كشف الغمّة ٣: ٢٧٠ / ح ١٦.

(٤) الصراط المستقيم ٢: ٢٥٩ / ح ١.

ألمس صدرك. فقال: «افعل»، فمسست صدره ومناكبه، فقال: «ولم يا أبا محمد؟»، فقلت: جعلت فداك، إنّي سمعت أباك وهو يقول: «إنّ القائم واسع الصدر مسترسل المنكبين عريض ما بينهما»، فقال: «يا [أبا] محمد، إنّ أبي لبس درع رسول الله ﷺ وكانت تستخب على الأرض، وأنا لبستها فكانت وكانت، وإنّها تكون من القائم كما كانت من رسول الله ﷺ مشمرة، كأنّه ترفع نطاقها بحلقتين، وليس صاحب هذا الأمر من جاز أربعين»^(١).

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام يذكر فيها بعض مواريث الأنبياء التي ورثها أهل البيت عليهم السلام: «ولقد لبس أبي درع رسول الله ﷺ فنحطت على الأرض خطيماً، ولبستها أنا فكانت وكانت، وقائمنا من إذا لبسها ملأها إن شاء الله»^(٢).

(١) بصائر الدرجات: ٢٠٨ و ٢٠٩ / باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ٩... / ح ٥٦.

(٢) الكافي ١: ٢٣٣ / باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ٩ ومتاعه / ح ١.

علامات الظهور^(١)

شاءت إرادة المولى جلَّ وعلا أن يجعل قبيل ظهور وليٍّ من أوليائه أو مزامناً له إرهابات كونية ملفتة لنظر عموم الناس حتَّى يستعدَّ من كان ينتظره لتفعيل مقتضى انتظاره، وهذا ما وجدناه في حركات أغلب الأنبياء، فالنبيِّ موسى ﷺ كانت قبله نبوءة من أتباع بلاط فرعون بأنَّ مولوداً من بني إسرائيل سيزيل ملكه، وقتل لأجل التخلص منه أكثر من عشرين ألف مولود ذكر، ولكن شاء المولى أن يعيش من يزيل ملك فرعون في بيت فرعون نفسه...^(٢).

والنبيِّ عيسى ﷺ كانت علامة ولادته نجماً في السماء معروفاً بصفات محدَّدة، وقد تتبَّعه بعض العلماء في ذلك الزمن حتَّى وصلوا إلى فلسطين، وفي بيت لحم بناحية بيت المقدس، حيث وُلِدَ النبيِّ عيسى ﷺ...^(٣).

والنبيُّ الأكرم ﷺ كذلك، حيث سقطت شرف طاق كسرى، وخذت نار فارس وهي التي لم تخمد مذ نشبت، وغارت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة...^(٤).

(١) انظر: شذرات مهدوية- الشيخ حسين الأسدي ص ٢٤٧ - ٢٧٣.

(٢) راجع: كمال الدين: ٣٥٤ / باب ٣٣ / ح ٥٠.

(٣) راجع: سعد السعود: ٥٥٣ و ٥٤.

(٤) عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله الصادق ﷺ، قال: «كان إبليس لعنه الله يخترق السماوات السبع، فلما وُلِدَ عيسى ﷺ حُجِبَ عن ثلاث سماوات، وكان يخترق أربع سماوات، فلما وُلِدَ رسول الله ﷺ حُجِبَ عن السبع كلها، ورُميت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش: هذا قيام الساعة الذي كنا نسمع أهل الكتب يذكرونه، وقال عمرو بن أمية، وكان من أزجر أهل الجاهلية: أنظروا هذه النجوم التي

فهذه هي سنن ولادات الأنبياء ﷺ، أو قل: هذه هي علامات ظهور حركة جديدة تُغيّر مساراً سارت عليه الأمة لقرون متتالية، وتلك هي العلامات التي ينتظرها المؤمنون.

إذن، «مسألة العلامات تمثل إرهابات لظهور الحق، وتمهيد الناس لاستقبال الحدث المهم، وهو أمر جرى في الأنبياء السابقين...»^(١).

وهي عادة تشير إلى أمور غير مألوفة أو غير طبيعية، وربّما حوت بعضها على عنصر المعجزة، من شأنها أن تهزّ كيان الإنسان، وأن تُحرّك شعوره وفضوله حول معرفة ما يجري حوله، وبالتالي الاستعداد لذلك الحدث المهم.

علامات الظهور قسماً:

إنّ علامات الظهور كثيرة جداً، وقد قُسمت إلى حتمية وغير حتمية، ولكن «النبي ﷺ والأئمة ﷺ يختارون بعض الحوادث الكبرى الملفتة للنظر، ممّا يعلمون وقوعه في المستقبل، بالوحي والإلهام، فيُخبرون به مرتبطاً بالظهور، حتّى إذا ما وقعت

يُبتدئ بها، ويُعرّف بها أزمان الشتاء والصيف، فإن كان رُمي بها فهو هلاك كل شيء، وإن كانت ثبتت ورُمي بغيرها فهو أمر حدث. وأصبحت الأصنام كلّها صبيحة مولد النبي ﷺ ليس منها صنم إلا وهو منكبّ على وجهه، وارتجس في تلك الليلة إيوان كسرى، وسقطت منه أربعة عشر شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وفاض وادي السهابة، وخمدت نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى المؤبدان في تلك الليلة في المنام إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً، قد قطعت دجلة، وانسربت في بلادهم، وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، وانتشر في تلك الليلة نور من قِبَل الحجاز، ثم استطار حتّى بلغ المشرق، ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً، والملك محرساً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حُجبت عن صاحبها، وعظمت قريش في العرب، وسمّوا آل الله ﷺ»، قال أبو عبد الله الصادق ﷺ: «إنّنا سمّوا آل الله ﷺ لأنّهم في بيت الله الحرام». (أمالي الصدوق: ٣٦٠ و٣٦١/ ح ٤٤٤/١).

(١) مجلّة الانتظار/ العدد ٤/ ص ١١.

الحادثة في الأزمان ثبت عند الجيل المعاصر لها والأجيال المتأخرة عنها صدق هذه الأخبار بالحسّ والوجدان...»^(١).

ومن هنا، سنذكر بعضاً من مهمّ العلامات.

علامات الظهور فهمان:

ولكن قبل ذكر ذلك، لا بدّ أن نعرف أنّه يمكن فهم العلامات بنوعين من الفهم، أحدهما سمّي بالفهم الحرفي، والآخر بالفهم الرمزي، فالأوّل يعني فهم العلامة حرفياً كما وردت في الرواية، فالدجّال والسفّيانى شخصان يقودان خطّ الفساد ومحاولة القضاء على حركة المهدي عليه السلام، واليمايى رجل يُمثّل خطّ الإيماى والتمهيد للمهدي عليه السلام، والفهم الثانى يعنى فهم الروايات بفهم رمزى تأويلى، وعليه يكون الدجّال والسفّيانى رمزىن للحركات المنحرفة العاملة ضدّ المهدي عليه السلام.

وعلى كلّ حال، الظاهر من الروايات الشريفة لمن اطّلع عليها أنّ مثل السفّيانى واليمايى والخراسانى هم شخصيات حقيقية لا رمزية، نعم، مثل الدجّال لو صحّت رواياته فربّما يظهر منها أنّه يمثّل حركة فكرية لا شخصاً بعينه، على أنّه يمكن حملة على الشخص الحقيقى، وعلى كلّ حال، لا يهمنّا التعرّض لمثل هذه المسألة الآن.

المهمّ لنا الآن أن نتعرّف على العلامات البارزة كما ذكرت ذلك الروايات الشريفة. والعلامات المذكورة في الروايات كثيرة، ولكن سأحاول هنا ذكر ما له دخل فى التمحيص الإلهى والابتلاءات التى تمرّ على المؤمن زمن الغيبة، حتّى نكون على اطلاع بها، وبالتالى نضمن - ولو جزئياً - عدم الوقوع فى شراكها.

وأهمّ العلامات هى ما ورد عن أبى عبد الله عليه السلام: «قبل قيام القائم خمس علامات

(١) تاريخ الغيبة الكبرى للسيد محمد الصدر: ٤٤٣ و ٤٤٤.

محتومات: الياني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»^(١).

هل من ضرورة لمعرفة العلامات؟

ينبغي أن يكون واضحاً أن الله تعالى لم يجعل علامات الظهور بمحض الصدفة أو العبثية، وإنما جعلها لأهداف تربوية ونفسية، وتلك الفوائد لا يمكن لأحد أن يشعر بها إلا إذا اطلع على تلك العلامات، وهذا هو أساس الفوائد المرجوة من العلامات، وهذا يعني أنه لولا المعرفة بها، لحصلت عدة أمور لا تُحمد عقباها، وهي:

١ _ اشتباه الحق بالباطل، حيث إن المنحرفين يحاولون تغيير البسطاء من الناس ببعض تصرّفاتهم، خصوصاً مدّعي المهذوية.

٢ _ فقدان عنصر الاستعداد النفسي والسلوكي، الذي يُعتبر من أهم فوائد معرفة العلامات، بمعنى أن من كان يعرف العلامات، لو حدثت، فإنه سيعمل على تفعيل ما كان قد تجهّز به زمن الغيبة، أو زيادة التعبئة والتهيئة عند وقوعها، أمّا من فقد هذه المعرفة، فستمر عليه تلك العلامات من دون أن تترك أي أثر في نفسه وسلوكه، وبالتالي لربما ظهر الإمام عليه السلام وهو غافل بالكلية عنه وعن الاستعداد له.

٣ _ هذا فضلاً عن أن معرفتها قبل حصولها، من شأنه أن يكون دافعاً مهماً وحافزاً قوياً للتدارك إذا ما حصلت، فهي بمثابة المنبهات من الخطر، الأمر الذي يدفع إلى تجنّبه. والخطر يكمن في أن يعيش المرء حالة الفساد والانحراف إلى أن يظهر الإمام عليه السلام، وحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً^(٢)، إذ لعل

(١) كمال الدين: ٦٥٠ / باب ٥٧ / ح ٧.

(٢) عن أبي بصير، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا﴾، «يعني خروج القائم المنتظر منّا»، ثم قال عليه السلام: «يا أبا بصير، طوبى لشيعتنا، المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون». (كمال الدين: ٣٥٧ / باب ٣٣ / ح ٥٤).

المنحرف لا يُوفَّق للتدارك زمن الظهور، خصوصاً مع سرعة عمليات التطهير من براثن الانحراف، ممَّا نسمعه في الروايات الشريفة.

إذن، لمعرفة العلامات فوائد عديدة ظهرت، وقد عبّرت الروايات عنها بعدة تعبيرات، فمرّة يقول الإمام الصادق عليه السلام: «يعرفها من كان سمع بها قبل أن تكون»^(١).

وأخرى قال عليه السلام لعبد الرحمن بن مسلمة الجريري حينما قال له: إن الناس يُوبِّخونا ويقولون: من أين يُعرَف المحقُّ من المبطل إذا كانتا؟ فقال: «ما تردّون عليهم؟»، قلت: فما نردّ عليهم شيئاً، قال: فقال: «قولوا لهم: يُصدِّقُ بها إذا كانت من كان مؤمناً يؤمن بها قبل أن تكون»، قال: «إنَّ الله ﷻ يقول: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]»^(٢).

إشارة مهمّة:

لا يعني هذا ضرورة التعمق الكبير والغور في أعماق معرفة العلامات، فالمهم هو البحث عن وتطبيق عوامل الظهور، وأمّا علامات الظهور فهي واضحة جداً بحيث لا تقبل التشكيك، فإنّها إمّا قائمة على الإعجاز _ كالخسف والصيحة _، وإمّا على كونها ظواهر اجتماعية أو سياسية غريبة ملفتة للأنظار بشكل كبير، كتحرّك ثلاث قوى ومن ثلاثة محاور إلى مركز واحد (السفياي من الشام، واليمني من اليمن، والخراساني من بلاد المشرق (إيران)، في يوم واحد باتجاه الكوفة أو العراق عموماً)، وكتقتل النفس الزكيّة في حرم الله الآمن بين الركن والمقام.

المهم لنا الآن أن نتعرّف على العلامات البارزة كما ذكرت ذلك الروايات الشريفة. والعلامات المذكورة في الروايات كثيرة، ولكن سأحاول هنا ذكر ما له دخل في

(١) الغيبة للنعماني: ٢٧٣ و٢٧٤ / باب ١٤ / ح ٣١.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٧٤ / باب ١٤ / ح ٣٢.

التمحيص الإلهي والابتلاءات التي تمرُّ على المؤمن زمن الغيبة، حتَّى نكون على اطلاع بها، وبالتالي نضمن - ولو جزئياً - عدم الوقوع في شراكها.

وأهمّ العلامات هي ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكيّة، والخسف بالبيداء»^(١).

العلامة الأولى والثانية: السفياني والخسف في البيداء:

يعتبر السفياني من البلاءات والاختبارات الصعبة التي تمرُّ بها الأمة الإسلاميّة المؤمنة على مشارف الظهور، ويمكن متابعة حركته من خلال ثلاثة مواقف متسلسلة تاريخياً:

الموقف الأوّل: مبدأ ظهوره وتحركه:

تُحدّثنا الروايات الشريفة بالتالي:

عن عيسى بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «السفياني من المحتوم، وخروجه في رجب، ومن أوّل خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً، ستّة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر، ولم يزد عليها يوماً»^(٢).

إشارة مهمّة جدّاً:

يظهر من الأخبار أنّه حين يتوجّه إلى العراق والكوفة، فإنّه يقع قتلاً بشيعة علي عليه السلام، فعن عمر بن أبان الكلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كأني بالسفياني أو لصاحب السفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة، فنادى مناديه: من جاء برأس [رجل من] شيعة علي فله ألف درهم، فيشُبُّ الجار على جاره بقول: هذا منهم، فيضرب عنقه ويأخذ

(١) كمال الدين: ٦٥٠ / باب ٥٧ / ح ٧.

(٢) الغيبة للنعماني: ٣١٠ / باب ١٨ / ح ١.

ألف درهم. أما إن إمارتكم يومئذ لا تكون إلا لأولاد البغايا...»^(١).

ولكن ينبغي الالتفات إلى أن أصل خروج السفيناني هو من الأمور الحتمية كما نصّت الروايات على ذلك، ولكن هذا لا يعني أنه إذا خرج فإن علينا أن نخنع له، وأن نستسلم له، وأن نتنظر سيفه ليصل إلى أعناقنا، كلاً أبداً، إن هذه الفكرة هي ما يحاول البعض أن يقنع بها الشيعة والمنتظرين، ممّا يؤلّد الخوف والفرع عندهم من السفيناني، والحال أنه يمكن أن نقول التالي:

- ١ _ إن أهل البيت عليهم السلام حينما ذكروا لنا ما يفعله السفيناني بالشيعة، لا يعني هذا أنهم يأمرونا بأن نستسلم لهذا الأمر، وإنما يعني أنهم يريدون تحذيرنا منه، ممّا يعني أنهم يدعوننا إلى أخذ الحيطة والحذر منه، وإلى الاستعداد تمام الاستعداد لتحركه في أي وقت.
- ٢ _ وهذا يعني أنه لو اتّحد المؤمنون يداً واحدة، ووقفوا ضدّ أطماع السفيناني التوسّعية، وانضوا تحت لواء قياداتهم المخلصة ومرجعياتهم الدينية، لأمكن أن يقفوا في وجه السفيناني، وأن يمنعوه من إيقاع القتل والتشريد فيهم.
- ٣ _ إذن، لا ينبغي للمؤمن أن يعيش حالة الخوف والفرع من السفيناني بقدر ما يلزم عليه أن يهيئ نفسه لمواجهة في آية لحظة.

الموقف الثاني: بعثه بالجيش خلف المهدي عليه السلام والخسف به:

يظهر من بعض الروايات أن السفيناني إذا ظهر في الشام وملك كورها الخمسة، فإنّه سيعلم _ من طريق جواسيسه المنتشرين في بقاع الأرض _ أن ثمة ظهوراً جزئياً للمهدي عليه السلام في المدينة، فيبعث السفيناني بجيش ليقته، ولكن الإمام عليه السلام يخرج إلى مكّة، فيصل الجيش ويعلم بذلك، فيتبعه، ولكن مكّة حرم الله الآمن، والمهدي عليه السلام هو الموعود لتطبيق الوعد الإلهي، فتقتضي الحكمة الإلهية أن يُخسّف بذلك الجيش في البداء، ولا

(١) الغيبة للطوسي: ٤٥٠/ح ٤٥٣.

ينجو منه إلا المخبر عن ذلك الخسف.

ويظهر أيضاً أن ذلك الجيش فيه بعض من كره قتال المهدي عليه السلام، ولكنه خرج مكرهاً، وسيشملة الخسف، ولكن في يوم القيامة سيحاسب علي نيته الواقعية.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كان ببداء من الأرض يُخسف بهم»، فقلنا: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهاً؟ قال: «يُخسف به معهم، ولكنه يُبعث يوم القيامة علي نيته»^(١).

الموقف الثالث: القضاء عليه:

بعد حصول الخسف بجيش السفيناني، تحصل عنده حجة واضحة بأن الحق مع المهدي عليه السلام، فيقر بذلك، ويلتقي بالإمام عليه السلام في الكوفة، وفي محاولة من الإمام المهدي عليه السلام لهدايته، يبایعه السفيناني، ولكنها بيعة لا عن اعتقاد قلبي راسخ، وإنما عن خوف وفرق منه عليه السلام، ولذلك حينما يرجع إلى أخواله _ وهم قبيلة كلب _ يُعبرونه بذلك، فينكث بيعته، فيقاتل المهدي، فيقتله الإمام عليه السلام، وبذلك تنتهي حركة السفيناني إلى الأبد.

عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إذا بلغ السفيناني أن القائم قد توجه إليه من ناحية الكوفة، يتجرّد بخيله حتى يلقى القائم، فيخرج فيقول: أخرجوا إلي ابن عمي، فيخرج عليه السفيناني فيكلمه القائم عليه السلام، فيجيء السفيناني فيبایعه، ثم ينصرف إلى أصحابه، فيقولون له: ما صنعت؟ فيقول: أسلمت وبایعت، فيقولون له: قبّح الله رأيك، بين ما أنت خليفة متبوع فصرت تابعاً، فيستقبله فيقاتله، ثم يمسون تلك الليلة، ثم يصبحون للقائم عليه السلام بالحرب، فيقتلون يومهم ذلك. ثم إن الله تعالى يمنح القائم وأصحابه أكتافهم، فيقتلونهم حتى يفنوهم، حتى أن الرجل يختفي في الشجرة

(١) صحيح مسلم ٨: ١٦٧.

والحجرة، فتقول الشجرة والحجرة: يا مؤمن، هذا رجل كافر فاقتله، فيقتله...»^(١).

وتكشف لنا الروايات المتقدمة عن:

١/ أن باب التوبة مفتوح زمن الإمام عليه السلام.

٢/ أن الإمام المهدي عليه السلام رجلٌ سلامٌ غيرٌ مُحِبٍّ للقتل والدماء، يشبه في ذلك جده المصطفى عليه السلام؛ إذ كلاهما أرسل رحمةً للعالمين.

العلامة الثالثة: اليماني:

وهو من الشخصيات التي تعمل على تمهيد الأوضاع للإمام المهدي عليه السلام، خصوصاً في ما يتعلّق بمجابهة حركة السفيناني، ويبدو أنه «نطلق من اليمن إثر أبناء قادمة من الكوفة بتوجه السفيناني إليها، وهو صاحب حركة إصلاحية تتخذ اليمن معقلاً لها تهدف إرجاع الناس إلى الحق...»^(٢).

ويظهر من الروايات أن اليماني يبدأ حركته متزامناً مع حركة السفيناني، ليقف من مدّ جذوره في الكوفة، وكذلك متزامناً مع تحرك الخراساني، الذي يعمل أيضاً على إيقاف تحركات السفيناني والقضاء عليه.

ولا يخفى ما لهاتين الحركتين من أثر مهمّ يومذاك في مجابهة السفيناني، فالخراساني من الشرق (إيران)، واليماني من الجنوب الغربي (اليمن)، فيطوّقان حركة السفيناني ويوقفانها في الكوفة، ويجدّان من توسّعها لغير العراق.

وعموماً، فالذي يظهر من الروايات هو أن هناك ثورة عارمة ستحدث في اليمن على يدي شخص سمّته باليماني، وهي راية هدى، «بل تصفها عدّة روايات بأنها أهدى

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٨٨ / ح ٢٠٦.

(٢) موجز دائرة معارف الغيبة: ١٨٦.

الرايات في عصر الظهور على الإطلاق...»^(١).

قال الإمام الباقر عليه السلام: «خروج السفيناني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناوهم، وليس في الرايات راية أهدي من راية اليماني، هي راية هدي، لأنّه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكلّ مسلم، وإذا خرج اليماني فانفض إليه فإنّ رايته راية هدي، ولا يحلّ لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنّه يدعو إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم»^(٢).

عن سيف بن عميرة، عن بكر بن محمّد الأزدي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «خروج الثلاثة: الخراساني والسفيناني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني، يهدي إلى الحقّ»^(٣).

أسئلة وأجوبة مفيدة^(٤):

السؤال الأوّل: ما هي مقومات وأسس معرفة اليماني التي هي غير واضحة عندنا.
الجواب:

أولاً: كون اليماني لا يخرج عن بديهيات المذهب الجعفري، ولا يخالف ضروريات المذهب من عدم مخالفة الحجّة الشرعية في زمن الغيبة الكبرى وهم الفقهاء العدول، وهذا ما أمر به أهل البيت عليهم السلام من انحصار طريق أخذ التكليف الشرعي من طريق الفقهاء.

(١) عصر الظهور للشيخ علي الكوراني العاملي: ١١٣.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٦٤ / باب ١٤ / ح ١٣.

(٣) الغيبة للطوسي: ٤٤٦ و ٤٤٧ / ح ٤٤٣.

(٤) مستفادة من مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام.

أو كونه منهم حقيقة لا مجرد ادعاء، وهذا أهم أمر، علماً أنه لم يرد في الروايات أنه من فقهاء وعلماء الطائفة.

ثانياً: خروجه من اليمن.

ثالثاً: التزام الواحد في الخروج بين اليماني والخراساني والسفياني، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً»^(١).

السؤال الثاني: من هو اليماني في عصرنا؟

الجواب:

ليس اليماني ولا السفياني ولا الخراساني شخصية مستنسخة يمكن أن تُوجد لها شاخصاً في كل عصر حتى يصحَّ السؤال عن من هو اليماني في عصرنا.

وكأنَّ اليماني في العصور الماضية كان شخصية أخرى وفي عصرنا هذا شخصية ثانية وفي عصر الظهور شخصية ثالثة، كلاً، فإنَّ اليماني هو شخصية واحدة تظهر قبيل ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ويواكب ظهوره ظهور كل من الخراساني والسفياني، كما في تعبير الروايات: «اليماني والسفياني كفرسي رهان»^(٢)، وأنَّ رايته أهدى الرايات الثلاث.

السؤال الثالث: إذا ظهر اليماني بعد السفياني هل يجب علينا وإن كنا في كل مكان من العالم الالتحاق به؟

الجواب:

ورد في الروايات ما يمكن أن يدلَّ على لزوم اتباع اليماني وحرمة الالتواء عليه، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر

(١) الغيبة للنعماني: ٢٦٤ / باب ١٤ / ح ١٣.

(٢) الغيبة للنعماني: ٣١٦ و ٣١٧ / باب ١٨ / ح ١٥.

واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز، يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناوهم، وليس في الرايات راية أهدى من راية البياني، هي راية هدى، لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج البياني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم، وإذا خرج البياني فانفض إليه فإن رايته راية هدى، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم»^(١).

هذا، ولكن الرواية يمكن المناقشة في صحّة سندها، بالإضافة إلى أن معنى عدم الالتواء هو عدم معاداته ومحاربتة، وهذا غير الالتحاق به.

على أن النصره تختلف باختلاف الزمان والمكان وقدرات الشخص، فلعل نصره رجل يعيش في اليمن تتحقق بالالتحاق بجيش البياني، ولكن نصره رجل يعيش في بلاد الهند أو السند تكون بتأييده قلباً وذكره لساناً.

على أن القاعدة في مثل هذه الحالة هو الرجوع إلى المراجع الذين أمرنا باتباع أوامرهم في زمن الغيبة الكبرى.

العلامة الرابعة: الصيحة:

ذكرت الروايات أنه ستحصل حادثة غريبة من نوعها، تكون المعجزة سُمّتها الظاهرة، عبّرت عنها الروايات الشريفة بعدة تعبيرات، كالصيحة والفرزة والنداء في السماء، حيث يظهر من الروايات «أن أخبار الصيحة والفرزة وأخبار النداء بأقسامها تشير إلى معنى مشترك وحادثة واحدة، لا اختلاف فيها وإن تعددت أساليب الأخبار، ولا تعارض بينها في الحقيقة...»^(٢).

وخلاصة هذه العلامة هي: في الليلة الثالثة والعشرين _ ليلة جمعة _ من شهر

(١) الغيبة للنعماني: ٢٦٤ / باب ١٤ / ح ١٣.

(٢) تاريخ ما بعد الظهور للسيد محمد الصدر: ١٣٠.

رمضان، سينادي جبرئيل عليه السلام بالحقّ: أنّ الحقّ مع آل محمّد عموماً ومع قائمهم عليه السلام خصوصاً، وحينئذ سيحصل فزع عظيم، بحيث يصل إلى كلّ من على وجه البسيطة، وستفزع حتّى الفتاة الحية من خدرها، ويعلم الجميع بالحقّ، فتخضع رقاب الظالمين وأعداء الله تعالى، لأنّ إعلامهم المنحرف ضدّ القضية المهدوية سيذهب أدراج الرياح بسبب ذلك النداء الإعجازي^(١)، وستكون هذه العلامة أقرب العلامات نسبياً للظهور المبارك، إذ أنّها تحصل في شهر رمضان، والظهور سيكون في محرّم الحرام. وسيكون لذلك النداء أثر مهمّ في قيام ذكر المهدي عليه السلام على ألسنة الناس، حتّى يُشربوا حبّه، وسيكون موضوع الساعة - كلّ ساعة - هو الإمام المهدي عليه السلام.

والروايات في هذا المجال عديدة، نذكر منها:

عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «الصبحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة ثلاث وعشرين مضيّن من شهر رمضان»^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «الصبحة لا تكون إلّا في شهر رمضان، لأنّ شهر رمضان شهر الله، والصبحة فيه هي صيحة جبرائيل إلى هذا الخلق»، ثمّ قال: «ينادي منادٍ من السماء باسم القائم عليه السلام فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، لا يبقى راقداً إلّا استيقظ، ولا قائم إلّا قعد، ولا قاعد إلّا قام على رجله فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب، فإنّ الصوت الأوّل هو صوت جبرئيل الروح الأمين عليه السلام»، ثمّ قال عليه السلام: «يكون الصوت في شهر رمضان في ليلة جمعة ليلة ثلاث وعشرين فلا تشكّوا في ذلك، واسمعوا وأطيعوا...، فإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان فلا تشكّوا فيه

(١) وكون النداء إعجازياً يمنع من صدور نداء معارض بأنّ الحقّ مع (آل فلان) كما عبرت بعض الروايات، اللهمّ إلّا أن يُحمّل النداء على معنى طبيعي، والتفاصيل في تاريخ الغيبة الكبرى: ١٣١ و١٣٢.

(٢) كمال الدين: ٦٥٠ / باب ٥٧ / ح ٦.

أنه صوت جبرئيل، وعلامة ذلك أنه ينادي باسم القائم واسم أبيه عليه السلام حتى تسمعه العذراء في خدرها فتحرّض أباهما وأخاها على الخروج...»^(١).

وأخرج ابن طاووس؛ عن أبو نعيم بإسناده عن علي عليه السلام، قال: «إذا نادى منادٍ من السماء أنّ الحقّ في آل محمد، فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبه، فلا يكون لهم ذكر غيره»^(٢).

والصيحة أوضح العلامات على الإطلاق؛ وذلك لمواصفاتها الواضحة:

١/ صوتٌ من السماء.

٢/ في ليلةٍ معينةٍ ومحددة ليلة الجمعة ليلة ٢٣ من شهر رمضان وهي ليلة القدر.

٣/ يسمعا كل الناس كل بلغته.

٤/ كونها مُفزعة.

٥/ وأنّ من كان عالماً بهذه الصيحة فإنه يستطيع أن يميّزها عن صيحة الباطل الأخرى التي تم ذكرها سابقاً.

العلامة الخامسة: قتل النفس الزكية:

بعد أن يلجأ المهدي عليه السلام إلى مكة، ويخسف بجيش السفياي، يقبل أصحاب المهدي عليه السلام عليه ويقترحون أن يعلن ظهوره ويبدأ بحركته المباركة في مكة، فيجيبهم بأنّ أهل مكة لا ينصرونه، ولكن من باب إلقاء الحجّة، ورجاء هدايتهم أو هداية بعضهم، فإنّه يُرسل بعض المؤمنين من خاصّته - وهو الذي سمّته الروايات بالنفس الزكيّة - ليدعوهم إلى نصرته، فيطيع أمره، ويذهب إلى مكة، وعند بيت الله الحرام يخطب بهم

(١) الغيبة للنعماني: ٢٦٢ و٢٦٣ / باب ١٤ / ح ١٣.

(٢) الملاحم والفتن لابن طاووس: ١٢٩ / ح ١٣٦.

ویدعوهم لنصرة المهدي عليه السلام، ولكن أهل مكة يقتلونهم في حرم الله الآمن، ليقترفوا بذلك أنواعاً من المعاصي في آنٍ واحد، هي:

١ _ هتك حرمة البيت الحرام، الذي اعتبره القرآن الكريم حرماً آمناً.

٢ _ قتل النفس المحرّمة بدون حقّ، قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثُرُوا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمْسِرُونَ﴾^(١)

٣ _ رفض نصرة المظلومين، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلاً ينادي: يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»^(٢).

ولا يخفى أنّ قتل أهل مكة إيّاه إعلان منهم لمعارضة حركة المهدي عليه السلام وتمردهم عليه، وهذا ما يحذره عليه السلام لتطهيرها بداية ظهوره، ولعلّ تسميته بالنفس الزكية لبراءته وكونه يُقتل مظلوماً، وقد ورد هذا التعبير في القرآن الكريم: ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾^(٣)، أي بريئة من الذنب، كما عليه المفسرون^(٤).

هذا وتحدّثنا الروايات الشريفة أنّ ظهور المهدي عليه السلام التام سيكون بعد مقتل النفس الزكية بخمس عشرة ليلة، لتكون هذه العلامة أقرب العلامات للظهور المبارك.

عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل إلى أن قال: «يقول القائم عليه السلام لأصحابه: يا قوم، إنّ أهل مكة لا يريدونني، ولكنني مرسل إليهم لاحتجّ عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتجّ

(١) المائة: ٣٢.

(٢) الكافي ٢: ١٦٤ / باب الاهتمام بأمور المسلمين والنصيحة لهم ونفعهم / ح ٥.

(٣) الكهف: ٧٤.

(٤) موجز دائرة معارف الغيبة: ١٧٣.

عليهم. فيدعو رجلاً من أصحابه، فيقول له: امض إلى أهل مكة، فقل: يا أهل مكة، أنا رسول فلان إليكم وهو يقول لكم: إنّ أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين، وأنا قد ظلمنا واضطهدنا وقهرنا وابتزنا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا. فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام، أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية، فإذا بلغ ذلك الإمام قال لأصحابه: ألا أخبرتكم أنّ أهل مكة لا يريدوننا...»^(١).

وعن صالح مولى بني العذراء، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكية إلا خمسة عشر ليلة»^(٢).

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٧ / ح ٨١.

(٢) كمال الدين: ٦٤٩ / باب ٥٧ / ح ٢.

أسئلةٌ حول الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

السؤال الأول: ما هو سلاح الإمام المهدي عليه السلام إذا ظهر؟

الجواب:

لقد وردت روايات عديدة تصرح بأن الإمام المهدي عليه السلام سيقوم بالسيف، من قبيل

التالي:

عن المفضل بن عمر، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما علامة القائم؟ قال: إذا استدار الفلك، فقبل: مات أو هلك، في أي واد سلك؟ قلت: جعلت فداك، ثم يكون ماذا؟ قال: لا يظهر إلا بالسيف»^(١).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما تستعجلون بخروج القائم، فوالله ما لباسه إلا الغليظ، ولا طعامه إلا الجشب، وما هو إلا السيف، والموت تحت ظل السيف»^(٢).

وهذا النوع من اللباس والطعام خاص بالإمام عليه السلام، أما رعيته فسيلعقهم العسل ولا يتعامل معهم بالشدّة، إلا جيشه؛ لأنه يريد منهم رباطة الجأش.

ولكن ما المقصود بالسيف؟ هل هو هذا السيف الحقيقي؟ أي الآلة الحديدية، أو

إنَّ كلمة السيف رمزٌ يراد به غير المعنى الموضوع له؟

(١) كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٥٨ - ١٥٩ الباب ١٠ الحديث ١٩.

(٢) نفس المصدر ص ٢٣٨ - ٢٣٩ الباب ١٣ الحديث ٢٠.

لا شك أن القرآن الكريم والرسول الأعظم ﷺ وأهل البيت ﷺ كانت لهم طريقة معينة في إلقاء الخطابات الشرعية وروايات المستقبل، وتلك الطريقة لا شك أنها اتصفت بالخطاب الذي يتناسب مع أفهام المخاطبين وحدودهم العلمية، وإن كانت هناك في بعض الأحيان إشارات لمفاهيم ومعانٍ علمية مستقبلية أوسع بكثير مما كان يفهمه المخاطبون في عصر النص.

ولكن الطريقة العامة والمتعارفة في تلك الخطابات هي أن تكون متناسبة مع المستوى العلمي للمخاطبين.

وعلى هذا شواهد عديدة، نذكر منها:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما كلم رسول الله ﷺ العباد بكنه عقله قطُّ»، وقال: «قال رسول الله ﷺ: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «لا تحدثوا أمتي من أحاديثي إلا بما تحمله عقولهم»^(٢).

ومن هنا نجد أن الروايات الشريفة ذكرت أسلحة البر والبحر، ولم تذكر سلاح الجو رغم أن المتكلم عالم بما ستؤول إليه حالة الأسلحة وتطورها.

ومن هذا القبيل ورد في الصحيح أن رجلاً من أهل الشام سأل الإمام الحسن عليه السلام: ... كم بين المشرق والمغرب؟ فقال: بين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس تنظر إليها حين تطلع من مشرقها وحين تغيب من مغربها.^(٣)

فنحن نعتقد أن الإمام عليه السلام -باعتبار عصمته وعلمه اللدني- يعلم مقدار المسافة بالميل أو بالكيلو متر مثلاً وبالدفقة، ولكنه ﷺ لم يذكر المسافة إلا بما يفهمه الناس

(١) الكافي للكليني ١: ٢٣ / كتاب العقل والجهل / ح ١٥.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٠ ص ٢٤٢ ح ٢٩٢٨٤.

(٣) الشيخ الصدوق في الخصال: ٤٤١ ضمن ح ٣٣ باب العشرة.

والسائل آنذاك.

ومن هنا، يتضح لنا جلياً السبب في تعبير أهل البيت عليهم السلام عن سلاح الإمام المهدي عليه السلام بأنه يخرج بالسيف، فما ذلك إلا لأن السيف هو رمز القوة والغلبة على مر العصور.

وإلا فتصوروا دهشة وحيرة أصحاب الأئمة عليهم السلام في ذلك العصر لو كان أهل البيت عليهم السلام أخبروهم بأن المهدي يخرج مثلاً بدبابة من طراز كذا! أو أن عنده مسدس ليزر قدرته كذا! أو أن طائراته أسرع من ملح البصر!

وبعبارة واضحة: نحن نعتقد أن الإمام صلوات الله عليه سيظهر بأسلحة أقوى بكثير مما هو معروف اليوم، أسلحة لا تقاوم ما هو موجود اليوم وحسب، وإنما تتصر عليه أيما انتصار.

أما أنه يرجع إلى عصر السيف (بالمعنى الحقيقي) فهو رجوع بالحضارة إلى الوراء، وهو مما لا يتناسب مع عصر العلم الذي سيفجره الإمام عليه السلام بصورة لم يسبق لها مثيل، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «العلم سبعة وعشرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام القائم عليه السلام أخرج الخمسة والعشرين حرفاً، فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين، حتى يبتها سبعة وعشرين حرفاً»^(١).

وعن جابر قال: «قال أبو جعفر عليه السلام في قول الله تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾^(٢) قال: «ينزل في سبع قباب من نور لا

(١) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلبي - ص ١١٧.

(٢) البقرة ٢١٠.

يعلم في أيها هو حين ينزل في ظهر الكوفة، فهذا حين ينزل»^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام «إنه نازل في قباب من نور حين ينزل بظهر الكوفة»^(٢).

وهكذا ما قد يقال من إنه عندما يخرج بالسيف فإنه وبإشارة واحدة من سيفه فإنه سيوقف جميع أجهزة الاتصالات، وسيوقف عمل جميع الأسلحة، ولو أطلقت عليه قوة غاشمة صاروخاً، فإنه سيرجعه على المنصة التي انطلق منها بإشارة من سيفه، فكل ذلك هو مجرد تحركات وكلام مضحك للشكلى وألفاظ لا دليل عليها أبداً، ولا يعني هذا أننا لا نعتقد بامتلاك الإمام عليه السلام لتلك القدرة، كلا، بل هو صاحب الولاية التكوينية بلا أدنى ريب، ولكن هذا مما لا دليل عليه ولا داعي له، وهو خروج عن النظام العام للعصمة ولحركة الإمام عليه السلام الذي هو نظام الأسباب والمسببات الطبيعية، وأن العصمة استثناء من هذا النظام.

فالأولى إذن والصحيح أن نلتزم بالنتيجة التي انتهينا إليها.

وهو ما عليه المحققون من العلماء.

وقال السيد محمد الصدر عليه السلام: «من الواضح بالضرورة أن المهدي يستعمل سلاح

عصره ولا معنى لاستعمال سلاح آخر...»^(٣).

وقال الشيخ خليل رزق: «لا بد من حمل السيف على المعنى الرمزي الذي يراد به

أي سلاح»^(٤).

(١) تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي - ج ١ - ص ١٠٣ الحديث ٣٠١.

(٢) نفس المصدر الحديث ٣٠٣.

(٣) تاريخ ما بعد الظهور ص ٤٠٤.

(٤) الإمام المهدي واليوم الموعود ص ٩٣.

إشارة:

إذا أبى البعض إلا التمسك بظاهر الروايات الواردة في السيف، فيمكن القول: إن الإمام عليه السلام سيظهر بالسيف حقيقة - سيف ذي الفقار - ولكنه يظهر به من باب أنه من الموارث المهمة لديه، للدلالة على ارتباط قيامه المبارك بأمر المؤمنين عليهم السلام الذي يمثل الإسلام المحمدي الأصيل، فيقوم بأحدث التقنيات، لكنه يرتدي ذلك السيف، وهذا الأمر طبيعي جداً، بل نرى اليوم أن الكثير من الرؤساء من يرتدي شيئاً يمثل ارتباطه بقوميته أو بدينه أو حتى ببلده، رغم امتلاكه أنواع الأسلحة الحربية للقتال.

السؤال الثاني: هل المهدي عليه السلام قاتل سفاح وقصاب أرواح؟ أو هو داعية سلام؟!

الجواب:

عندما نطالع الروايات في قضية الإمام المهدي سلام الله عليه نجد أن هناك كمًّا من الروايات أشارت إلى أن الإمام عليه السلام سيستعمل السيف، أي سيقتل عدة طوائف من الناس، فاستغلها البعض في توظيفها لتصوير الإمام عليه السلام كرجل محب للدماء، مُزهق للأرواح، لا رحمة في قلبه، لا همَّ له إلا استئصال الآخر، فهل هذا الأمر صحيح؟

للجواب بصورة واضحة جليّة، نذكر عدة خطوات:

الخطوة الأولى: ركائز الدولة إدارياً.

إنَّ قيام أيِّ دولةٍ يحتاج إلى ثلاث ركائز بعد الفراغ عن ضرورة وجود القائد والجمهور، وهذه المسألة ليس لها علاقة بالدين أو الشريعة بمعنى أنَّها قضية عقلانية:

١/ السلطة التشريعية

ومهمتها تشريع الأحكام وسنّ القوانين التي تحكم الدولة، وكذلك تشريع الجزاءات المناسبة لموافقة أو مخالفة تلك التشريعات، كقانون المرور مثلاً.

٢/السلطة التنفيذية.

ومهمتها تنفيذ القوانين، ولأنَّ القوانين تقيد السلوك البشري ضمن إطارها، وتمنع من ارتكاب المخالفات والجرائم التي تنزع ضعاف النفوس إلى ممارستها، احتيج إلى جهاز يكفل تنفيذ القوانين بالقوة، وتقديم من لا يلتزم بها من الشعب إلى القضاء؛ لينال جزاءه العادل، وهو جهاز الشرطة مثلاً. والسلطة التنفيذية مهمة؛ إذ لا فائدة تُرجى من القوانين إن لم تُنفَّذ.

٣/السلطة القضائية.

ومهمتها إرجاع الأمور إلى نصابها عند حدوث خرقٍ للقانون، فمن أمن العقاب أساء الأدب.

فهي نوع من التدخلات الإجرائية والعملية عند حدوث خرق للقانون أو تطاول عليه، من أجل إرجاع الأمور إلى نصابها.

ولا ينفرد القانون الوضعي بالنص على هذه السلطة، ودورها في إصدار الأحكام والعقوبات على من يخالفه، بل القانون الإلهي ينص على ذلك أيضاً، وإلا فما خلق الله ﷻ نار جهنم إلا لهذا الغرض، ولولاها لترك جُلَّ الناس طاعته ﷻ، ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(١).

ولكن عندما علم الإنسان أنَّ هناك مراقبة وملائكة تسجل كلَّ ما يقوم به بل وتنسخه، وأنَّ هناك حساباً أخروياً، حينها علم أنَّ عليه عدم المخالفة.

وهذا أمرٌ عقلائي، ولا تقوم دولة منظمة من دون هذه الركائز الثلاثة، ونتيجة لهذا الأمر نقول التالي:

(١) المؤمنون ٣٧.

إنَّ الروايات وإنَّ ذكرت أن الإمام المهدي ﷺ سيقوم ببعض الحروب وبقتل بعض الاصناف من الناس، إلا أن هذا لا يخرج من الإطار العقلائي لإقامة الدولة، فبالنتيجة فإن الإمام ﷺ لديه تشريعات ويريد أن يقيمها، فمن قام بالمخالفة يجب أن يحاسب وفق إجراءات عملية، والتي اسماها الإسلام (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وبهذا هو لم يخرج عن الإسلام حيث ان الإسلام امرنا بذلك في رواية «أمرت أن أقاتل الناس حتَّى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد حرم عليّ دماؤهم وأموالهم»^(١)، ووضع القوانين تحت عنوان (القصاص والحد والتأديب وما الى ذلك)، وعليه فإن الإمام ﷺ غير خارج عن الإطار العقلائي ولا الإسلامي لإقامة الدولة.

الخطوة الثانية: لماذا يخاف البعض من ظهور الإمام المهدي ﷺ؟

إذا كانت المسألة عقلائية إلى هذه الدرجة، فلماذا نجد أن بعض الناس -سواء أظهروا هذا الأمر أم أبقوه في كامن شعورهم- يتصورون أن الإمام المهدي ﷺ عندما يخرج لا يكون له همٌّ إلا القتل والذبح والتشريد؟

وهذا نجده حتى في بعض الأوساط الشيعية - مع بالغ الأسف -، إذ بمجرد أن يُذكر الإمام ﷺ عند البعض، تتوارد هذه الأفكار السلبية، ولا يحضر تصور أن الإمام سيأتي كما أتى جده المصطفى (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) رحمةً للعالمين، وأنه سيبنى مدينة سلام وجنةً على الأرض، فلا يستحضر النظرة الإيجابية، وإنما بعض مهمٌّ من الناس في اللاشعور يرى الجانب السلبي فقط؛ لذلك يخاف من ظهور الإمام ﷺ، فما سبب هذا الشعور الداخلي لديه، وتلك النظرة؟

الجواب:

من الممكن تصور عدة أسباب وراء هذه النظرة السلبية تجاه الإمام المهدي ﷺ،

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي (ج ٦٥ / ص ٢٤٢): عن عليّ ﷺ، قال: قال رسول الله ٩ ...

وأهمها:

١/ الجهل بقضية الإمام المهدي عليه السلام وبأهدافه التي يقوم من أجلها، وعدم الاطلاع الكافي على روايات هذه القضية الطاهرة، وهو من أهم الأسباب، فكثيرٌ من الناس يتصور أن الإمام عليه السلام ما إن يخرج حتى يبدأ بقتل علماء الشيعة رغم عدم وجود حتى رواية واحدة تشير إلى ذلك، فهذا كلامٌ من دون دليل، وهو نتيجة الجهل المطبق، أو الحقد الدفين لأهل العلم.

٢/ القراءة السطحية والساذجة لروايات فتن واختبارات الظهور، من دون الرجوع لأهل الاختصاص فيها ومعرفة الهدف منها وتخريجاتها العقائدية والفقهية والعقلانية، فإن أهل الاختصاص يدخلون في أعماق الرواية ويعطون الفهم الصحيح لها.

٣/ تعمّد بثّ تلك الفكرة الخاطئة في نفوس الناس من قبل بعض المغرضين، وهذا الأمر له مؤشرات كثيرة، فهناك كثيرٌ من الفئات تعمل خلف الكواليس وهدفها بثّ أفكار يائسة سلبية تجاه الدين عموماً، نحو: الدين يقيد الحرية، ولا يقبل بالعلم، ومنها قضية الإمام المهدي عليه السلام.

الخطوة الثالثة: من هم الذين سيقتلهم الإمام المهدي عليه السلام؟

الجواب: ذكرت الروايات العديد من الأصناف الذين سيقتلهم الإمام عليه السلام، نذكر منهم ثلاثة عناوين:

١/ السفيناني:

ومن الواضح أنه لا نحتاج إلى تبرير مقاتلة الإمام المهدي عليه السلام للسفيناني، ولكن مع ذلك فالمبررات لذلك عديدة، نذكر منها:

أولاً: إن السفيناني هو من يبدأ الإمام عليه السلام القتال، بل ويبعث البعث تلو الآخر

في محاولة قتل الإمام صلوات الله عليه، ومن الواضح أن حكم من يريد قتل الإمام المفترض الطاعة هو القتل على أقل تقدير.

عن رسول الله ﷺ: «ويعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كان ببيداء من الأرض يخسف بهم، فقلنا: يا رسول الله، كيف بمن كان كارها؟ قال: يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته...»^(١)

ثانياً: أن السفيناني يمثل امتداداً للعداء المتأصل بين بني هاشم وبني أمية، القتال الذي كان محور تصديق الله ﷻ وعدمه.

فقد ورد عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إننا وآل أبي سفينان أهل بيتين تعاديننا في الله، قلنا: صدق الله. وقالوا: كذب الله. قاتل أبو سفينان رسول الله ﷺ وقاتل معاوية علي بن أبي طالب ﷺ. وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي ﷺ، والسفيناني يقاتل القائم ﷺ.»^(٢)

ثالثاً: إن السفيناني مجرم حرب، بل مجرم إنسانية، وهو يعمل على قتل كل من ينتمي لخط أهل البيت ﷺ كما ذكرت الروايات ذلك، وأنه يقتل كل من اسمه على أسماء أهل البيت ﷺ.

ولا ريب أن من وظيفة الإمام ﷺ هو الدفاع عن المظلومين عموماً وعن شيعته خصوصاً.

جاء في خطبة البيان المنسوبة لأمر المؤمنين ﷺ انه قال: «ولا يزال السفيناني يقتل كل من اسمه محمد وعلي وحسن وحسين وفاطمة وجعفر وموسى وزينب وخديجة ورقية بغضاً وحقناً لآل محمد...»^(٣)

(١) مسند أحمد: ج ٦ ص ٢٩٠ ومسلم: ج ٤ ص ٢٢٠٨ ب ٥٢ > ٢٨٨٢.

(٢) معاني الأخبار - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٦.

(٣) الزام الناصب ج ٢ ص ١٧٣ خطبة البيان.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ثم يبعث فيجمع الاطفال ويغلي الزيت لهم فيقولون: إن كان آباؤنا عصوك فنحن ما ذنبنا؟ فيأخذ منهم اثنين اسمهما حسن وحسين فيصلبهما، ثم يسير الى الكوفة فيفعل بها كما فعله بالأطفال ويصلب على باب مسجدها طفلين اسمهما حسن وحسين فتغلي دماؤهما كما غلي دم يحيى بن زكريا....»^(١).

وسواء صحت هذه الروايات من حيث السند ام لم تصح، فإنها تعطي صوراً واضحة - وبضم الروايات الاخرى التي بينت سيرة السفياي في خروجه وتحركاته - عن سلوك السفياي وعقيدته وسيرته في الناس، فإنها تشير الى بغضه الصارخ لآل البيت عليهم السلام ولكل من يمت اليهم بصلة ولو بالاسم، ويشير الى انه يعتبر التسمية رابطة عقائدية تشير الى مدلول باطني، فهو يقتل من يتسبب الى اهل البيت عليهم السلام ولو بالاسم. رابعاً: إن السفياي ينكث البيعة مع الإمام عليه السلام كما ذكرت ذلك بعض الروايات الشريفة، ونكثه للبيعة يساوق خروجه ضد الإمام، والخارج على إمام زمانه المفترض الطاعة حكمه أن يُقاتل.

فعن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا بلغ السفياي أن القائم قد توجه إليه من ناحية الكوفة، يتجرد بخيله حتى يلقي القائم فيخرج فيقول: أخرجوا إلى ابن عمي، فيخرج عليه السفياي فيكلمه القائم عليه السلام فيجيء السفياي فيبايعه ثم ينصرف إلى أصحابه فيقولون له: ما صنعت؟ فيقول: أسلمت وبايعت فيقولون له: قبح الله رأيك بين ما أنت خليفة متبوع فصرت تابعا فيستقبله فيقاتله، ثم يمسون تلك الليلة، ثم يصبحون للقائم عليه السلام بالحرب فيقتتلون يومهم ذلك. ثم إن الله تعالى يمنح القائم وأصحابه أكتافهم فيقتلونهم حتى ينفونهم حتى أن الرجل يختفي في الشجرة والحجرة، فتقول الشجرة

(١) عقد الدرر ٩٣، و ٩٤.

والحجرة: يا مؤمن هذا رجل كافر فاقتله، فيقتله..»^(١).

٢/البترية.

يظهر من الروايات الشريفة أنَّهم خطَّ منحرف عقائدياً، حيث إنَّهم لا يتبرَّؤون من أعداء الإمام علي عليه السلام، وإنَّهم بتروا أهل البيت عليهم السلام بعدم البراءة من أعدائهم، وهم جذور تاريخية تمتدُّ إلى زمن الإمام زين العابدين عليه السلام، ولزيد بيان نقل ما أورده الشيخ الصدوق: «البترية - بضمِّ الباء الموحَّدة وسكون التاء المثناة الفوقية والراء المكسورة - والنسبة بترى، وهم طائفة من الزيدية يُجوزون تقديم المفضول على الفاضل، يقولون: إنَّ أبا بكر وعمر إمامان وإن أخطأت الأمة في البيعة لهما مع وجود علي عليه السلام، ولكنه خطأ لم ينته إلى درجة الفسق، وتوقفوا في عثمان، ودعوا إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ويرون الخروج مع بطون ولد علي عليه السلام، ويذهبون في ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويُثبتون لكل من خرج من أولاد علي عليه السلام عند خروجه الإمامة، وهم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن حيِّ وسالم بن أبي حفصة والحكم بن عتيبة وسَلَمَة بن كهيل أبي يحيى الحضرمي، وأبي المقدام ثابت بن هرمز الحدَّاد.»^(٢).

وروى أيضاً بإسناده عن سدير، قال: «دخلت على أبي جعفر عليه السلام ومعني سَلَمَة بن كهيل وأبو المقدام ثابت الحدَّاد وسالم بن أبي حفصة وكثير النواء وجماعة منهم، وعند أبي جعفر عليه السلام أخوه زيد بن علي عليه السلام، فقالوا لأبي جعفر عليه السلام: نتولَّى علياً وحسناً وحسيناً ونتبرَّأ من أعدائهم، قال: «نعم»، قالوا: فتتولَّى أبا بكر وعمر ونتبرَّأ من أعدائهم، قال: فالتفت إليهم زيد بن علي عليه السلام وقال لهم: «أتتبرَّؤون من فاطمة عليها السلام، بترتم أمرنا بتركم

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ - ص ٣٨٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج ٤، ص ٥٤٤-٥٤٥.

الله» فيومئذٍ سمّوا البترية»^(١).

وروى بإسناده عن ابن أبي عمير، عن سعد الجلاب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لو أنّ البترية صف واحد ما بين المشرق إلى المغرب ما أعزّ الله بهم ديناً»^{(٢) (٣)}.

وعلى كل حال، فقد ذكرت بعض الروايات أنهم سيخرجون ضد الإمام المهدي عليه السلام وسيقاتلهم ويقتلهم، ففي بحار الأنوار للعلامة المجلسي: روى أبو الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل أنّه قال: «إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة، فيخرج منها بضعة عشر ألف أنفس يُدعون البترية، عليهم السلاح فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتّى يأتي على آخرهم»^(٤).

وهذه الرواية على فرض ثبوتها فيها ما يأتي:

١ _ الرواية تتحدّث عن أناس منحرفين عقائدياً، حيث أطلقت عليهم الرواية اسم البترية، وهم طائفة من الزيدية يقولون بالنصّ على أمير المؤمنين عليه السلام والحسين وزيين العابدين عليهم السلام فقط، ويدّعون أنّ الإمامة بعدهم شورى في أولاد الحسين لمن قام منهم بالسيف.

٢ _ إنّ هذه الطائفة توالي قوماً غضبوا حقوق أهل البيت عليهم السلام وأزالوهم عن مراتبهم.

٣ _ إنّ هؤلاء الأقوام الذين يقتلهم الإمام الحجّة عليه السلام رفعوا السلاح في وجهه وردّوا دعوته ولم يستمعوا إليه.

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٥٠٤ و ٥٠٥ / ح ٤٢٩.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٤٩٩ / ح ٤٢٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤: ٥٤٤ و ٥٤٥.

(٤) بحار الأنوار ٥٢: ٣٣٨ / ح ٨١، عن الإرشاد ٢: ٣٨٤.

٤ _ إنَّ هؤلاء ليسوا من رجال العلم والعلماء، بل هم من جهلة الأُمَّة، فالروايات تُعبّر عن علماء الدين برواة الحديث، ففي توقيع الإمام الحجّة عليه السلام: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنَّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم»^(١).
ومن هنا يتّضح أنّ دعوى قتل الإمام الحجّة عليه السلام لعلماء الدين دعوى باطلة منشؤها الجهل بتعابير الروايات، فأصحاب هذه الدعوى قد وقعوا في جهل مركب.

٣/ ذراري قتلة الإمام الحسين عليه السلام:

حتى نعرف حقيقة الحال في هذا العنوان علينا أن نتبين أمرين:
الأمر الأول: إن من الأمور الواضحة للعيان أن قيام أية دولة ستواجهه العديد من المشاكل والتلكؤات، ومن الطبيعي جدا أن الدولة ومن أجل أن تبني نفسها وتحافظ على كيانها فإنها تعمل على إزالة الأشواك من طريقها قبل تعبيده.
وإذا كانت الدولة تشد العدل وتطبق القسط، فإن العقل والطبيعة والفطرة الإنسانية تتفق على قبول بعض الإجراءات العملية ولو كانت صعبة قليلة، ولو استلزمت القيام ببعض الأعمال التي قد لا يتعرف الناس على مناسئها العقلية أو نتائجها الإنسانية إلا بعد حين، لكنهم حينما يتعرفون النتائج العظيمة لتلك الأفعال، فإنهم سيحكمون بحسنها بل وبضرورتها في وقتها، وما نحن فيه من هذا القبيل.
الأمر الثاني: هناك مبدأ إسلامي يقرره القرآن الكريم وتؤكد الروايات الشريفة، وهو أن العلاقة العقائدية القائمة على الرضا القلبي من أقوى العلاقات التي تجمع بين بني البشر على اختلاف جنسياتهم وقومياتهم، بل ورغم اختلاف أزماتهم.
وهذا ما نجده بوضوح في الروايات الشريفة.

(١) كمال الدين: ٤٨٤ / باب ٤٥ / ح ٤.

فقد ورد عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن الرضا عليه السلام قال: «من غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهده وأتاه»^(١).

وعن الحسن بن علي الوشاء، عن الرضا عليه السلام، قال: سمعته يقول (في شأن ابن نوح الذي غرق): «كذبوا هو ابنه ولكن الله تعالى نفاه عنه حين خالفه في دينه»^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الناس، إنما عقر ناقة صالح واحد فأصابهم الله بعدابه بالرضا لفعله، وآية ذلك قوله عليه السلام: ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾^(٣)، وقال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾^(٤)، ألا ومن سئل عن قاتلي فزعم أنه مؤمن فقد قتلني^(٥).

ولما أظفر الله أمير المؤمنين عليه السلام بأصحاب الجمل، قال له بعض أصحابه: وَدِدْتُ أَنْ أُحْيِي فَلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا، لِيرَى مَا نَصَرَكَ اللهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ.
فَقَالَ لَهُ عليه السلام: أَهْوَى أَحْيِكَ مَعَنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ.

قَالَ عليه السلام: فَقَدْ شَهِدْنَا، وَلَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرَعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ^(٦).

ومن هذا المنطلق، وهذا المبدأ، يمكن أن نفهم ما ورد من أن الإمام المهدي عليه السلام سيقتل ذراري قتلة الإمام الحسين عليه السلام لرضاهم بفعال آبائهم.

فقد ورد أن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: قلت لأبي الحسن علي بن موسى

(١) التوحيد - الشيخ الصدوق - ص ٣٩٢.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ٨٢.

(٣) القمر ٢٩ و ٣٠.

(٤) الشمس ١٤ و ١٥.

(٥) الغيبة للنعماني ص ٣٥ مقدمة المؤلف.

(٦) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ - ص ٤٤.

الرضا عليه السلام: يا بن رسول الله، ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام أَنَّهُ قال: «إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها؟ فقال عليه السلام: «هو كذلك»، فقلت: فقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(١)، ما معناه؟ فقال: «صدق الله في جميع أقواله، لكن ذراري قتلة الحسين يرضون أفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قُتِلَ في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب كان الراضي عند الله شريك القتال، وإنما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم»^(٢).

ويُقرّر الإمام الصادق عليه السلام هذا المبدأ أكثر فيما روى عنه محمد بن الأرقط حيث قال له الإمام الصادق عليه السلام: «تنزل الكوفة؟»، قلت: نعم، قال: «ترون قتلة الحسين عليه السلام بين أظهركم؟»، قال: قلت: جعلت فداك، ما بقي منهم أحداً، قال: «فأنت إذا لا ترى القتال إلا من قُتِلَ أو من ولي القتل؟! ألم تسمع إلى قول الله: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣)، فأبي رسول قتل الذين كان محمد عليه السلام بين أظهرهم، ولم يكن بينه وبين عيسى رسول، إنما رضوا قتل أولئك فسموا قاتلين»^(٤).

وهو الأمر الذي أشارت له العديد من زيارات الإمام الحسين عليه السلام بعنوان: «وَلَعَنَّ اللهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ»^(٥).

الخطوة الرابعة: الإمام داعية سلام.

هنا مؤشرات لا بد أن نلتفت إليها حتى تطمئن النفوس وتنشرح الصدور وتتحول

(١) الأنعام: ١٦٤.

(٢) علل الشرائع للصدوق ١: ٢٢٩ / باب ١٦٤ / ح ١.

(٣) آل عمران: ١٨٣.

(٤) تفسير العياشي ١: ٢٠٩ / ح ١٦٥.

(٥) مصباح التهجد للطوسي: ٧٢١ / ح (٧٥ / ٨٠٦).

النظرة إلى نظرة إيجابية تجاه الإمام عليه السلام، فتكون دافعاً للعمل والتهيئة لدولته،

والمؤثرات على ذلك كثيرة، نذكر منها التالي:

١ - وصفه بأنه رحمة للعالمين في بعض الروايات الشريفة، ففي حديث اللوح الوارد عن جابر، عن الإمام الباقر عليه السلام: «وأختم بالسعادة لابنه عليّ وليّ وناصري والشاهد في خلقي وأميني عليّ وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن، وأكمل ذلك بابنه (م ح م د) رحمة للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب...»^(١).

٢ - قبوله لبيعة السفيناني رغم أفعاله الشنيعة، كما ذكرت ذلك بعض الروايات^(٢).

٣ - ما ورد من إرساله الجند إلى القسطنطينية، ممّا يظهر منه أنّه أرسلهم للقتال، لكن عندما يستسلم أهاليها فإنّ جنده يتركون القتال، ويدخلون المدينة سلماً^(٣).

٤ - ما ورد من جلوسه لمحاجة أهل الديانات بالدليل، ممّا يعني أنّه يُقدّم الحجّة والدليل العلمي على القتال...^(٤).

٥ - ما ورد من أنّه عليه السلام سوف لا يقاتل إلّا من يقاتله، ولا يزيد على ذلك شيئاً، وهو أمر لا تجده إلّا عند من تتمثل الإنسانية والأحكام الشرعية في سلوكه رغم ما عنده من أسباب القوّة ما لا يحتاج معه إلى التودّد إلى أحد.

فقد روي بالإسناد إلى الكابلي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «يباع القائم بمكّة على كتاب الله وسنة رسوله، ويستعمل على مكّة، ثمّ يسير نحو المدينة فيبلغه أنّ عامله قُتل، فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة، ولا يزيد على ذلك»^(٥).

(١) الكافي للكليني ١: ٥٢٨ / باب فيما جاء في الاثني عشر والنصّ عليهم عليهم السلام / ح ٣.

(٢) راجع: بحار الأنوار للمجلسي ٥٢: ٣٨٨ / ح ٢٠٦.

(٣) الغيبة للنعماني: ٣٣٤ و ٣٣٥ / باب ٢١ / ح ٨.

(٤) علل الشرائع للصدوق ١: ١٦١ / باب ١٢٩ / ح ٣.

(٥) بحار الأنوار للمجلسي ٥٢: ٣٠٨ / ح ٨٣.

٦ - ما ورد من أنه وأصحابه يعطون بعض الخارجين عليهم قبل أن يبدؤوهم القتال، ممَّا يعني أنهم يرجون أن لا يكون بينهم قتال، ولكن لو لم يكن إلا الكيِّ فهو آخر العلاج.

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «ثمَّ يرسل جريدة خيل إلى الروم فيستحضرون بقيَّة بني أُميَّة، فإذا انتهوا إلى الروم قالوا: أخرجوا إلينا أهل ملَّتنا عندهم، فيأبون ويقولون: والله لا نفعل، فيقول الجريدة: والله لو أمرنا لقاتلناكم، ثمَّ ينطلقون إلى صاحبهم...»^(١).
إنَّ هذه المؤشِّرات وغيرها واضحة في أنَّ الإمام المهدي عليه السلام رغم تمتَّعه بموقع القوَّة والهيمنة، إلاَّ أنَّه لا يبدأ المشركين، بل الزنادقة وأهل الردَّة بالقتال، وإنَّما يُظهر لهم من قوَّة التسامح وقبول التوبة أكثر ممَّا يُظهر لهم من قوَّة البطش والقتل، وما هذا إلاَّ لأنَّه داعية صلاح وسلام، اللهمَّ إلاَّ من يأبى منهم، أو من يبادر الإمام عليه السلام بالقتال أو بالمكر لحركة الإصلاح المهدوية العالمية، فإنَّه يتعامل معه التعامل الإسلامي الواضح والذي فعله قبله رسول الله ٩ عندما كان يضطرُّ إلى ذلك.

هذا فضلاً عن توافق هذا الفعل مع القانون العقلاني القاضي بإزاحة العقبات عن طريق الإصلاح.

فيتلخص:

١/ إنَّ الإمام عليه السلام سيقوم ببعض المعارك؛ لأنَّ هذه مسألةٌ طبيعية لبناء الدولة وهي غير خارجة عن حدود الإسلام، وإنَّ النبي صلى الله عليه وآله أيضًا فعل ذلك.

٢/ لا يكون القتال هو الطابع العام لحركة الإمام عليه السلام، فيقتل بصورة عشوائية وغير مبررة كما يتصور البعض. وإنَّما كلُّ ما سيقوم به الإمام عليه السلام من قتالٍ مبررٍ إسلامياً وإنسانيًا وعقلانيًا.

(١) تفسير العياشي ٢: ٦٠ / ح ٤٩.

المبحث التاسع:

ضمانات الانتصار المهدي

للدول الكافرة منظومة ضخمة جداً من الأسلحة، ترسانةً بإمكانها أن تفني الأرض ست مراتٍ حسب بعض التقارير، ومع كلِّ هذا التطور في تلك الدول، كيف سيواجه الإمام عليه السلام تلك القوى؟ هل هناك ضماناتٌ توضح لنا كيفية انتصار الإمام عليه السلام على أعدائه؟

الجواب:

نجيب ببعض العناوين؛ لأنَّ البحث في هذا الموضوع ضخماً جداً، ولكن قبل الجواب من المناسب أن نشير إلى ملاحظةٍ جداً مهمة وهي تبعث الاطمئنان في النفوس، وهي:

إنَّ الإمام المهدي عليه السلام هو وعد الله ﷻ، وقد أخبر الله ﷻ والروايات الشريفة الكثيرة المتواترة لدى الطرفين أنَّ الإمام عليه السلام سينتصر، وأنَّ الله ﷻ سيؤيده بالنصر ويُمكن له الأرض، وهذه هي النتيجة. أما الضمانات فمعرفتها قد تدخل في باب الفضول العلمي الذي يزيد من الاطمئنان في النفوس ويساعد في جدال الطرف المقابل.

وعلى كل حال، فهناك عدة ضماناتٍ تساعد في انتصار القضية المهديّة:

الضمان الأول: قوة مصادر القضية المهديّة.

وهذا ما أشرنا إليه في بداية البحث في القضية المهديّة، وإنَّ من أهم مصادر قوة

هذه القضية كونها قضية إنسانية أولاً، وكونها نابعة من الواقع لمعالجة الواقع ثانياً، وكونها وعداً إلهياً وأصلاً اعتقادياً ثالثاً.

الضمان الثاني: عنصر المباغته:

المباغته: بضم الميم وفتح الغين من بغته الامر، أي: فاجأه. ولقيته بغته، أي: فجأة، ومنه: مباغته العدو.^(١)

من الأمور التي أكدت عليها الروايات الشريفة بشأن الظهور المبارك، أمران:
الأمر الأول: إن وقت الظهور غير محدد.

والروايات في هذا المعنى عديدة، نذكر منها التالي:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ مِهْرَمٌ، فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَخْبَرَنِي عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي نَتَتَّظِرُّ مَتَى هُوَ؟ فَقَالَ: يَا مِهْرَمُ، كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ وَهَلَكَ الْمُسْتَعْجِلُونَ وَنَجَا الْمُسْلِمُونَ».^(٢)

وعن محمد بن مسلم، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا محمد، من أخبرك عنا توقيتاً فلا تهابن أن تكذبه، فإننا لا نوقت لأحد وقتاً».^(٣)

وهنا قد يرد إلى الذهن سؤال^(٤):

ما هي الحكمة من عدم التوقيت والنهي عنه؟

أو لم يكن الأفضل أن يذكر لنا أهل البيت عليهم السلام وقت الظهور بالضبط، حتى نكون

على بينة من أمرنا؟

(١) معجم لغة الفقهاء - محمد قلعجي - ص ٣٩٩.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٦٨ - ٣٦٩ باب كراهية التوقيت، الحديث ٢.

(٣) كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٠٠ الباب ١٦ الحديث ٣.

(٤) مستفاد من مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام.

الجواب:

لا بد أن يعلم أنه إن كان المقصود من الحكمة هي العلة التامة، فلا يعلم العلة التامة إلا الله جل وعلا.

أما إن كان المقصود منها الحكمة أو الفائدة فنقول: هناك فوائد كثيرة:

أولاً: إن انتظار الفرج بمعنى ترقب ظهور المهدي عليه السلام في كل زمان، يستوجب - في ما يستوجب - أن يكون المؤمن متهيأً للظهور في أية لحظة، وهذا يناسبه عدم التوقيت، بحيث يتوقع المؤمن الظهور في أية لحظة، على غرار ما ورد «فتوقعوا الفرج صباحاً ومساءً»^(١)

ثانياً: إن الظهور ممكن جداً في العصر الراهن، بدليل الروايات الشريفة التي تصرح بأن ظهور الإمام هو أمر مخفي ويحصل فجأة، من قبيل «فليعمل كل امرئٍ منكم بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يدينه من كراهيتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجاءة، حين لا تنفعه توبة، ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة»^(٢).

ومن قبيل «يصلح الله له أمره في ليلة»^(٣).

ثالثاً: إن التوقيت يولد اليأس والإحباط، وهذا أمر وجداني، فلو علمت يقيناً بأن الظهور سوف يكون في سنة ٣٠٠٠ ميلادية، فإن اليأس سيدب أكيداً في ذهني ويمنعني من العمل على تهيئة الظروف المناسبة للظهور، فإني أكيداً لن أدركه.

ورابعاً: لو علم الشخص بأن وقت الظهور مثلاً هو في عام ٢٠٥٠ فإن إمكانية انحراف الشخص عن سبيل الشريعة وارد جداً، وإذا دعوته إلى التوبة لأخبرك بأنه

(١) كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٧ الباب ٢٣ الحديث ١٠.

(٢) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ٢ - ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٥٢ الباب ٦ الحديث ١٣.

سيتوب قبيل الظهور! وهذا المعنى يكون أوضح إذا نظرنا إلى قضية الموت.

الأمر الثاني: إن الظهور حيث إنه لم يحدد وقته، فسيكون الظهور مفاجأة وبغته.

وهو أمر أكدته الروايات كثيراً.

روي أن النبي ﷺ قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال ﷺ:

مثله مثل الساعة التي ﴿لَا يُجَلِّئُهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ

إِلَّا بَعْتَهُ﴾^(١).^(٢)

وعن أبي حمزة الثمالي أنه سئل الإمام الباقر ﷺ عن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِهَا

أُوتُوا أَحَدُنَا هُمْ بَعْتَهُ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^(٣)، فقال: يعني قيام القائم^(٤).

وفي مكاتبة الإمام المهدي ﷺ للشيخ المفيد^(٥):... فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب

به من محبتنا، ويتجنب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغته فجاءة حين لا تنفعه

توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة.^(٥)

وهذا الأمر في الحقيقة سيمثل واحداً من الضمانات لانصرار الإمام المهدي ﷺ، إذ

لا شك أن غفلة العدو، وتناسيه أمر المهدي ﷺ، سيعطي فرصة مواتية للإمام وأصحابه

بالانقضاض على مراكز القوة لدى العدو، وتهديم بنيانه من الأساس.

وهو ما حدث في غزوة بني النضير كما حكى القرآن لنا ذلك في قوله عز من قائل:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي

(١) الأعراف ١٨٧

(٢) كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧٣.

(٣) الأنعام ٤٤

(٤) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٩٨.

(٥) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ٢ - ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ يَبْأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿١﴾.

ولعنصر المباغته فوائد مزدوجة:

الأول: عنصر قوة في المجال العسكري للإمام المهدي عليه السلام.

الثاني: عنصر إنذار للذين ابتعدوا عن الطريق الصحيح، فالتشيع الحقيقي لا يقتصر على الادعاء والأقوال المجردة عن واقع يصدقها؛ إذ إن الدين كله عمل يجسد العقيدة، وليس الإيمان قول بلا عمل، بل إن الإيمان عمل كله، فعلى من يدعي التشيع أن يعجل بالتوبة وأن يستمر بالسير على الصراط المستقيم، إذ لعل الظهور يحدث فجأة وهو في غفلة لو كان عاصياً.

الضمان الثالث: التركيبة الاستثنائية للقيادة والجيش.

فهي على مستوى عالٍ من القوة والانضباط والإيمان والجهاد، وكل هذه الأمور تؤدي إلى جيش قوي لا يقهر. وفي هذه القضية جهتين:

الجهة الأولى: شخصية القائد:

لا شك أن شخصية القائد لها تأثير مباشر إيجابي أو سلبي على الجيش، فإذا كانت شخصية فذة وكان القائد قائداً محنكاً لا يخاف فإن الجيش ستكون معنوياته قوية جداً، والعكس بالعكس.

فلا يختلف اثنان في أن هناك صفات واقعية إذا ما توفرت في القائد، فإن من شأنها أن تولد إخلاصاً لا مثيل له في الأفراد، مما يجعلهم مستعدين للتضحية من أجل قضيتهم، سواء بالأموال أم بالأنفس.

وشخصية المهدي عليه السلام احتوت على الكثير من الصفات تلك، ومن أهمها التالي:

الصفة الأولى: العصمة: وهذه الصفة وإن كانت مختصة بمن يعتقد بها في الإمام، لكنها على كل حال ستفرز سلوكاً اجتماعياً مميزاً، يجعل كل من يراه يطمئن قلبه له، على غرار ما روي عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: «رحم الله عبداً أحببنا»، فقلت له: وكيف يُحبي أمركم؟ قال: «يتعلم علمونا ويُعلمها الناس، فإنَّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لا يتبعونا...»^(١).

وهذه سيرة أهل البيت عليهم السلام، تشهد بصراحة على أن سلوكهم الاجتماعي المعصوم كان من أهم الأسباب التي أدت إلى اطمئنان المخالفين لهم إن لم نقل هدايتهم والانضواء تحت لوائهم.

والعصمة تنضوي في حقيقتها على علمٍ لدي، ينكشف معه الواقع للمعصوم، وهذا ما يفرز سلوكاً مزدوجاً ذا أثرين:

الأثر الأول: إنه يولد لدى الأتباع إحساساً بمراقبة الإمام الدائمة والمستمرة لهم، خصوصاً مع تصريح الروايات بهذا المعنى.

الأثر الثاني: إنه يولد إحساساً بالاطمئنان بأن الأتباع هم في عين قائدهم، وهو يتابع أمورهم باستمرار، فينامون قريري العيون بتلك المتابعة.

الصفة الثانية: الإنصاف: فقد ذكرت بعض الروايات الشريفة أن من أنصافه عليه السلام أنه سيشرط شروطاً على أصحابه، في قبال التزامات يلزم بها نفسه، وهذا من الإنصاف الذي قلما يوجد عند قائد، فقد روي أنه عليه السلام يقول لأصحابه: «إني لست قاطعاً أمراً حتى تبايعوني على ثلاثين خصلة تلزمكم، لا تغيرون منها شيئاً، ولكم علي ثمان خصال.

قالوا: قد فعلنا ذلك، فاذا ما أنت ذاكر يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، فيخرجون معه إلى

(١) معاني الأخبار للصدوق: ١٨٠ / باب معنى قول الصادق عليه السلام: من تعلم علماً ليباري به السفهاء... / ح ١.

الصفاء، فيقول: أنا معكم على أن لا تولوا، ولا تسرفوا، ولا تنزوا، ولا تقتلوا محرماً، ولا تأتوا فاحشة، ولا تضربوا أحداً إلا بحقه، ولا تكنزوا ذهباً ولا فضة ولا تبراً ولا شعيراً، ولا تأكلوا مال اليتيم، ولا تشهدوا بغير ما تعلمون، ولا تخربوا مسدداً، ولا تقبحوا مسلماً، ولا تعلنوا مؤاجراً إلا بحقه، ولا تشربوا مسكراً، ولا تلبسوا الذهب ولا الحرير ولا الديباج، ولا تبيعوها رباً، ولا تسفكوا دماً حراماً، ولا تغدروا بمستأمن، ولا تبقوا على كافر ولا منافق، وتلبسون الخشن من الثياب، وتتوسدون التراب على الخدود، وتجاهدون في الله حق جهاده، ولا تشتمون، وتكرهون النجاسة، وتأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر.

فإذا فعلتم ذلك فعلي أن لا أتخذ حاجباً، ولا ألبس إلا كما تلبسون، ولا أركب إلا كما تركبون، وأرضى بالقليل، وأملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وأعبد الله عز ووجل حق عبادته، وأفي لكم وتفوا لي.

قالوا: رضينا واتبعناك على هذا.

فيصافحهم رجلاً رجلاً»^(١).

الصفة الثالثة: التعامل الحازم مع خوارق النظام.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «بينا الرجل على رأس القائم يأمره وينهاه إذ قال: أديروه، فيديرونه إلى قدامه فيأمر بضرب عنقه، فلا يبقى في الخافقين شيء إلا خافه»^(٢).

الصفة الرابعة: المنهجية المتكاملة لبناء الدولة.

والتي تشمل:

١/ منهج الطاعة المطلقة لله تعالى.

(١) عقد الدرر في أخبار المنتظر ليوسف بن يحيى المقدسي ص ٩٣ و ٩٤.

(٢) الغيبة للنعماني ص ٣٤٥ و ٣٤٦ ب ١٣ ح ٣٢.

٢/ منهج اليقين.

٣/ المنهج العلمي.

٤/ المنهج الأخلاقي.

٥/ المنهج الاقتصادي.

٦/ منهج الأمن العام.

٧/ منهج الصحة العامة.

وكل هذه الجهات صرحت بها الروايات الشريفة، وعلى من يجب التوسع مراجعة الروايات الواردة بشأن بركات الدولة المهديّة.^(١)

الجهة الثانية: الجيش.

وجيش الإمام سيكون مركباً من:

القسم الأول: أصحاب الألوية:

وهم الأصحاب الذين يبدأ الإمام معهم نهضته، وهم الـ (٣١٣) رجلاً.

قال الإمام الصادق عليه السلام لمفضل بن عمر: «كأني أنظر إلى القائم عليه السلام على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاثة مائة وثلاثة عشر رجلاً، عدّة أهل بدر، وهم أصحاب الألوية، وهم حكام الله في أرضه على خلقه»^(٢).

القسم الثاني: الجيش الذي سيخرج به من مكة المكرمة:

وقد اختلفت الروايات في تحديد عدده بين (١٠) أو (١٢) أو (١٥) ألفاً.

(١) للتوسع يمكن مراجعة كتاب: في رحاب حكومة الإمام المهدي عليه السلام للشيخ نجم الدين الطيبي - ترجمة الشيخ أحمد وهبي - مطبعة نكارش - الطبعة الأولى سنة النشر ١٤٢٥ هـ. ق. ص ٧١ وما بعدها.

(٢) كمال الدين للصدوق: ٦٧٢ و٦٧٣ / باب ٥٨ / ح ٢٥.

ورد عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يخرج القائم عليه السلام حتى يكون تكملة الحلقة»، قلت: وكم تكملة الحلقة؟ قال: «عشرة آلاف...»^(١).

وقد روى السيد ابن طاووس في (الملاحم والفتن)^(٢) عن ابن زبير الغافقي أنه سمع علياً عليه السلام يقول: «يخرج المهدي في اثني عشر ألفاً إن قلوا، وخمسة عشر ألفاً إن كثروا...».

يُضاف إلى ذلك من سيلتحق به في قادم الأيام، كالحسني وجيشه، وأمثاله، وبقية المؤمنين.

الضمان الرابع: مساندة العنصر الغيبي لتلك القضية:

صحيح أن الصفة العامة لحركة التغيير المهديوية هي الصفة الطبيعية، أي اتخاذ الإجراءات العملية بصورة طبيعية لا إعجازية، وهذا الأمر هو ما قد يكون من أسباب تأخر اليوم الموعود إلى حين اكتمال التهيئة الطبيعية بعناصرها المختلفة (الزمنية والبشرية)، وهو ما قد تشير له بعض الروايات الشريفة، من قبيل ما ورد عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يخرج القائم عليه السلام حتى يكون تكملة الحلقة. قلت: وكم تكملة الحلقة؟ قال: عشرة آلاف...»^(٣).

وعن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ليعدن أحدكم لخروج القائم ولو سهماً...»^(٤).

إن هذا كله صحيح.

(١) الغيبة للنعماني: ٣١٩ و ٣٢٠ / باب ١٩ / ح ٢.

(٢) الملاحم والفتن لابن طاووس: ١٣٨ / ح ١٥٨.

(٣) كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٢٠.

(٤) كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٣٥.

ولكن مع ذلك، نجد أن السنة الإلهية اقتضت أن يكون هناك تأييد غيبي للحركات الرسالية، وهذا التأييد له عدة مبررات، يمكن إجمالها بالتالي:

أولاً: قد يقتضي إثبات الحق في بعض الأحيان قدرات غيبية، حينما تعجز القدرات الطبيعية عن إنجاز ذلك.

ثانياً: إنها تزيد من قوة الأتباع وإصرارهم وثباتهم على مبدئهم، فإن رؤيتهم للعنصر الغيبي بين يدي قائدهم يطمئنهم بأن الغيب معهم، وبأن قوة -أعلى من قوة أي إنسان وأية قوة- تسير معهم وبجانبهم.

ثالثاً: إن الإعجاز خير دليل على حقانية الحركة، لذلك كانت المعجزة هي أول ما يطالب به الناس الأنبياء إبان دعواتهم الإلهية.

أو قل: إنها فيصّل مهم يميز الحركة الحق من الأخرى الكاذبة، ولذلك يمكننا أن نطالب من يدعي المهودية بما لا يستطيع أن يأتي به إلا من عنده تأييد إلهي غيبي، على غرار ما ورد عن المفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «... إن ادعى مدع فاسألوه عن تلك العظام التي يجيب فيها مثله»^(١).

وأوضح ما ورد في ذلك ما جاء في إقامة الإمام المهدي عليه السلام المعجزة الواضحة للحسني عندما يطالبه بها لإثبات أنه الحق^(٢).

وكل هذا يوّد نقطة قوة لا مثيل لها في أية حركة تصاحبها المعجزة، أو قل: يصاحبها التأييد الغيبي.

والقضية المهودية شأنها شأن الحركات التغييرية للأنبياء، ستقوم وفق القانون الطبيعي، لكن العنصر الغيبي سيكون حاضراً فيها بصورة واضحة جداً، وهو ما

(١) الغيبة للنعماني: ١٧٨ / باب ١٠ / فصل ٤ / ح ٩.

(٢) راجع: الهداية الكبرى: ٤٠٤.

حدّثنا به روايات الملاحم وعصر الظهور.

المفردة الأولى: الصيحة:

فإن عنصر التأييد الغيبي فيها واضح جداً، فالمنادي بها هو جبرئيل عليه السلام، والصوت يصل إلى الجميع في لحظة واحدة، بل ويفهمها الجميع مرة واحدة، والصوت يوضح وبصراحة أن الحق هو مع المهدي عليه السلام.^(١)

المفردة الثانية: الخسف في البيداء.

فعندما يلحق جيش السفيناني بالمهدي، يؤمر به، فيخسف به في البيداء بين مكة والمدينة، وهي علامة إعجازية بحتة.

المفردة الثالثة: الرعب:

ففي الرواية عن أبي جعفر عليه السلام: «...يسير الرعب أمامه شهراً وخلفه شهراً...».^(٢)
وعن علي عليه السلام: «...ويسير الرعب بين يديه...».^(٣)

المفردة الرابعة: بعض خصائص الإمام عليه السلام:

١/ عدم تغير هيأته وقوّته بمرور الدهور والسنين، وخروجه يوم يخرج شاباً كأقوى ما يكون الإنسان، وإن كان عمره أكبر من عمر أيّ شيخ موجود:
فعن أبي الصلت الهروي، قال: قلت للرضا عليه السلام: ما علامات القائم منكم إذا خرج؟
قال: «علامته أن يكون شيخ السنّ، شابّ المنظر، حتّى أنّ الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين

(١) غيبة النعماني/ باب ١٤.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ - ص ٣٤٣ عن تفسير العياشي ج ٢ ص ٥٩

(٣) الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١٣٨ عن نعيم.

سنة أو دونها، وإن من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي حتى يأتيه أجله»^(١).
ولذا، فمن فتن وامتحانات الظهور هو خروج الإمام عليه السلام شاباً وهم يظنونهم شيخاً كبيراً، فعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لو قد قام القائم لأنكره الناس، لأنه يرجع إليهم شاباً موقفاً، لا يثبت عليه إلا من قد أخذ الله ميثاقه في الذرّ الأوّل»، وفي غير هذه الرواية أنه قال عليه السلام: «وإن من أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً»^(٢).

٢/ تظليل غمامة على رأسه الشريف دائماً، وصوت من تلك الغمامة يسمعه الثقلان بأن هذا مهدي آل محمد، وبعض الروايات قالت بأنّ المنادي بذلك الصوت هو ملك، ولا منافاة بين الروايتين كما هو واضح.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «... يظهر في آخر الزمان [و] على رأسه غمامة تظله من الشمس تدور معه حيثما دار تنادي بصوت فصيح هذا المهدي»^(٣).

وعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها منادٍ ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه»^(٤).

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي: ألا إنّ هذا المهدي فاتبعوه»^(٥).

٣/ عنده مواريث الأنبياء^(٦)، ومن تلك المواريث ما صفتة إعجازية كعصا موسى

(١) كمال الدين: ٦٥٢ / باب ٥٧ / ح ١٢.

(٢) الغيبة للنعماني: ١٩٤ و ١٩٥ / باب ١٠ / فصل ٤ / ح ٤٣.

(٣) كشف الغمّة ٣: ٢٧٥.

(٤) كشف الغمّة ٣: ٢٧٠ / ح ١٦.

(٥) الصراط المستقيم ٢: ٢٥٩ / ح ١.

(٦) انظر لتفاصيل تلك المواريث: شذرات مهدوية - الشيخ حسين الاسدي - الشذرة السادسة.

ودرعي رسول الله ﷺ، فإنَّ هناك درعان ذكرتهم الروايات، أحدهما: يسمى بـ(درع الإمامة)، ولا يلبسه إلا المعصوم، فإذا ما لبسه غير المعصوم لا يستوي عليه، وأما الدرع الآخر: فيسمى بـ(درع الخاتمية)، وهذا لا يستوي إلا على الرسول ﷺ والإمام المهدي ﷺ، وقد روي عن الإمام الصادق ﷺ يذكر فيها بعض موارد الأبياء التي ورثها أهل البيت ﷺ: «ولقد لبس أبي درع رسول الله ﷺ فخطت على الأرض خطيماً، ولبستها أنا فكانت وكانت، وقائمتنا من إذا لبسها ملاًها إن شاء الله»^(١).

المضردة الخامسة: نصرته بالملائكة.

وهو ما ذكرته الروايات الكثيرة أيضاً، فعن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: «لو قد خرج قائم آل محمد ﷺ لنصره الله بالملائكة المسؤمين والمردفين والمنزلين والكروبين، يكون جبرائيل أمامه، وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن يساره، والرعب يسير مسيرة شهر أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله، والملائكة المقربون حذاه...»^(٢). تذكر بعض الروايات الشريفة أنَّ مجموعة من الملائكة نزلوا لنصرة الإمام الحسين ﷺ، ولكنهم لم يؤذّن لهم، وكان رئيسهم اسمه (منصور)، وأنهم ينتظرون قيام القائم ﷺ لينصروه وليكونوا معه.

وعن الإمام الصادق ﷺ: «... وأربعة آلاف هبطوا يريدون القتال مع الحسين ﷺ لم يؤذّن لهم، فرجعوا في الاستيثار، فهبطوا وقد قُتِل الحسين ﷺ، فهم عند قبره شعث غبر يبيكونه إلى يوم القيامة، ورئيسهم ملك يقال له: منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يؤدّعه مودّع إلا شيعوه، ولا مريض إلا عادوه، ولا يموت ميت إلا صلّوا عليه

(١) الكافي ١: ٢٣٣/ باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ٩ ومتاعه / ح ١.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٣٩ و ٢٤٠ / باب ١٣ / ح ٢٢.

واستغفروا له بعد موته، فكلُّ هؤلاء ينتظرون قيام القائم عليه السلام...»^(١).
وغيرها من الروايات.

المفردة السادسة: إحياء بعض الموتى وحضورهم في ركبه عليه السلام:

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يُخرج القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحقّ وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبا دجاجة الأنصاري، والمقداد، ومالكاً الأستر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً»^(٢).

وموضوع الرجعة موضوع مستقل، لذلك أفرده الشيخ قدس سره ببحث خاص.

(١) الغيبة للنعماني: ٣٢٣/ باب ٢٠/ ح ٥.

(٢) الإرشاد ٢: ٣٨٦.

عقيدتنا في الرجعة

قال سماحة الشيخ المظفر (رحمه الله وطيب ثراه):

«عقيدتنا في الرجعة:

إنّ الذي تذهب إليه الإمامية أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أنّ الله ﷻ يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيُعزُّ فريقاً ويُدلُّ فريقاً آخر، ويديلُّ المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت، ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من الثواب أو العقاب، كما حكى الله ﷻ في قرآنه الكريم تمني هؤلاء المرتجعين الذين لم يُصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله أن يخرجوا ثالثاً لعلهم يُصلحون: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آثْنَيْنِ وَأَْحِيَّتَنَا آثْنَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

نعم قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلى الدنيا، وتظافت بها الأخبار عن بيت العصمة.

والإمامية بأجمعها عليه إلا قليلون منهم تأولوا ما ورد في الرجعة بأنّ معناها رجوع الدولة والأمر والنهي إلى آل البيت بظهور الإمام المنتظر، من دون رجوع أعيان الأشخاص وإحياء الموتى.

والقول بالرجعة يُعدُّ عند أهل السنة من المستنكرات التي يستقبح الاعتقاد بها،

وكان المؤلفون منهم في رجال الحديث يُعدّون الاعتقاد بالرجعة من الطعون في الراوي والشناعات عليه التي تستوجب رفض روايته وطرحها.

ويبدو أنّهم يُعدّونها بمنزلة الكفر والشرك بل أشنع، فكان هذا الاعتقاد من أكبر ما تنبذ به الشيعة الإمامية ويشنع به عليهم.

ولا شكّ في أنّ هذا من نوع التهويلات التي تتخذها الطوائف الإسلامية فيما غير ذريعة لطعن بعضها في بعض والدعاية ضده.

ولا نرى في الواقع ما يبرر هذا التهويل، لأنّ الاعتقاد بالرجعة لا يحدش في عقيدة التوحيد ولا في عقيدة النبوة، بل يؤكد صحة العقيدتين، إذ الرجعة دليل القدرة البالغة لله ﷻ كالبعث والنشر، وهي من الأمور الخارقة للعادة التي تصلح أن تكون معجزةً لنبينا محمد وآل بيته (صلى الله عليه وعليهم) وهي عيناً معجزة إحياء الموتى التي كانت للمسيح ﷺ، بل أبلغ هنا؛ لأنّها بعد أن يصبح الأموات رمياً ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿

وأما من طعن في الرجعة باعتبار أنّها من التناسخ الباطل، فلاّنه لم يفرق بين معنى التناسخ وبين المعاد الجسماني، والرجعة من نوع المعاد الجسماني، فإن معنى التناسخ هو انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر منفصل عن الأول، وليس كذلك معنى المعاد الجسماني، فإن معناه رجوع نفس البدن الأول بمشخصاته النفسية فكذلك الرجعة.

وإذا كانت الرجعة تناسخاً فإنّ إحياء الموتى على يد عيسى ﷺ كان تناسخاً، وإذا كانت الرجعة تناسخاً كان البعث والمعاد الجسماني تناسخاً.

إذن، لم يبق إلا أن يناقش في الرجعة من جهتين (الأولى) أنّها مستحيلة الوقوع (الثانية) كذب الأحاديث الواردة فيها.

وعلى تقدير صحة المناقشتين فإنّه لا يعتبر الاعتقاد بها بهذه الدرجة من الشناعة التي

هو لها خصوم الشيعة.

وكم من معتقداتٍ لباقي طوائف المسلمين هي من الأمور المستحيلة أو التي لم يثبت فيها نص صحيح، ولكنها لم توجب تكفيراً وخروجاً عن الإسلام، ولذلك أمثلة كثيرة: منها الاعتقاد بجواز سهو النبي أو عصيانه، ومنها الاعتقاد بقدوم القرآن، ومنها القول بالوعيد، ومنها الاعتقاد بأن النبي لم ينص على خليفة من بعده.

على أن هاتين المناقشتين لا أساس لهما من الصحة، أما أن الرجعة مستحيلة فقد قلنا أنها من نوع البعث والمعاد الجسماني غير أنها بعثٌ موقوتٌ في الدنيا، والدليل على إمكان البعث دليلٌ على إمكانها.

ولا سبب لاستغرابها إلا أنها أمرٌ غير معهودٍ لنا فيما ألفناه في حياتنا الدنيا، ولا نعرف من أسبابها أو موانعها ما يقربها إلى اعترافنا أو يبعدها وخيال الإنسان لا يسهل عليه أن يتقبل تصديق ما لم يألفه، وذلك كمن يستغرب البعث فيقول: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ فيقال له: ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

نعم في مثل ذلك، مما لا دليل عقلي لنا على نفيه أو إثباته أو نتخيل عدم وجود الدليل، يلزمنا الرضوخ إلى النصوص الدينية التي هي من مصدر الوحي الإلهي، وقد ورد في القرآن الكريم ما يثبت وقوع الرجعة إلى الدنيا لبعض الأموات كمعجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى ﴿وَأَبْرَأُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وكقوله ﴿أَنْتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ والآية المتقدمة: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ..﴾، فإنه لا يستقيم معنى هذه الآية بغير الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وإن تكلف بعض المفسرين في تأويلها بما لا يروي الغليل ولا يُحقق معنى الآية.

وأما المناقشة الثانية، وهي دعوى أن الحديث فيها موضوع، فإنه لا وجه لها؛ لأن الرجعة من الأمور الضرورية فيما جاء عن آل البيت من الأخبار المتواترة.

وبعد هذا، أفلا تعجب من كاتب شهير يدعي المعرفة مثل أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) إذ يقول: «فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة»، فأنا أقول له على مدعاها: فاليهودية أيضاً ظهرت في القرآن بالرجعة، كما تقدم ذكر القرآن لها في الآيات المتقدمة.

ونزيده فنقول: والحقيقة أنه لا بُدَّ أن تظهر اليهودية والنصرانية في كثيرٍ من المعتقدات والأحكام الإسلامية؛ لأنَّ النبي الأكرم جاء مصداقاً لما بين يديه من الشرائع السماوية وإنَّ نسخَ بعض أحكامها، فظهور اليهودية أو النصرانية في بعض المعتقدات الإسلامية ليس عيباً في الإسلام، على تقدير أنَّ الرجعة من الآراء اليهودية كما يدعيه هذا الكاتب.

وعلى كُلِّ حالٍ فالرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها، وإنَّما اعتقادنا بها كان تبعاً للآثار الصحيحة الواردة عن آل البيت عليهم السلام الذين ندين بعصمتهم من الكذب، وهي من الأمور الغيبية التي أخبروا عنها، ولا يمتنع وقوعها. انتهى.

أشار الشيخ إلى عدة نقاطٍ تناوَلها بشيءٍ من التوضيح تبعاً، وهي:

النقطة الأولى: معنى الرجعة.

إنَّ الرجعة بعبارة بسيطة هي: رجوع بعض الأموات بأجسادهم التي دُفِنوا بها إلى دار الدنيا عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام؛ ليكملوا حياةً أخرى لهم من النقطة التي ماتوا عندها، لا من نقطة الصفر.

فتختلف رجعة الإنسان عن ولادته في أن الولادة هي خروج من رحم الأم ومن نقطة الصفر، ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

كما تختلف عن البعث يوم القيامة من عدة جهات، منها: أنها خاصة، ورجوعٌ إلى عالم الدنيا، ومتبوعةٌ بالموت، أما البعث فهو عام لجميع البشرية التي وجدت على وجه الأرض بل حتى الحيوانات، ولا يكون إلا في عالم الآخرة، وهو يوم الخلود.

وتختلف أيضًا عن التناسخ الذي يعتقد به البعض؛ لأنَّ التناسخ يعني تحول وانتقال الروح إلى جسمٍ جديدٍ إنساني أو حيواني، ويبدأ التكامل من نقطة الصفر، على حين أنَّ الرجعة هي رجوعُ الروح إلى نفس الجسد الذي خرجت منه لا إلى غيره، وترجع إليه وهو بنفس الحالة الكمالية التي كانت عندما خرجت الروح منه.

تفسيرٌ آخر للرجعة ومناقشته:

حاول البعض أن يفسر الرجعة بتفسيرٍ غير ما تقدّم، وخلاصته: رجوع الحق والإمامة إلى أصحابها الشرعيين أهل البيت عليهم السلام في زمن الإمام المهدي عليه السلام، لا رجوع الأموات إلى الحياة.

وهو تفسيرٌ ليس وليد اليوم، إنّما يظهر من بعض الروايات الشريفة أنّه موجود في زمن الأئمة عليهم السلام، وقد أطلق الإمام الصادق عليه السلام على من يقول بهذه المقولة من الشيعة (مقصرة الشيعة).

وهو تفسيرٌ مخالفٌ لصريح الروايات الشريفة لاسيما تلك الروايات التي شخّصت بعض الأفراد بأنهم سيرجعون زمن ظهور الإمام عليه السلام.

روي أن الإمام الصادق عليه السلام سأل المفضل بن عمر: «فمن أين قلت برجعتنا ومقصرة شيعتنا أن معنى الرجعة أن يرد الله إلينا ملك الدنيا فيجعله للمهدي، ويجهم متى سلبنا الملك حتى يرد إلينا.

قال المفضل: لا والله يا مولاي ما سلبتموه ولا تسلبونه لأنه ملك النبوة والرسالة

والوصية والإمامة.

قال الصادق عليه السلام: يا مفضل، لو تدبر القرآن شيعتنا لما شكوا في فضلنا، أما سمعوا قول الله جل من قائل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١)، فأخذ إبراهيم عليه السلام أربعة أطياف فذبحها وقطعها وأخلط لحومها وريشها حتى صارت قبضة واحدة ثم قسمها أربعة اجزاء وجعلها على أربعة أوجال ودعاها فأجابته وأقرت وأيقنت بوحدانية وبرسالة إبراهيم بصورها الأولية...^(٢).

وأخذ الإمام عليه السلام يعدد بعض الآيات التي تدل على وقوع الرجعة في الأمم السابقة...

النقطة الثانية: القيمة الاعتقادية للرجعة.

إن الاعتقاد بالرجعة لا يُعدُّ أصلاً من أصول الدين بحيث يكفر منكرها أو يخرج عن المذهب فيما إذا كان إنكاره لها عن شبهة أو عن شيء اعتقد به دليلاً على عدم وقوعها. وبعبارة أخرى: لو قال شخصٌ بعدم ثبوت أدلة الرجعة عنده، فلا يكفر ولا يخرج عن المذهب؛ لذلك تجد أنَّ هناك خلافاً في إثباتها أو نفيها بين العلماء. وبهذا الاعتبار، فلا يصح جعلها مفصلاً يكفر عليها الإنسان إثباتاً أو نفيًا.

نعم، إن كان إنكارها راجعاً إلى إنكار قدرة الله ﷻ عليها، أي استلزم إنكارها إنكار قدرته ﷻ على إحياء الموتى، فهذا يستلزم الكفر، ولكن لا من جهة إنكار الرجعة بما هي هي، ولكن لاستلزامها إنكار صفة ذاتية من صفاته ﷻ وهي القدرة الثابتة عقلاً ونقلاً.

(١) البقرة ٢٦٠

(٢) الهداية الكبرى للخصيبي ص ٤١٩ و ٤٢٠.

والقول بعدم ترتب الكفر على منكر الرجعة لا يعني أنّها ليست من المسائل العقائدية الضرورية، بل هي ضرورية؛ للأدلة المتواترة التي أقيمت عليها، بل أشار السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان إلى أنّ الروايات الدالة على الرجعة قد بلغت ما يقرب من الخمسمائة رواية.^(١)

وقال في موضع آخر: وأخبار الرجعة من طرق الشيعة كثيرة جدا.^(٢)

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه أصل الشيعة وأصولها: «ليس التدين بالرجعة في مذهب الشيعة بلازم ولا إنكارها بضرار، ولا يناط التشيع بها وجوداً وعدمًا، وليست هي إلا كبعض أبناء الغيب وحوادث المستقبل وأشراف الساعة مثل نزول عيسى من السماء وظهور الدجال وخروج السفيناني وأمثالها من القضايا الشائعة عند المسلمين وما هي من الإسلام في شيء، وليس إنكارها خروجًا منه ولا الاعتراف بها بذاته دخولاً فيه وكذا حال الرجعة عند الشيعة».^(٣)

النقطة الثالثة: هل الرجعة أمر ممكن أو مستحيل؟

إننا نحكم بطلان عقيدة ما إذا كانت متصفةً بإحدى صفتين:

الأولى: أن تكون مخالفةً لضرورة عقلية.

كقول النصارى: إنّ الله ﷻ في عين كونه واحدًا هو ثلاثة (الأب والابن وروح القدس)، وكادعاء بعض الجسمة - ومنهم الوهابية - أنّ الله ﷻ يدًا مادية وعينًا مادية وما شاكل ذلك، فإنّ هذا يستلزم التركيب والجسمية والمحدودية، مما يعني وجود الله ﷻ في مكانٍ دون آخر، وهو محال؛ لأنّ التركيب والجسمية والمحدودية من صفات الإمكان،

(١) تفسير الميزان للطباطبائي ج ٢ ص ١٠٦.

(٢) تفسير الميزان للطباطبائي ج ١٥ ص ٤٠٦.

(٣) أصل الشيعة وأصولها - الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء - ص ١٦٧

وهو (جلّ في علاه) واجبٌ. تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً.

الثانية: أن تكون مخالفةً لضرورةٍ ثقلية.

كادعاء أن النبي الأكرم ﷺ يهجر أو يخطئ؛ لأنه مخالفٌ لقوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) وليس في الرجعة ما يخالف ضرورةً ثقلية ولا عقلية. بل إنَّ العقل والنقل دلاً على إمكان البعث يوم القيامة، وهو رجوعٌ بصورةٍ شاملة وعامة وأكثر وأعقد من الرجعة، فكلُّ من آمن بالبعث والمعاد يلزمه أن يقول بإمكان الرجعة.

النقطة الرابعة: هل الرجعة أمرٌ واقعٌ خارجاً أو إنه باقٍ في حيز الإمكان؟

إنَّ الرجعة وقعت في الأمم السابقة، وما دامت وقعت سابقاً فلا مانع من وقوعها في المستقبل، خصوصاً مع ما ورد عن النبي الأكرم ﷺ: «لتركن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة»، وفي روايةٍ أخرى: «حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»^(٢). وهناك أدلة قرآنية كثيرة تدلُّ على وقوع الرجعة في الأمم السابقة، منها ما يأتي^(٣):

ألف: في ما يتعلق بالنبي الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وعظام أهلها نخرة متفرقة هنا وهناك. فتساءل في نفسه وقال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم أحياه فقال له: كم لبثت؟! قال: لبثت يوماً أو بعض يوم قال: بل لبثت مئة عام. [مؤدى الآية ٢٥٩ - من سورة البقرة]. وسواء كان هذا النبي عزيزاً أم سواه، فلا فرق في ذلك، المهم أن القرآن صرح بحياته بعد موته في هذه الدنيا فأماته الله

(١) النجم ٤ و ٥.

(٢) دعائم الإسلام للقاضي المغربي ج ١ ص ١.

(٣) انظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٢ - ص ١٤٢ -

مئة عام ثم بعثه!

ب - يتحدث القرآن - في الآية (٢٤٣) من سورة البقرة ذاتها - عن جماعة أخرى خرجت من ديارها خوفاً من الموت، وامتنعت من الذهاب إلى سوح القتال بحجة مرض الطاعون، فأماها الله ثم أحيها ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ وبالرغم من أن بعض المفسرين لم يتحملوا وقوع مثل هذه الحادثة غير المألوفة، وعدوها مثالا فحسب، إلا أن من الواضح أن مثل هذه التأويلات إزاء ظهور الآية - بل صراحتها - لا يمكن المساعدة عليه!

ج - وفي الآيتين ٥٥ و ٥٦ من سورة البقرة أيضاً، يتحدث القرآن عن بني إسرائيل فيقول: وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون.

د - ونقرأ في الآية (١١٠) ضمن معاجز عيسى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾. ويدل هذا التعبير على أن المسيح ﷺ أحيى الموتى فعلا، بل التعبير بالفعل المضارع (تخرج) يدل على أنه أحيى الموتى مرارا، وهذا الأمر بنفسه يعد نوعا من الرجعة لبعضهم!

هـ - وأخيرا ففي الآيتين (٧٢) و (٧٣) من سورة البقرة، إشارة إلى مقتل رجل من بني إسرائيل ووقوع الجدل والنزاع في شأن قاتله، وما أمرهم الله أن يفعلوه بضرب القتل ببعض البقرة - الواردة خصائصها في الآية ٧١ و ٧٢ - إذ يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وبالإضافة إلى هذه المواطن الخمسة التي أشرنا إليها، فهناك مواطن آخر في القرآن،

منها قصة أصحاب الكهف، وهي قصة تشبه الرجعة. وقصة الأربعة من الطير التي أمر إبراهيم أن يذبحها فأتينه سعيًا بعد ذبحهن وتفريقهن على رأس كل جبل جزءًا منهن، ليتضح له إمكان المعاد للناس ويكون مجسدًا برجوع هذه الطيور إلى الدنيا.

النقطة الخامسة: استدلال آخر على الرجعة قرآنيًا.

من الأدلة التي استدل بها على الرجعة هي الآية القرآنية التي تحكي حال بعض الناس مع الله ﷻ: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(١)

ببيان:

إن هؤلاء يتكلمون مع الله ﷻ بقولهم: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ والإماتة الأولى وقعت في الحياة الدنيا، وأنها حياتهم الأولى، وبعد ذلك رجعوا إلى الدنيا، ومن ثم أماتهم الله ﷻ مرة ثانية، وهذه الإماتة أيضًا وقعت في الحياة الدنيا، وأنها حياتهم الثانية فيها. وبعد أن ماتوا أعاد الله ﷻ لهم الحياة مرة ولكن هذه المرة في الحياة الآخروية. وبذا كانت هناك إماتتان وإحياءان، ومعنى الآية لا يستقيم إلا بالقول بالرجعة. وهذا ما أشار إليه الشيخ رحمه الله في عبارة كلامه، حيث قال: «كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمنى هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله أن يخرجوا ثالثًا لعلهم يصلحون: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.»

ثم أشار (طيب الله ثراه) إلى أن البعض قد حاول أن يناقش في هذه الآية ويفسرها بتفسير آخر لا يتلاءم مع الرجعة، ومن هذه التفاسير ما نقله فخر الدين الطريحي في تفسير غريب القرآن:

التفسير الأول:

قال: «الموتة الأولى: كونهم نطفًا في أصلاب آبائهم لأن النطفة ميتة، والحياة الأولى إحياء الله إياهم من النطفة، والموتة الثانية إماتة الله إياهم بعد الحياة، والحياة الثانية إحياء الله إياهم للبعث فهاتان موتتان وحياتان.»^(١)

وهذا التفسير غير مقبول؛ لأنه لا يُقال عن النطفة في صلب الرجل إنها ميتة؛ لأنَّ الموت يكون عن حياة، أي هناك حياةٌ تسبق الموت، والعلم أثبت أن النطفة ليست ميتة.

التفسير الثاني:

إنَّ الحياة الأولى هي حياتهم في عالم الذر، وبعد عالم الذر ماتوا الموتة الأولى، ثم صار عندهم حياة في الدنيا ثم ماتوا، حيث نقل الطريحي: «وقيل: إن الموتة الأولى التي كانت بعد إحياء الله إياهم في الذر إذ سأهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾»^(٢)، ثم أماتهم بعد ذلك ثم أحياهم بإخراجهم إلى الدنيا، ثم أماتهم ثم يبعثهم الله إذا شاء، فهذه موتتان وحياتان.»^(٣)

وهذا التفسير أغرب من سابقه كما هو واضح.

النقطة السادسة: محاولة الكيد بالتشيع من خلال القول بالرجعة.

حاول البعض (مثل أحمد أمين المصري في كتابه فجر الإسلام) أن ينكر القول بالرجعة ويحاول الكيد بالتشيع فيقول: فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة.^(٤) والحال أنَّه مع إمكانها وتصريح القرآن بوقوعها لا مجال لإنكارها، وأما اعتقاد

(١) تفسير غريب القرآن للشيخ فخر الدين الطريحي ص ١٣٨.

(٢) الأعراف ١٧٢

(٣) تفسير غريب القرآن للشيخ فخر الدين الطريحي ص ١٣٨.

(٤) راجع: أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج ١ ص ٥٥.

اليهود بها فلا يبطل حقانيتها، فإنَّ الذي يمكن أن يُشنعَّ به على أحد هو الاعتقاد بالباطل، أما إذا كان اعتقادًا صحيحًا فلا.

وإلا فاليهود يعتقدون بوجوب الختان والذبح بالسكين أيضًا، أفمن اللازم أن نتخلى عن تلك الأحكام لاعتقادهم بها، بل هم يعتقدون أيضًا بأن الله ﷻ هو الخالق، أفنكفر بذلك لنظفر برضا أحمد أمين وأمثاله قليلي العقل والمنطق؟!

ثم لا أدري كيف يجيب أحمد أمين وأمثاله على أمر عمر بن الخطاب بالتكثف في الصلاة وجعله واجبًا بعد أن شاهده عند مجموعة من اليهود تبجيلًا لعظائهم، فاستحسنه وحمله على المسلمين في صلاتهم!

النقطة السابعة: ما هي فلسفة الرجعة؟

ذكر العلماء العديد من النكات والحكم للرجعة في الدنيا، نذكر منها:

- ١ - هي دليلٌ آخر على إمكان وقوع البعث يوم القيامة.
- ٢ - هي فرصةٌ لتكامل المؤمنين الذي حالت الظروف دون وصولهم إلى كما لهم الذي كان من الممكن أن يصلوا إليه.
- ٣ - هي انتقامٌ معجل لأولئك الظلمة الذين ماتوا من دون أن يؤخذ الحق منهم.
- ٤ - إنَّ كثيرًا ممن يرجعون سيكون لهم أدوار مهمة في دولة الإمام المهدي ﷺ، ولذلك نجد الترابط واضحًا بين الرجعة ودولة الإمام المهدي ﷺ.

النقطة الثامنة: هل ذكرت الروايات الشريفة أسماء بعض الذين يرجعون؟

نعم، والروايات في هذا المجال كثيرة، منها:

عن الإمام الصادق ﷺ: «أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن

علي عليه السلام». (١)

وعنه عليه السلام: «إنَّ أول من يكر في الرجعة الحسين بن علي عليه السلام، ويمكث في الأرض أربعين سنة حتى يسقط حاجباه على عينيه». (٢)

وعن الإمام الحسين عليه السلام: «أكون أول من ينشق الأرض عنه، فأخرج خرقة يوافق ذلك خرقة أمير المؤمنين وقيام قائمنا». (٣)

وعن الإمام الباقر عليه السلام - لبكير بن أعين: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً سيرجعان». (٤)

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كأني بحمران بن أعين وميسر بن عبد العزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة». (٥)

وعن الإمام علي عليه السلام: «... وليبعثهم الله أحياءً من آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله كل نبي مرسل، يضربون بين يدي بالسيف هام الأموات والأحياء والثقلين جميعاً... وإن لي الكرة بعد الكرة والرجعة بعد الرجعة، وأنا صاحب الرجعات والكرات وصاحب الصولات والنقات». (٦)

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «كأني بعبد الله بن شريك العامري عليه عمامة سوداء وذؤابتها بين كتفيه مصعداً في لحف الجبل بين يدي قائمنا أهل البيت في أربعة آلاف مكبرون، ومكرون». (٧)

-
- (١) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلبي - ص ٢٤.
 (٢) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلبي - ص ١٨.
 (٣) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلبي - ص ٣٧.
 (٤) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلبي - ص ٣٧.
 (٥) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلبي - ص ٢٥.
 (٦) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلبي - ص ٣٣.
 (٧) اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي - ج ٢ - ص ٤٨١ رقم ٣٩٠.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إني سألت الله في إسماعيل أن يبقيه بعدي فأبى ولكنه قد أعطاني فيه منزلة أخرى أنه يكون أول منشور في عشرة من أصحابه ومنهم عبد الله بن شريك وهو صاحب لوائه»^(١).

وفي رواية الإرشاد عن الإمام الصادق عليه السلام: «يُخرج القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلا، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبا دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالكا الأشر، فيكونون بين يديه أنصارا وحكاما»^(٢).

وهناك روايات أخرى، نكتفي بهذا القدر منها.

النقطة التاسعة: رجوع الإمام الحسين عليه السلام ودوره؟

إنَّ مما أكدته الروايات الشريفة هو رجوع الإمام الحسين عليه السلام، وأنه أول من سيرجع وتنشق الأرض عنه، ومن تلك الروايات الواردة في هذا المجال ما روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «أنَّ الحسين عليه السلام قال لأصحابه: «أبشروا بالجنة، فوالله! إننا نمكث ما شاء الله بعد ما يجري علينا، ثم يخرجنا الله وإياكم حتى يظهر قائمنا، فينتقم من الظالمين وأنا وأنتم نشاهدهم في السلاسل والأغلال وأنواع العذاب»^(٣).

وورد أنَّ الله ﷻ أخبر رسول الله ﷺ وبشَّره بالحسين عليه السلام قبل حمله وأنَّ الإمامة تكون في ولده إلى يوم القيامة ثم أخبره بما يُصيبه من القتل والمصيبة في نفسه وولده ثم عوضه بأن جعل الإمامة في عقبه وأعلمه أنه يُقتل، ثم يردّه إلى الدنيا وينصره حتى يقتل

(١) اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي - ج ٢ - ص ٤٨١ رقم ٣٩١.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ج ٢، ص ٣٨٦.

(٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام - ص ٤٩٨ الحديث

أعداءه ويملكه الأرض وهو قوله ﷺ: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (١). (٢)

وقد ذكر بعض العلماء بأن رجوعه هو من أجل:

١/ الوصول بالأمة إلى هدفه الذي نهض من أجله وحالت الظروف دون وصوله
إليه «الإصلاح في أمة جدي رسول الله ﷺ»... (٣)

٢/ قيادة دولة الإمام المهدي ﷺ بعد قتله، ولذلك ذكرت الرواية أن الإمام
المهدي ﷺ سيكون موته بعد استقرار معرفة الناس بأن هذا هو الحسين ﷺ...
إن الإصلاح الذي ثار من أجله الإمام الحسين ﷺ غاية العدل والقسط، وهو ما لم
تتح الفرصة المواتية لتحقيقه آنذاك، وهو ما سيتم على يدي المهدي ﷺ وسيكون للإمام
الحسين ﷺ دور في ذلك أيضاً.

٣/ إنه هو الذي يلي أمر الإمام المهدي ﷺ بعد وفاته، لأن الوصي لا يلي أمره إلا
الوصي.

فهو ﷺ من سيغسل الإمام المهدي ﷺ ويلى أمره.

فقد روي عن عبد الله بن القاسم البطل عن أبي عبد الله ﷺ في قوله تعالى:
﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ قَالَ: قَتَلَ عَلِيٌّ بَنَ
أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَطَعَنَ الْحُسَيْنَ ﷺ ﴿وَلَتَعْلَنَ عُلوًّا كَبِيرًا﴾ قَالَ: قَتَلَ الْحُسَيْنَ ﷺ ﴿فَإِذَا
جَاءَ وَعَدُّ أَوْلَاهُمَا﴾ فَإِذَا جَاءَ نَصْرُ دَمِ الْحُسَيْنِ ﷺ ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلِيَ بَأْسٍ
شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ قَوْمٌ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ قَبْلَ خُرُوجِ الْقَائِمِ ﷺ فَلَا يَدْعُونَ وَتَرَا

(١) القصص ٥.

(٢) تفسير القمي - علي بن إبراهيم القمي - ج ٢ - ص ٢٩٧.

(٣) الشيخ محمد السند في حوار أجرته معه مجلة الإصلاح الحسيني العدد الثاني ص ٣١.

لَا لِمُحَمَّدٍ إِلَّا قَتْلُوهُ ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ خُرُوجِ الْقَائِمِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ خُرُوجِ الْحُسَيْنِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمُ الْبَيْضُ الْمَذْهَبُ لِكُلِّ بَيْضَةٍ وَجِهَانِ الْمُؤَدُّونَ إِلَى النَّاسِ أَنَّ هَذَا الْحُسَيْنَ قَدْ خَرَجَ حَتَّى لَا يَشْكُ الْمُؤْمِنُونَ فِيهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِدَجَالٍ وَلَا شَيْطَانٍ وَالْحُجَّةُ الْقَائِمُ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، فَإِذَا اسْتَقَرَّتِ الْمَعْرِفَةُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ الْحُسَيْنُ ﴿عَلَيْهِ﴾ جَاءَ الْحُجَّةَ الْمُوتُ فَيَكُونُ الَّذِي يُغَسَّلُهُ وَيُكَفَّنُهُ وَيُحَنِّطُهُ وَيَلْحَدُهُ فِي حُفْرَتِهِ الْحُسَيْنَ بْنِ عَلِيٍّ ﴿عَلَيْهِ﴾، وَلَا يَلِي الْوَصِيَّ إِلَّا الْوَصِيُّ. ^(١)

سؤال: كم هي مدة دولة الإمام المهدي عليه السلام؟ ^(٢)

ينبغي علينا في هذا الموضوع أن نُميز بين أمرين:

الأمر الأول: مدة الدولة المهديّة العادلة:

وهنا يمكن القول بأنّ الدولة ستبقى إلى يوم القيامة، إذا لاحظنا التالي - مع الالتفات إلى أن المقصود من الدولة المهديّة ما يشمل حكم الإمام المهدي عليه السلام وحكم الأئمة عليهم السلام في الرجعة -:

أولاً: ما ورد من أنّ دولتهم عليهم السلام هي آخر الدول على الأرض، ممّا يعني عدم قيام دولة أخرى بعدها.

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «ما يكون هذا الأمر حتّى لا يبقى صنف من الناس إلّا وقد ولّوا على الناس حتّى لا يقول قائل: إنا لو ولّينا لعدلنا، ثمّ يقوم القائم بالحقّ والعدل» ^(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «دولتنا آخر الدول، ولن يبقَ أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا

(١) الكافي للكليني ج ٨ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ ح ٢٥٠.

(٢) انظر: على ضفاف الانتظار - الشيخ حسين الأسدي ص ٢٧٦ عنوان رقم (١٠٥)

(٣) الغيبة للنعماني: ٢٨٢ / باب ١٤ / ح ٥٣.

قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله ﷻ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١)»^(٢).

ثانياً: ما ورد من تصريح بكونها ستبقى إلى يوم القيامة، مثل الحديث القدسي الشريف: «وَأَطَهَّرَنَّا الْأَرْضَ بِآخِرِهِمْ مِنْ أَعْدَائِي، وَأَمُكِّنَنَّهُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَأَسْحَرَنَّا لَهُ الرِّيحَ، وَأَذَلَّلْنَا لَهُ السَّحَابَ الصَّعَابَ، وَأَرْقَيْتَنَّهُ فِي الْأَسْبَابِ، وَأَنْصَرَنَّهُ بِجُنْدِي، وَأَمَدَّنَهُ بِمَلَائِكَتِي حَتَّى تَعْلُو دَعْوَتِي وَيَجْتَمِعَ الْخَلْقُ عَلَى تَوْحِيدِي، ثُمَّ لَا دِيمَنَّ مَلِكُهُ، وَأَدَاوَلَنَّ الْأَيَّامَ بَيْنَ أَوْلِيَائِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

ثالثاً: أن قيام دولة أخرى بعدها يعني رجوع الأرض إلى الظلم والجور ولو بالتدريج، وهذا خلاف ما ورد من أن الأرض ستكون نهايتها بيد الصالحين، الأمر الذي يستدعي قيام مهدي آخر ليحقق هذا الوعد الإلهي، ومن الواضح أنه لا مهدي بعد مهدي آل محمد ﷺ.

الأمر الثاني: مدة ملك الإمام المهدي ﷺ:

والروايات الواردة في هذا المجال جاءت بلفظ: «يملك القائم».

وقد اختلفت الروايات في تحديد تلك المدة بين سبع وثمان وتسع وعشرة سنة وأشهرًا وسبعين وثلاثمائة وتسع سنين.

وقد يكون سبب اختلاف الروايات في تحديد هذه المدة راجعاً إلى أحد الأمور

التالية:

أ - إمكان حصول البدء في هذه المدة.

(١) الأعراف: ١٢٨

(٢) الغيبة للطوسي: ٤٧٢ و ٤٧٣ / ح ٤٩٣.

(٣) علل الشرائع للصدوق ١: ٧ / باب ٧ / ح ١.

ب - أن الصحيح منها رواية واحدة في علم الله تعالى ذكرت مدّة معيّنة، ولكن نحن لا نعلمها لسبب وآخر.

ج - تعمّد إخفاء أهل البيت عليهم السلام المدّة الحقيقية لسبب ما، ولعلّه إشارة إلى أنّه ليس مهمّاً طول الفترة التي يملك بها الإمام المهدي عليه السلام، بل المهمُّ أنّه سيُنبئ أركان الدولة العادلة، ليستلمها من بعده من يستمرُّ بها من دون أن يزيغ عن الحقِّ قيد أنملة. والأرجح من هذه الروايات هي الروايات التي قالت: إنّ يملك ثلاثمائة وتسع سنين، لأنّها واردة في كتبنا، وأكثر الروايات الأخر واردة في كتب العامّة.

فعن أبي الجارود، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنَّ القائم يملك ثلاثمائة وتسع سنين كما لبث أهل الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً...»^(١).

سؤال: من الذي يلي أمر المعصوم؟

إذا كان الوصي لا يلي أمره إلا الوصي، فعند موت الإمام المهدي عليه السلام يلي أمره الإمام الحسين عليه السلام، فإن مات الإمام الحسين عليه السلام من الذي يلي أمره؟

لو قيل: يأتي بعده أمير المؤمنين عليه السلام وهو الذي يلي أمره وهكذا، إذا وصلنا إلى آخر معصوم بحيث لا يرجع بعده معصوم آخر ليلي أمره، فمن الذي يغسله؟

الجواب: نذكر أمرين:

الأول: هل إنّ قاعدة (لا يلي أمر المعصوم إلا المعصوم) قاعدة عقلية؟

للتوضيح: القاعدة العقلية هي القاعدة التي لا تختلف ولا تتخلف، كمجموع زوايا المثلث التي تساوي ١٨٠ درجة، فلا يمكن أن تختلف باختلاف الظروف والزمان والمكان، كما لا يمكن أن تتخلف فيكون مثلث ما من المثلثات مجموع زواياه أقل أو أكثر

(١) الغيبة للطوسي: ٤٧٣ و ٤٧٤ / ح ٤٩٦.

من ١٨٠ درجة. وكاجتماع النقيضين فهو أمرٌ محال، لا يختلف في ذلك ولا يتخلف ولا يقبل الاستثناء.

ومعه، فمن الواضح أنّ قاعدة (لا يلي أمر المعصوم إلا المعصوم) هي ليست قاعدة عقلية، وإنما هي قاعدة عادية إن صحَّ التعبير، بمعنى أننا وجدنا أن من علامات الإمام اللاحق أنه يغسل ويصلي على الإمام السابق، وهو كما ذكر في الروايات الشريفة، لذلك عندما توفي الإمام الحسن العسكري عليه السلام خرج جعفر ليصلي عليه، فخرج الإمام المهدي عليه السلام وكان صبياً وعمره خمس سنوات وقال: «تأخرا عم، فأنا أحق بالصلاة على أبي»، فتأخر جعفر، وقد أربد وجهه واصفر. ^(١)

فهي قاعدة عادية لا عقلية ويمكن أن تختلف وتتخلف.

الثاني: نحن نؤمن بأنَّ الله ﷻ سيهيئ شخصاً لاثقاً ليلي أمر المعصوم الأخير.
تنبيه:

يظهر من الروايات الشريفة التالي:

١/ أن انتظار الفرج بمعناه الصحيح الذي تقدم الكلام عنه تفصيلاً، يجعل المؤمن مهيباً ومرشحاً ليكون من الراجعين.

٢/ صرّحت بعض الروايات بأنَّ سؤالاً كان يُقلى مضاجع بعض المؤمنين في زمن المعصومين عليهم السلام، لذلك كانوا قد توجهوا للأئمة عليهم السلام بالسؤال عنه، وهو أنه ما هو مصير المؤمن المنتظر الذي مات قبل الظهور وهو يأمل أن يدرك ظهور مولاه الحجة عليه السلام؟

وقد ألقى إليهم الأئمة جواباً يثلج الصدور ويبرد الغليل.

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٤٧٥ ب ٤٣.

إنَّ المؤمن المنتظر إذا مات قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام فَإِنَّهُ سَيُبَشَّرُ بذلك وهو في قبره، وقد يُجَيَّرُ في الرجوع إلى الدنيا لنصرة القائم عليه السلام.

وهذا ما أشارت إليه الروايات الشريفة، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام - وهو يتحدث عن زمن الظهور المبارك - : «... ولا يبقى مؤمن ميت إلا دخلت عليه تلك الفرحة في قبره، وذلك حيث يتزاورون في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم عليه السلام»^(١).

وعن المفضل بن عمر، قال: ذكرنا القائم عليه السلام ومن مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبد الله عليه السلام: «إذا قام أتى المؤمن في قبره فيقال له: يا هذا! إنه قد ظهر صاحبك، فإن تشأ أن تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم»^(٢).

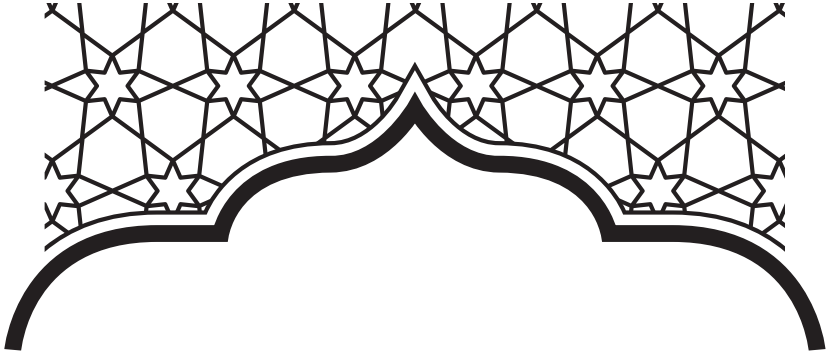
وفي نفس السياق جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: «... وإن لأهل الحق دولة إذا جاءت ولأهل الله لمن يشاء من أهل البيت، فمن أدركها منكم كان عندنا في السنام الأعلى، وإن قبضه الله قبل ذلك خار له...»^(٣).

فقوله عليه السلام: «خار له» يُراد منه ما أشارت له الرواية السابقة من التخيير بين البقاء أو الرجوع، والله العالم.

(١) الغيبة للنعماني: ٣٢٣ / باب ٢٠ / ح ٥.

(٢) الغيبة للطوسي: ٤٥٨ و ٤٥٩ / ح ٤٧٠.

(٣) الغيبة للنعماني: ٢٠١ / باب ١١ / ح ٢.



الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين



المحتويات

٥	عقيدتنا في الإمامة
٧	هل الإمامة أصل من أصول الدين أو فرع من فروعها؟
٨	سبب الاختلاف في كون الإمامة أصلاً أو فرعاً:
٨	ما هو الدليل على أن الإمامة أصل من أصول الدين؟
٨	مقدمة:
٩	أدلة كون الإمامة أصلاً من أصول الدين:
١٥	منشأ الضرورة في البحث عن الإمامة.
١٧	الإمامة لطف من الله تعالى
١٧	نكتة:
٢١	إن الإمامة استمرار للنبوة.
٢٣	إشكال (الفترة) وجوابه:
٢٤	والجواب:
٢٥	نكتة مهدوية:
٢٦	استطراد:
٢٩	عقيدتنا في عصمة الإمام
٣٠	عقيدتنا في عصمة الإمام.
٣٠	ما الدليل على لزوم عصمة الإمام؟

- ٣٢ لماذا كانت العصمة أمرًا جوهريًا في الإمامة عند الإمامية؟
- ٣٣ ثالثًا: بطلان التسلسل:
- ٣٣ بيان:
- ٣٤ ملاحظة:
- ٣٧ عقيدتنا في صفات الإمام وعلمه
- ٣٨ الإشارة الأولى: أنواع كمالات الإمام
- ٣٩ النوع الأول: الكمال البدني او الخَلقي.
- ٤٠ النوع الثاني: الكمال النفسي
- ٤٢ النوع الثالث: الكمال الأخلاقي
- ٤٦ النوع الرابع: الكمال العلمي
- ٤٨ النوع الخامس: الكمال الغيبي
- ٤٩ الإشارة الثانية: مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام
- ٤٩ أولهما: إجمالي:
- ٤٩ وثانيهما: تفصيلي:
- ٥٠ الأول: القرآن الكريم
- ٥١ الثاني: تعاليم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله
- ٥٢ إشارة هامة:
- ٥٥ الثالث: أصول العلم.
- ٥٦ الرابع: كتب الأنبياء السابقين (غير المحرّفة)
- ٥٨ الخامس: كتاب علي عليه السلام
- ٥٨ السادس: مصحف فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

- ٥٩ السابع: الجامعة:
- ٦٠ الثامن: الجفر:
- ٦١ التاسع: الإلهام.
- ٦٢ العاشر: الزيادة المستمرة للعلوم:
- ٦٢ الحادي عشر: الناموس:
- ٦٤ الثاني عشر: التوسم:
- ٦٧ عقيدتنا في طاعة الأئمة
- ٦٩ أسباب أو مقتضيات لزوم الطاعة
- ٧٢ ملاحظات مهمة:
- ٧٢ الأولى: أن طاعة أهل البيت عليهم السلام عين في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
- ٧٣ الثانية: أن معنى طاعة أهل البيت عليهم السلام تعني التالي:
- ٧٤ الثالثة: هناك فرق بين الاعتراف النظري والاعتراف العملي...
- ٧٤ الأدلة الدالة على لزوم طاعة أهل البيت عليهم السلام:
- ٧٤ الدليل الأول: استلزام مفهوم الإمامة لوجوب الطاعة.
- ٧٥ الدليل الثاني: حديث الثقلين:
- ٧٨ الدليل الثالث: قوله عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ...﴾
- ٨١ أولوا الأمر هم أهل البيت عليهم السلام نقلاً.
- ٨٣ دلالات حديث السفينة
- ٨٣ ١/ كلتا السفينتين وُجِدَت بأمر الله صلى الله عليه وسلم:
- ٨٥ ٢/ كلٌّ من النبي نوح عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجها الاستهزاء...
- ٨٦ ٣/ لم يقتنع كلٌّ من قوم النبي نوح عليه السلام وقوم النبي...

- ٨٧ /٤ انحصار النجاة بالسفينتين فقط، كل منهما في زمنها.
- ٨٨ /٥ الكلُّ محتاج إلى السفينتين، كل في زمنها.
- ٩٥ /٦ كلتا السفينتين آوت كلَّ من لجأ إليها وأنجته من الهلاك.
- ٩٦ /٧ وحدة القيادة في كلِّ من السفينين.
- ٩٦ /٨ كلتا السفينتين كانت فاتحة عهدٍ جديد.
- ٩٧ /٩ لم يركب السفينتين إلا خلفاء الأرض، كلُّ في زمنه.
- ٩٧ /١٠ قلة من ركب كلاً من السفينتين.
- ٩٨ /١١ الارتباط بكلِّ من سفيتي النجاة ارتباط عقائدي لا نسبي.
- ١٠٠ /١٢ ركوب كلِّ من السفينتين لا يعصم من الذنوب.

دلالات حديث النجوم

- ١٠٢ دلالات حديث النجوم
- ١٠٢ أولاً: دلالة فوائد النجوم:
- ١٠٢ /١ الهداية.
- ١٠٣ /٢ المنع من الضلال.
- ١٠٤ ثانيًا: دلالة دوام البقاء ما بقيت الدنيا.
- ١٠٤ ثالثًا: دلالة دوام الهداية.
- ١٠٥ رابعًا: دلالة عصمة الهداية.
- ١٠٥ خامسًا: دلالة التعاقب:
- ١٠٥ سادسًا: دلالة عدم أو مانعية الخلو.
- ١٠٦ سابعًا: دلالة مجهولية الحقيقة.
- ١٠٧ ثامنًا: دلالة عدم التعارض.

- ١٠٨ تاسعاً: دلالة وحدة المحور.
- ١٠٨ عاشرًا: الدلالة على قدرة الله تعالى وحكمته.
- ١٠٩ أحد عشر: دلالة عدم التصادم بين الوظائف.
- ١٠٩ إشارة: في مناقشة حديث: أصحابي كالنجوم.
- ١١٠ الجواب:
- ١١٣ دلالات حديث المنزلة
- ١١٥ إشكالٌ وجوابه:
- ١١٧ دلالات حديث المنزلة
- ١١٧ الفقرة الأولى: دلالات «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»:
- ١١٨ المنزلة الأولى: الوزارة.
- ١١٩ المنزلة الثانية: الأخوة وشدة الأزر.
- ١٢١ المنزلة الثالثة: الإشراك في الأمر.
- ١٢٢ إشارة: معنى العقدة في لسان النبي موسى ﷺ:
- ١٢٣ المنزلة الرابعة: الخلافة:
- ١٢٤ المنزلة الخامسة: التصديق:
- ١٢٦ المنزلة السادسة: إتيان الكتاب:
- ١٢٧ المنزلة السابعة: الهداية:
- ١٣١ المنزلة الثامنة: السلام:
- ١٣١ ١/ السلام عليهما من الله ﷻ:
- ١٣٢ ٢/ أنهما من المحسنين:
- ١٣٣ ٣/ أنهما من المؤمنين:

- ١٣٣ المنزلة التاسعة: الإصلاح:
- ١٣٣ أوجه الشبه بين هارون وعلي عليه السلام.
- ١٣٤ ١/ خيانة الأمة والاستضعاف.
- ١٣٦ ٢/ ما أحل هارون وعلي عليه السلام.
- ١٣٨ ٣/ أسماء أولادهما.
- ١٣٩ ٤/ المحنة المشتركة:
- ١٣٩ الفقرة الثانية: (إلا أنه لا نبي بعدي).
- ١٣٩ الحقيقة الأولى: ختم النبوة به صلى الله عليه.
- ١٤٠ الحقيقة الثانية: خلافة الإمام عليه السلام خلافة وصاية بلا نبوة.
- ١٤٣ إشارات في عبارة الكتاب
- ١٤٣ الإشارة الأولى: هم الشهداء على الناس
- ١٤٣ الإشارة الثانية: هم أبواب الله.
- ١٤٥ الإشارة الثالثة: هم السبب إليه والأدلاء عليه.
- ١٤٥ الإشارة الرابعة: هم عيبة علمه.
- ١٤٥ الإشارة الخامسة: هم تراجمة وحيه.
- ١٤٦ الإشارة السادسة: هم أركان توحيده.
- ١٤٦ الإشارة السابعة: هم خزان معرفته.
- ١٤٦ الإشارة الثامنة: هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.
- ١٤٩ الإشارة التاسعة: هم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.
- ١٥٠ الإشارة العاشرة: عدم جواز الرد عليهم.
- ١٥٠ الإشارة الحادية عشرة: عدم فراغ الذمة إلا بالرجوع إليهم.

- ١٥٠ الإشارة الثانية عشرة: المهم في بحث الإمامة إثبات لزوم الرجوع إليهم....
- ١٥٣ إشكالٌ وجوابه:
- ١٥٥ عقيدتنا في حب آل البيت عليهم السلام
- ١٦١ إشارات:
- ١٦٥ عقيدتنا في الأئمة عليهم السلام
- ١٦٦ النقطة الأولى: لا يخلو مسلمٌ من الاعتقاد بهم.
- ١٦٦ الأولى: مرتبة المُقَصَّرَة.
- ١٦٧ الثانية: مرتبة الغلاة.
- ١٦٨ المرتبة الثالثة: (المنمقة الوسطى).
- ١٦٩ النقطة الثانية: حد الاعتقاد (المنمقة الوسطى).
- ١٧١ مراتب المعرفة بأهل البيت عليهم السلام
- ١٧١ المرتبة الأولى: المعرفة الإجمالية:
- ١٧١ المرتبة الثانية: الجمع بين محبتهم وطاعتهم ومحبة أعدائهم.
- ١٧٣ المرتبة الثالثة: محبتهم وطاعتهم دون الاعتقاد بمقاماتهم العالية.
- ١٧٣ المرتبة الرابعة: الاتباع المصلحي.
- ١٧٤ المرتبة الخامسة: الاعتقاد المطلق بولايتهم والبراءة من أعدائهم.
- ١٧٥ إشارة: في لزوم التسليم لهم ﷺ.
- ١٧٧ عقيدتنا في أن الإمامة بالنص
- ١٧٩ الآراء في كيفية جعل الإمام
- ١٧٩ النظرية الأولى: نظرية قبول الأمر الواقع:
- ١٨٠ النظرية الثانية: نظرية النص:

- ١٨١ ماذا يعني النص؟
- ١٨١ الطريق الأول: التبليغ.
- ١٨١ الطريق الثاني: المعجزة.
- ١٨٢ الطريق الثالث: الطريق العقلي.
- ١٨٥ أدلة وجوب التنصيب الإلهي
- ١٨٥ الدليل الأول: دليل اللطف:
- ١٨٦ الدليل الثاني: الإمام المَجْعُول من الله ﷺ يمثل الحل الأمثل...
- ١٨٦ الدليل الثالث: تنصيب الإمام مهمة الله ﷻ وحده:
- ١٨٧ إشارات:
- ١٨٧ الإشارة الأولى: إنَّ النص على الإمام يوفر لنا بعدين مهمين:
- ١٨٩ الإشارة الثانية: هل يمكن للعقل أن يُدرك الإمام الحق؟
- ١٨٩ الوجه الأول: مقام المولوية.
- ١٩٠ الوجه الثاني: النص الإلهي يكشف جميع المقامات.
- ١٩١ الإشارة الثالثة: لماذا لم يُذكر اسم الإمام عليّ عليه السلام في القرآن؟
- ٢٠٠ والخلاصة:
- ٢٠٠ الإشارة الرابعة: نظرية التنصيب أمرٌ متصور لدى...
- ٢٠٢ الإشارة الخامسة: علة جعل الإمامة في ذرية الإمام الحسين...
- ٢٠٣ الأولى: تنصيب الإمام إلهي، والله تعالى لا يُسأل عن فعله.
- ٢٠٤ الثانية: عدم الملازمة بين الخصوصية والأفضلية.
- ٢٠٥ الإشارة السادسة: شبهة الإمامة بسنِّ مبكرة:

- ٢٠٩ عقيدتنا في عدد الأئمة عليهم السلام
- ٢١١ شبهة الاختلاف في عدد الأئمة عليهم السلام:
- ٢١٧ عقيدتنا في المهدي عجل الله فرجه الشريف
- ٢٢١ هل إن القضية المهدوية من مختصات الشيعة؟
- ٢٢٢ المطلب الأول: هل إن القضية المهدوية قضية إنسانية؟
- ٢٢٣ المطلب الثاني: ما هو اعتقاد أهل الديانات السماوية والوضعية...
- ٢٢٣ أولاً: الديانات السماوية:
- ٢٢٤ ثانياً: الديانات الوضعية:
- ٢٢٥ المطلب الثالث: ما هو اعتقاد أهل السنة بالقضية المهدوية؟
- ٢٢٦ أولاً: بعض الروايات العامة التي أثبتت القضية المهدوية.
- ٢٢٨ الإمام المهدي عليه السلام في كلمات المعاصرين من مدرسة الخلفاء:
- ٢٢٩ ثانياً: شبهة عدم ذكر البخاري ومسلم لأحاديث المهدي.
- ٢٢٩ تعريف موجز للبخاري ومسلم:
- ٢٣٤ نماذج عن تلك الأحاديث:
- ٢٣٧ المطلب الرابع: ادعاء المهدوية دليل على صحة قضيتها.
- ٢٣٨ بيان: في الدعاوى المهدوية الباطلة والنقاش فيها:
- ٢٣٩ أولاً: أسباب الدعاوى المهدوية:
- ٢٣٩ ثانياً: أقسام الدعاوى المهدوية:
- ٢٤٠ نماذج من القسم الأول: من نسبت إليه المهدوية وهو منها بريء:
- ٢٤٠ الفرقة الأولى: الكيسانية:
- ٢٤١ من أهم عقائد الكيسانية:

- ٢٤٢ الفرقة الثانية: الفرقة الباقرية:
- ٢٤٢ الفرقة الثالثة: الناوسية:
- ٢٤٣ الفرقة الرابعة: المباركية:
- ٢٤٣ الفرقة الخامسة: الإسماعيلية:
- ٢٤٤ القسم الثاني: من ادعى المهدوية بدافع حب الرئاسة والجاه والمنصب، ومنها: ٢٤٤ الشخصية الأولى: محمد المحض.
- ٢٤٥ الشخصية الثانية: الخليفة العباسي الملقب بالمهدي.
- ٢٤٦ القسم الثالث: من كانت للاستعمار يد في ادعائه المهدوية... ٢٤٦ علي بن محمد الملقب بالباب:
- ٢٤٧ ثالثاً: الخطوط العامة لدعوى السفارة والمهدوية:
- ٢٤٩ رابعاً: كيف نواجه مدعى السفارة أو المهدوية؟
- ٢٤٩ الأمر الأول: متابعة الظروف التي أحاطت بالمدعي.
- ٢٤٩ الأمر الثاني: التريث في تصديق الدعوى.
- ٢٥٠ الأمر الثالث: النظر في مدى مطابقة دعوى مدعي السفارة... ٢٥١ الأمر الرابع: المطالبة بإقامة الكرامة.
- ٢٥٢ خامساً: طرق النقاش في القضايا المهدوية.
- ٢٥٢ الطريق الأول: الطريق الفكري.
- ٢٥٣ المثال الأول: دعوى سفارة أحمد بن إسماعيل.
- ٢٥٤ المثال الثاني: خروج اليماني من البصرة لا من اليمن.
- ٢٥٥ الطريق الثاني: الطريق الخطابي.
- ٢٥٧ تطبيق في القضية المهدوية:

- ٢٥٨ الطريق الثالث: طلب الكرامة أو المعجزة.
- ٢٦١ الطريق الرابع: الإهمال.
- ٢٦٣ الطريق الخامس: الاستهزاء.
- ٢٦٧ ضرورة القضية المهدوية
- ٢٦٧ أولاً: إثبات ضرورة القضية المهدوية للعامة من المسلمين.
- ٢٦٨ الدليل العقلي: دليل نقض الغرض.
- ٢٦٩ وعوداً إلهية...
- ٢٧٣ ثانياً: إثبات ضرورة القضية المهدوية لمعتنقي سائر الديانات الإلهية الأخرى.
- ٢٧٥ شخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بين المدرستين
- ٢٧٥ المطلب الأول: أهم الفروق بين المدرستين في شخصيته ﷺ.
- ٢٧٧ المطلب الثاني: من أدلة ولادة الإمام المهدي ﷺ.
- ٢٧٧ أولاً: العامة وولادة الإمام المهدي ﷺ
- ٢٧٩ ثانياً: من أدلة الإمامية على ولادة الإمام المهدي ﷺ.
- ٢٨٣ المطلب الثالث: طول عمر الإمام ﷺ.
- ٢٨٤ ١/ الدليل الشرعي:
- ٢٨٥ ٢/ الدليل الطبي:
- ٢٨٦ ٣/ الدليل التاريخي:
- ٢٨٧ الانتظار المهدوي
- ٢٨٧ المطلب الأول: فضل الانتظار
- ٢٩٠ المطلب الثاني: الفوائد التربوية للانتظار.
- ٢٩٢ المطلب الثالث: معنى الانتظار.

- ٢٩٢ الأمر الأول: ما معنى الانتظار؟ ولماذا كان أفضل الأعمال؟
- ٢٩٣ العنصر الأول: العنصر الاعتقادي.
- ٢٩٣ العنصر الثاني: العنصر الفقهي.
- ٢٩٤ العنصر الثالث: العنصر السلوكي.
- ٢٩٥ العنصر الرابع: الاستعداد العملي.
- ٢٩٦ الأمر الثاني: بيان المراد من روايات لزوم البيت.
- ٣٠٠ الأمر الثالث: مفاهيم مغلوطة للانتظار.
- ٣٠١ الأول: الانتظار يعني السكون.
- ٣٠١ الثاني: الانتظار بنشر الفساد لأجل تعجيل الفرج.
- ٣٠٥ الغيبة المهدوية
- ٣٠٥ المطلب الأول: علل الغيبة والحكمة منها.
- ٣٠٧ أ) الخوف من القتل:
- ٣٠٧ ب) التمييز والتمحيص:
- ٣٠٧ ج) حتى لا يبايع ظالماً:
- ٣٠٨ د) السنن التاريخية:
- ٣٠٨ هـ) أن لا تضيع ودائع الله ﷺ:
- ٣٠٨ و) قبائح أعمال العباد، وفضائح أفعالهم، مما يُسبب قلة ...
- ٣٠٩ ز) إظهار عجز من يسعى للإصلاح الكامل من غير ...
- ٣١٠ المطلب الثاني: معنى الغيبة.
- ٣١٢ إشارة:
- ٣١٣ المطلب الثالث: فائدة الغائب والغيبة.

- ٣١٧ الفائدة من أصل ظاهرة الغيبة.
- ٣١٩ كيف لنا أن نُميِّز المهدي الحقَّ؟
- ٣١٩ النحو الأوَّل: طرق تشخيصية:
- ٣٢٠ النحو الثاني: طرق تقريبية:
- ٣٢٣ إشارة: في بعض الصفات المختصة بالإمام المهدي عليه السلام:
- ٣٢٥ علامات الظهور
- ٣٢٦ علامات الظهور قسمان:
- ٣٢٧ لعلامات الظهور فهان:
- ٣٢٩ إشارة مهمّة:
- ٣٣٠ العلامة الأولى والثانية: السفيناني والخسف في البيداء:
- ٣٣٠ الموقف الأوَّل: مبدأ ظهوره وتحركه:
- ٣٣١ الموقف الثاني: بعثه بالجيش خلف المهدي عليه السلام والخسف به:
- ٣٣٢ الموقف الثالث: القضاء عليه:
- ٣٣٣ العلامة الثالثة: اليماني:
- ٣٣٤ أسئلة وأجوبة مفيدة:
- ٣٣٦ العلامة الرابعة: الصحيحة:
- ٣٣٨ العلامة الخامسة: قتل النفس الزكية:
- ٣٤١ أسئلةٌ حول الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف
- ٣٤١ السؤال الأوَّل: ما هو سلاح الإمام المهدي عليه السلام إذا ظهر؟
- ٣٤٥ إشارة:
- ٣٤٥ السؤال الثاني: هل المهدي عليه السلام قاتلٌ سفاح وقصابٌ أرواح؟ أو هو داعيةٌ سلام؟! ٣٤٥

- ٣٤٥ الخطوة الأولى: ركائز الدولة إدارياً.
- ٣٤٥ ١/ السلطة التشريعية
- ٣٤٦ ٢/ السلطة التنفيذية.
- ٣٤٦ ٣/ السلطة القضائية.
- ٣٤٧ الخطوة الثانية: لماذا يخاف البعض من ظهور الإمام المهدي عليه السلام؟
- ٣٤٨ الخطوة الثالثة: من هم الذين سيقتلهم الإمام المهدي عليه السلام؟
- ٣٤٨ ١/ السفياي:
- ٣٥١ ٢/ البترية.
- ٣٥٣ ٣/ ذراري قتلة الإمام الحسين عليه السلام:
- ٣٥٥ الخطوة الرابعة: الإمام داعية سلام.
- ٣٥٩ **ضمانات الانتصار المهدوي**
- ٣٥٩ الضمان الأول: قوة مصادر القضية المهدوية.
- ٣٦٠ الضمان الثاني: عنصر المباغته:
- ٣٦٣ الضمان الثالث: التركيبة الاستثنائية للقيادة والجيش.
- ٣٦٣ الجهة الأولى: شخصية القائد:
- ٣٦٦ الجهة الثانية: الجيش.
- ٣٦٦ القسم الأوّل: أصحاب الألوية:
- ٣٦٦ القسم الثاني: الجيش الذي سيخرج به من مكّة المكرّمة:
- ٣٦٧ الضمان الرابع: مساندة العنصر الغيبي لتلك القضية:
- ٣٦٩ المفردة الأولى: الصيحة:
- ٣٦٩ المفردة الثانية: الخسف في البيداء.

- ٣٦٩ المفردة الثالثة: الرعب:
- ٣٦٩ المفردة الرابعة: بعض خصائص الإمام (عليه السلام):
- ٣٧١ المفردة الخامسة: نصرته بالملائكة.
- ٣٧٢ المفردة السادسة: إحياء بعض الموتى وحضورهم في ركبه (عليه السلام):
- ٣٧٣ عقيدتنا في الرجعة
- ٣٧٦ النقطة الأولى: معنى الرجعة.
- ٣٧٧ تفسير آخر للرجعة ومناقشته:
- ٣٧٨ النقطة الثانية: القيمة الاعتقادية للرجعة.
- ٣٧٩ النقطة الثالثة: هل الرجعة أمر ممكن أو مستحيل؟
- ٣٧٩ الأولى: أن تكون مخالفةً لضرورة عقلية.
- ٣٨٠ الثانية: أن تكون مخالفةً لضرورة نقلية.
- ٣٨٠ النقطة الرابعة: هل الرجعة أمر واقع خارجاً أو إنه باقٍ في حيز الإمكان؟
- ٣٨٢ النقطة الخامسة: استدلال آخر على الرجعة قرآنياً.
- ٣٨٣ التفسير الأول:
- ٣٨٣ التفسير الثاني:
- ٣٨٣ النقطة السادسة: محاولة الكيد بالتشيع من خلال القول بالرجعة.
- ٣٨٤ النقطة السابعة: ما هي فلسفة الرجعة؟
- ٣٨٥ النقطة الثامنة: هل ذكرت الروايات الشريفة أسماء بعض الذين يرجعون؟
- ٣٨٦ النقطة التاسعة: رجوع الإمام الحسين (عليه السلام) ودوره؟
- ٣٨٨ سؤال: كم هي مدة دولة الإمام المهدي (عليه السلام)؟
- ٣٨٨ الأمر الأول: مدّة الدولة المهديّة العادلة:

٣٨٩

الأمر الثاني: مدّة ملك الإمام المهدي عليه السلام:

٣٩٠

سؤال: من الذي يلي أمر المعصوم؟